مهرجان القراءة للجميع

ابن المقفع

كليلة ودمنة

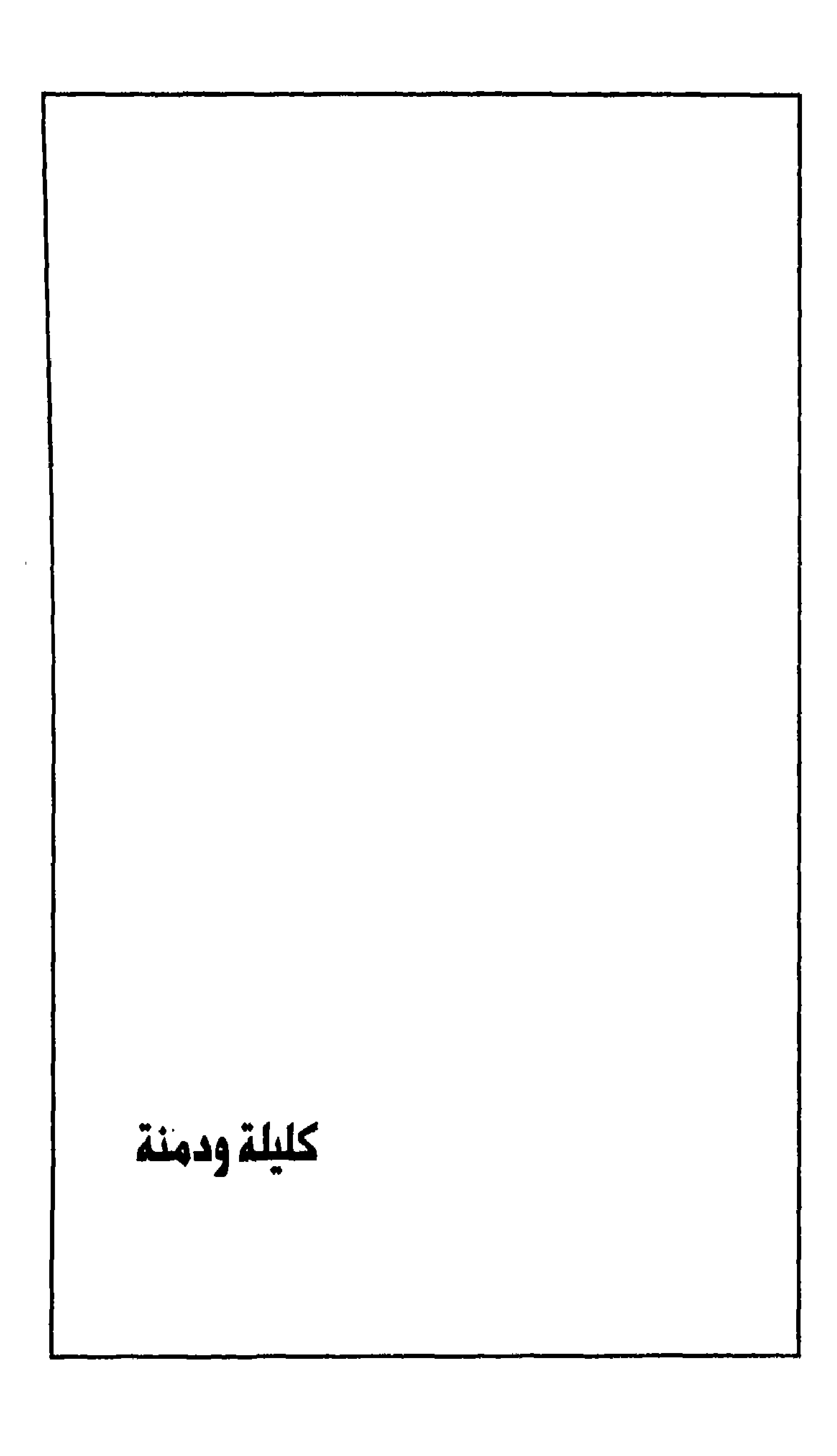
التراث







الهيئة المصرية العامة للكتاب



كليلة ودمنة

كليلة ودمنة

عبد الله بن المقفع



مهرجان القراءة للجميع ٩٧

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(التراث)

كليلة ودمنة

عبد الله بن المقفع

الغلاف:
للفنان: جمال قطب

الإشراف الفني:
للفنان محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الإدارة المحلية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب



مقدمة

وهكذا تمضى مسيرة مكتبة الأسرة لتقدم فى عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روائع الفكر والإبداع من عيون كتب الآداب والفنون والفكر فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروى تعطش الجماهير للثقافة الجادة والرفيعة، وتنضم إلى مجموعة العناوين التى صدرت خلال الأعوام الثلاث الماضية لتغطى مساحة عريضة من بحور المعرفة الإنسانية، ولتقطع بأن مصر غنية بتراثها الأدبى والفكرى والإبداعى والعلمى، وان مصر على مر التاريخ هى بلاد الحكمة والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية فى المكان وعبقرية الإبداع فى كل زمان.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم...

- مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم صفحات متألقة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر القوة في عالم اليوم..

صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق.

د. سمير سرحان

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

تفخر مكتبة الأسرة بأن تقدم إلى قراء العربية، فى سلسلة **تيسير التراث**، أحد عيون الأدب العربى، وهو كتاب **كليلة ودمنة** الذى ترجمه عبدالله بن المقفع عن الفارسية القديمة (الفهلوية) فأصبح أثراً أدبياً خالداً فى صورته العربية، ومكتبة الأسرة تقدم الكتاب كاملاً بفصوله الخمسة عشر، مع مقدمة عبدالله بن المقفع، والمقدمة الثانية التى ينسبها هو إلى برزويه ابن أزهر، «رأس أطباء فارس الذى تولى انتساخ الكتاب وترجمه من كتب الهند»، وهما مقدمتان لا غنى عنهما لفهم سياق القصص الرمزية التى يتضمنها الكتاب وتدور على ألسنة الحيوان والطير.

أما ما حُذف من باب التيسير فهو مقدمة عن أصل هذا الكتاب والسبب الذى وضع من أجله أثناء حرب الاسكندر الأكبر فى الهند، ومقدمة أخرى عن بعثة كسرى أنو شروان لرأس أطبائه برزويه إلى الهند فى طلب الكتاب ونسخه وترجمته إلى الفارسية، وكلاهما يتضمن معلومات أصبحت موضع خلاف كبير بين العلماء والمحققين، ويكفى أن نشير إلى بعض هذه الخلافات ومنها أن ابن المقفع قد يكون مترجم الكتاب عن اللغة الفهلوية حقاً، ولكنه أضاف إليه الكثير فى الترجمة، ومنها أنه اقتبس بعضه وترجم البعض الآخر، ووجد أمامه حكماً متفرقة «لليونان فيها نص [illegible] مثله، وللهنود مثل ذلك» فجمعها وضبطها واختار م[illegible] يصلح لكتابه وقصصه.

ويقول أحد الباحثين: إن الأسماء الفارسية والهند[illegible] [illegible]دة فى الكتاب، «مثلها مثل أى أسم[illegible] [illegible] [illegible] يوم كاتب معاصر فى كتبه، ويصف فيها أخباراً وحوادث يتخيل وقوعها فى بلاد أخرى، أو يجرى أسماء أبطال قصته على أسماء رجالات هذه البلاد».

وقد جاء فى الفهرست لإبن النديم أن عبد اليسوع أسقف نصَيبين الذى عاش فى القرن السابع الهجرى يقول: إن راهباً سريانياً اسمه «[illegible]دا» هو الذى نقله إلى السريانية، وأنه هو الذى

ترجمها عن الهندية لا عن لغة أخرى، ومن ثم فقد يكون الفرس قد اعتمدوا على ترجمته دون الهندية.

وهناك من يزعم أنه كانت هناك نسخة ثالثة لهذا الكتاب هى الترجمة البهلوية، وأنها هى التى اعتمدها ابن المقفع، وأنها هى الرواية التى حفظها لنا التاريخ فى النسخة العربية، وفى النسخة اليونانية أيضاً (سيمون ست) وفى نسخة فارسية أنشأها أبوالمعالى نصرالله.

ولما كانت الترجمة العربية الحالية تختلف عن تلك النسخ، فلم تشأ مكتبة الأسرة أن تضيف إلى مقدمتى المترجم العربى والفارسى (حسبما يقول ابن المقفع) احتمالات أخرى ترهقه. وحتى لو كان الكتاب قد نقل عن السريانية حول سنة ٧٥٠ ميلادية، وأن ابن المقفع قد نقله عن هذا المصدر، فلقد ضاع هذا المصدر مثلما ضاعت مصادره الأخرى، وظلت نسخة ابن المقفع أثراً خالداً فى تراثنا وتراث الإنسانية، إذ اعتمد مترجمو اللغات الأوروبية الحديثة عليه.

ولهذا السبب قررت **مكتبة الأسرة** التيسير على القارئ بتقديم ما يقوله عبدالله بن المقفع أولاً بصفته مترجماً، وكلامه هنا لا يحتمل التأويل فهو كاتبه، وما يقوله على لسان برزويه، مما يظن أنه يجسد أفكاره الخاصة فى الموضوع، وهو موضوع جد مهم ألا

وهو الرحلة من الاهتمام بالدنيا إلى الإيمان بالله واليقين الذى يدفع إلى نبذ عرض الدنيا الزائل.

وترجو **مكتبة الأسرة** أن يجد القارئ فى **كليلة ودمنة** ـ وهو الكتاب الكامل هنا ـ ما أراد له عبدالله بن المقفع أن يجد فيه، رحلة فنية ونفسية وفكرية فى آن واحد. وليت الباحثين المتخصصين يلقون الضوء على جانب الحوار الذى يمثل سمة مسرحية أصيلة فى تراثنا، فعنصر السرد دائماً يقابله عنصر القول، بل إن الحوار كثيراً ما يغلب على القصص فتخرج حية نابضة بالشخوص والأحداث والصراع، وهى لاشك من سمات الدراما الحديثة.

والله من وراء القصد ،،،

مكتبة الأسرة

المقدمة الأولى
وعنوانها
عرض الكتاب
لعبدالله بن المقفع ، المترجم
إلى العربية

هذا كتاب كليلة ودمنة ، وهو مما وضعته علماء الهند من الامثال والاحاديث التي ألهموا أن يدخلوا فيها أبلغ ما وجدوا من القول في النحو [١] الذي أرادوا . ولم تزل العلماء من كل امة ولسان يلتمسون أن يعقل [٢] عنهم ، ويحتالون لذلك بصنوف الحيل ، ويبتغون إخراج ما عندهم من العلل في إظهار ما لديهم من العلوم والحكم حتى كان من تلك العلل وضع هذا الكتاب على أفواه البهائم والطير ، فاجتمع لهم بذلك خلال [٣] ، أما هم فوجدوا منصرفاً [٤] في القول وشعاباً [٥] يأخذون منها ، ووجوهاً يسلكون فيها .

وأما الكتاب فجمع حكمة ولهواً ، فاختاره الحكماء لحكمته ، والاغرار [٦] للهوه ، والمتعلم من الاحداث ناشط [٧] في حفظ ما صار اليه من أمر

---

(١) النحو : القصد ، الجهة ، الطريق (٢) يعقل : يدرك ، يفهم ، يؤخذ .
(٣) خلال : طرق ومذاهب (٤) منصرفاً : مذهباً ينصرفون اليه .
(٥) شعابا : طرقا (٦) الاغرار : السذج الغفل (٧) ناشط : مجتهد .

في صدره ولا يدري ما هو ، بل عرف أنه قد ظفر من ذلك بمكتوب مرقوم[1] . وكان كالرجل الذي لما استكمل الرجولة وجد أبويه قد كنزا له كنوزاً وعقدا له عقداً[2] استغنى بها عن الكدح في ما يعمله من أمر معيشته فأغناه ما أشرف عليه من الحكمة عن الحاجة إلى غيرها من وجوه الأدب . فأول ما ينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التي وضعت له والرموز[3] التي رمزت فيه ، وإلى أي غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه إلى البهائم ، وأضافه الى غير مفصح[4] وغير ذلك من الاوضاع التي جعلها أمثالاً ، فإن قارئه متى لم يفعل ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعاني ولا أي ثمرة يجتني منها ولا أي نتيجة تحصل له من مقدمات ما تضمنه هذا الكتاب . وإنه إن كانت غايته منه استتمام قراءته والبلوغ الى آخره دون تفهم ما يقرأ منه لم يعد عليه شيء يرجع إليه نفعه .

مكتشف الكنز

ومن استكثر من جمع الكتب وقراءة العلوم من غير إعمال الروية فيما يقرأه كان خليقاً ألا يصيبه إلا ما أصاب الرجل الذي زعمت العلماء أنه اجتاز ببعض المفاوز[5] فظهر له موضع آثار كنز . فجعل يحفر ويطلب فوقع على شيء من عين[6] وورق[7] فقال في نفسه إن أخذت في نقل هذا المال قليلاً طال علي وقطعني[8] الاشتغال بنقله وإحرازه[9] عن اللذة بما أصبت منه . ولكن سأستأجر أقواماً يحملونه إلى منزلي

---

(١) مرقوم : مخطوط (٢) عقداً : أي عقارات (٣) الرموز : الاشارات الخفية .
(٤) مفصح : موضح ناطق (٥) المفاوز . جمع مفازة : الفلاة ، الصحراء لاماء فيها .
(٦) عين : نقود ذهبية (٧) ورق : نقود فضية (٨) قطعني : منعني .
(٩) احرازه : حفظه .

وأكون أنا آخرهم ولا يكون بقي ورائي شيء يشغل فكري بنقله ، وأكون قد استظهرت [1] لنفسي في إراحة بدني عن الكد ، بيسير أجرة اعطيها لهم . ثم جاء بالحمالين فجعل يحمل كل واحد منهم ما يطيق فينطلق به الى منزله هو فيفوز به ، حتى إذا لم يبق من الكنز شيء انطلق خلفهم الى منزله فلم يجد فيه من المال شيئاً لا كثيراً ولا قليلاً . وإذا كل واحد من الحمالين قد فاز بما حمله لنفسه ولم يكن للرجل من ذلك إلا العناء والتعب لأنه لم يفكر في آخر أمره .

الجوز الصحيح والصحيفة الصفراء

وكذلك من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهراً وباطناً لم ينتفع بما يبدو حوله من خطه ونقشه كما لو أن رجلاً قدم له جوز صحيح لم ينتفع به إلا ان يكسره ويستخرج ما فيه . وكان أيضاً كالرجل الذي طلب علم الفصيح من كلام الناس فأتى صديقاً له من العلماء له علم بالفصاحة فاعلمه حاجته الى علم الفصيح . فرسم له صديقه في صحيفة صفراء فصيح الكلام وتصاريفه ووجوهه . فانصرف بها الى منزله فجعل يكثر قراءتها ولا يقف على معانيها ولا يعلم تأويل ما فيها حتى استظهرها كلها فاعتقد أنه قد احاط بعلم ما فيها . ثم إنه جلس ذات يوم في محفل من أهل العلم والادب فأخذ في محاورتهم فجرت له كلمة أخطأ فيها ، فقال له بعض الجماعة : إنك قد اخطأت ، والوجه غير ما تكلمت به . فقال : كيف أخطىء وقد قرأت الصحيفة الصفراء وهي في منزلي ؟ فكانت مقالته هذه أوجب للحجة عليه وزاده ذلك قرباً من الجهل وبعداً من الادب .

---

(١) استظهرت : استعنت .

مثل الرجل الصابر على اللص

ثم إن العاقل إذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهاية علمه فيه ينبغي له أن يعمل بما علم منه لينتفع به ويجعله مثالاً لا يحيد عنه . فإذا لم يفعل ذلك كان مثله كالرجل الذي زعموا أن سارقاً تسور عليه [١] وهو نائم في منزله . فعلم به فقال : والله لأسكتن حتى أنظر ماذا يصنع ، ولا أذعره [٢] ولا أعلمه اني علمت به . فإذا بلغ مراده قمت إليه فنغصت [٣] ذلك عليه . ثم إنه أمسك عنه وجعل السارق يتردد ، وطال تردده في جمعه ما يجده . فغلب الرجل النعاس فنام وفرغ اللص مما أراد وأمكنه الذهاب ، فاستيقظ الرجل فوجد اللص قد أخذ المتاع وفاز به . فأقبل على نفسه يلومها وعرف أنه لم ينتفع بعلمه باللص اذ لم يستعمل في أمره ما يجب .

وقد يقال : إن العلم لا يتم إلا بالعمل ، وإن العلم كالشجرة والعمل به كالثمرة . وإنما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به ، وإن لم يستعمل ما يعلم فليس يسمى عالماً بطريق مخوف ، ثم سلكه على علم به سمي جاهلاً . ولعله إن حاسب نفسه وجدها قد ركبت أهواء [٤] هجمت بها فيما هو أعرف بضررها فيه وأذاها . ومن ركب هواه ورفض أن يعمل بما جربه هو ، أو أعلمه به غيره كان كالمريض العالم برديء الطعام والشراب وجيده وخفيفه وثقيله ثم يحمله الشره [٥] على أكل رديئه وترك ما هو أقرب إلى النجاة والتخلص من علته .

---

(١) تسور عليه : دخل عليه واثباً عن سور بيته (٢) أذعره : أفزعه .

(٣) نغصت : كدرت (٤) أهواء : جمع هوى وهو ميل النفس .

(٥) الشره : شدة الحرص على الطعام .

مثل البصير والاعمى

وأقل الناس عذراً في اجتناب محمود الأفعال وارتكاب مذمومها من أبصر ذلك وميزه وعرف فضل بعضه على بعض . كما أنه لو أن رجلين أحدهما بصير والآخر أعمى ساقهما الأجل[1] إلى حفرة فوقعا فيها ، كانا إذا صارا في قعرها بمنزلة واحدة . غير ان البصير أقل عذراً عند الناس من الضرير إذ كانت له عينان يبصر بهما وذاك بما صار إليه جاهل غير عارف .

وعلى العالم أن يبدأ بنفسه ويؤدبها بعلمه ولا تكون غايته اقتناءه العلم لمعاونة غيره ونفعه به وحرمان نفسه منه ؛ ويكون كالعين التي يشرب الناس ماءها وليس لها في ذلك شيء من المنفعة ، وكدودة القز التي تحكم صنعتها ولا تنتفع بها . فينبغي لمن طلب العلم أن يبدأ بعظة[2] نفسه ويتعهدها برياضتها ، ثم عليه بعد ذلك أن يقبسه[3] ، فإن خلالاً[4] ينبغي لصاحب الدنيا أن يقتنيها ويقتبسها ، منها العلم والمال ، ومنها اتخاذ المعروف[5] . وليس للعالم أن يعيب امرأ بشيء فيه مثله ويكون كالاعمى الذي يعير الاعمى بعماه .

وينبغي لمن طلب امرأ ان يكون له فيه غاية ونهاية يعتمد عليها ويقف عندها ولا يتمادى في الطلب . فإنه يقال : من سار الى غير غاية فيوشك ان تنقطع[6] به مطيته[7] ، وإنه كان حقيقاً ألا[8] يعني[9] نفسه في طلب ما لا حد له وما لم ينله أحد قبله ؛ ولا يتأسف عليه ولا

---

(١) الاجل : انقضاء العمر (٢) عظة : وعظ (٣) يقبسه : يستفيده .
(٤) خلالا : صفات . (٥) اتخاذ المعروف : اصطناعه مع الناس .
(٦) تنقطع : تعجز عن السير . (٧) مطيته : دابته (٨) الا : ان لا .
(٩) يعني : يتعب .

يكون لدنياه مؤثراً [1] على آخرته ، فإن من لم يعلق قلبه بالغايات قلت حسرته عند مفارقتها .

وقد يقال في أمرين : إنهما يجملان [2] بكل أحـــد ، أحدهما النسك والآخر المال الحلال . وقد يقال في أمرين أنهما لا يجملان بأحد : الملك أن يشارك في ملكه ، والرجل أن يشارك في خاصته [3] وليس ينبغي للعاقل أن يقنط وييأس من رحمة الله وفضله فيما لا ينـاله ، فربما ساق القدر له رزقاً هنيئاً وهو غافل عنه لا يدري به ولا يعلم وجهه .

مثل الفقير واللص

ومن أمثال هذا : أن رجلاً كان به فاقة وجوع وعري فألجأه ذلك الى أن سأل بعض أقاربه وأصدقائه فلم يكن عند أحد منهم فضل [4] يعود بـــه عليه . فبينما هو ذات ليلة في منزله إذ بصر بسارق [5] في المنزل ، فقال في نفسه . والله ما في منزلي شيء اخاف عليه ، فليجهـد السارق جهده . فبينما السارق يجول إذ وقعت يده على خابيـــة فيها حنطة ، فقال السارق : والله ما أحب ان يكون عنائي الليـــلة باطلاً ، ولعلي لا أصل الى موضع آخر ، ولكن سأحمـــل هذه الحنطة خير من الرجوع بغير شيء . ثم بسط رداءه ليصب عليه الحنطة . فقال الرجل : يذهب هذا بالحنطة وليس ورائي سواها ، فيجتمع علي مع العري ذهاب ما كنت أقتات به ، وما تجتمع والله هاتان الخلتان [6] على احـــد إلا أهلكتاه . ثم صاح بالسارق ووثب إليه بهراوة [7] كانت عند رأسه ، فلم

(١) مؤثراً : مفضلاً (٢) يجملان : يحسنان (٣) خاصته : ما يختص به .
(٤) فضل : زيادة عن عوزه (٥) بصر : لمح (٦) الخلة : الصفة،هنا في الفقر والحاجة.
(٧) هراوة : عصا ضخمة .

يكن للسارق حيلة إلا الهرب منه ، وترك رداءه ونجـــا بنفسه وغدا الرجل به كاسياً [1] .

وليس ينبغي للعاقل أن يركن إلى مثل هذا المثل فيتكل عليه ويدع ما يجب عليه من السعي والعمل لصلاح معاشه ، بل أن لا يألو جهداً [2] في الطلب على قدر معرفته ولا ينظر إلى من تؤاتيه [3] المقادير وتساعده على غير التماس منه ولا حركة لأن أولئك في الناس قليل . وإنما الجمهور منهم من يجهد نفسه في الكد والسعي فيما يصلح من أمره وينال به ما يريد . وليعرص أن يكون مكسبه من أطيب المكاسب وأفضلها وانفعهـــا له ولغيره معاً ما أمكن . ولا يتعرض لما يجلب عليه العناء والشقاء ، وما يعقبه الهم والغم . وليحذر أن يعاود ما أصابه منـــه الضرر . وينبغي له مع ذلك أن يحذر مما يصيب غيره من الضرر لئلا يصيبه مثله . فيكون كالحمامة التي تفرخ الفراخ فتؤخذ وتذبح ثم لا يمنعها ذلك من ان تعود فتفرخ موضعها وتقيم بمكانها فتؤخذ الثانية من فراخها فتذبح حتى تؤخذ هي أيضاً فتذبح .

وقد يقال : إن الله تعالى قد جعل لكل شيء حـــداً يوقف عليه ، ومن تجاوز في الاشياء حدها أوشك ان يلحقه التقصير عن بلوغهـــا . والمتجاوز الحد والمقصر عنه سيان [4] بالنسبة إليه لأن كليهما زائغ عنه في الحالين جميعاً . ويقال : من كان سعيه لآخرته ودنياه فحياته له وعليه . ومن كان سعيه لدنياه خاصة فحياته عليه ، ومن كان سعيه لآخرته فحياته له . ويقال لي أشياء يجب على صاحب الدنيا إصلاحها وبذل جهده فيها : منها أمر دينه ، ومنها أمر معيشته ، ومنها ما بينه وبين الناس ، ومنهـــا ما يكسبه الذكر الجميل بعده . وقد قيل في امور من كن فيه لم يستقم

---

(١) كاسياً : مكتسيا (٢) لا يألو جهداً : لا يقصر في الجهد .
(٣) تؤاتيه : توافقه (٤) سيان : بمعنى سي مثل وسواء .

له عمل منها التواني[1] ومنها تضييع الفرص ، ومنها التصديق لكل مخبر ، ومنها التكذيب لكل عارف .

ورب مخبر بشيء عقله[2] ولا يعرف استقامته فيصدقه ، والذي يفعل ذلك من الناس ثلاثة : رجل يصدق بما جربه غيره وصدقه فيصدقه هو ويتمادى في التصديق حتى كأنما جربه بنفسه ، ورجل يصدق بالأمور التي جربها ولكن عن غير علم بحقيقتها ، ورجل تلتبس عليه الأمور فيصدق بها . وينبغي للعاقل ان يكون لهواه متهماً ولا يقبل من كل أحد حديثاً . ولا يتمادى في الخطأ إذا التبس عليه أمره ، ولا يلج في شيء عنه ولا يقدم عليه حتى يتبين له الصواب فيه وتستوضح له الحقيقة ، ولا يكون كالرجل الذي يزيغ عن الطريق فيستمر على الضلال فلا يزداد في السير جهداً إلا ازداد عن القصد بعداً . وكالرجل الذي تقذى عينه[3] فلا يزال يحكها حتى ربما كان ذلك الحك سبباً في ذهابها . ويجب على العاقل أن يصدق بالقضاء والقدر ويعلم أن ما كتب سوف يكون ، وأن من أتى صاحبه بما يكره لنفسه فقد ظلم . ويأخذ بالحزم في أموره ، ويحب للناس ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها ، فلا يطلب أمراً فيه مضرة لغيره طلباً لصلاح نفسه بفساد غيره فإن كل غادر مأخوذ . ومن فعل ذلك كان خليقاً أن يصيبه ما أصاب التاجر من رفيقه .

مثل الشريك المحتال والعدل المسروق

فإنه يقال : إنه كان تاجر وكان له شريك ، فاستأجرا حانوتاً وجعلا متاعهما فيه . وكان أحدهما قريب المنزل من الحانوت فأضمر[4] في نفسه

---

(١) التواني : التقصير والكسل (٢) عقله : أدركه بعقله .

(٣) تقذى : يصيبها قذى من غبار او نحوه (٤) ضمر : نوى .

أن يسرق عدلاً [1] من أعدل رفيقه ، ومكر الحيلة [2] في ذلك وقال :
إن انا أتيت ليلاً لم آمن أن أحمل عدلاً من اعدالي أو رزمة من رزمي ولا أعرفها فيذهب عنائي وتعبي باطلاً . فأخذ رداءه والقاه على العدل الذي أضمر أخذه ثم انصرف إلى منزله . وجاء رفيقه بعد ذلك ليصلح أعداله فقال : والله هذا رداء صاحبي ولا أحسبه إلا قد نسيه . وما الرأي أن أدعه ههنا بل أجعله على رزمة ، فلعله يستبقني الى الحانوت فيجده حيث يحب . ثم أخذ الرداء فالقاه على عدل من أعدال رفيقه وأقفل الحانوت ومضى إلى منزله .

فلما جاء الليل أتى رفيقه ومعه رجل قد واطأه [3] على ما عزم عليه وضمن له جعلاً [4] على حمله ، فصار إلى الحانوت فتحسس الرداء في الظلمة وتلمسه فوجده على العدل فاحتمل ذلك العدل وأخرجه هو والرجل وجعلا يتراوحان في حمله [5] حتى أتى منزله ورمى نفسه تعباً . فلما أصبح افتقده فإذا هو بعض أعداله فندم أشد الندامة ثم انطلق نحو الحانوت فوجد شريكه قد سبقه إليه ففتح الحانوت وفقد العدل فاغتم لذلك غماً شديداً وقال : واسوءتا [6] من رفيق صالح قد ائتمنني على ماله وخلفني [7] فيه ماذا يكون حالي عنده . ولست أشك في تهمته إياي ، ولكن قد وطنت نفسي [8] على غرامته [9] فلما اتاه صاحبه وجده مغتماً فسأله عن حاله فقال : إني قد افتقدت الاعدال وفقدت عدلاً من أعدالك ولا أعلم بسببه ، وإني لا أشك في تهمتك إياي وإني قد وطنت نفسي على غرامته .
فقال له : يا أخي ، لا تغتم فإن الخيانة شر ما عمله الإنسان ، والمكر

---

(١) العدل : الكيس الكبير في البضاعة (٢) مكر الحيلة : اضمرها بالمكر .
(٣) واطأه : وافقه (٤) الجعل : الاجرة (٥) يتراوحان في حمله : يتناوبان ، يحمله هذا مرة وهذا اخرى (٦) واسوءتا ، السوءة : الامر القبيح ، يريد واخجلتا .
(٧) خلفني : تركني فيه ، استخلفني (٨) وطنت نفسي : صممت ، عزمت .
(٩) غرامته : تعويضه عليه .

والخديعة لا يؤديان الى خير وصاحبهما مغرور أبداً وما غاد وبال[1] البغي إلا على صاحبه . وأنا أحد من مكر وخدع واحتـال . فقال له صاحبه : وكيف كان ذلك ؟ فأخـبره بأمره وقص عليه قصته . فقال له رفيقه : ما مثلك إلا مثل اللص والتاجر . فقال له وكيف كان ذلك ؟

مثل اللص المخدوع

قال : زعموا أن تاجراً كان له في منزله خابيتان إحداهما مملوءة حنطة والاخرى مملوءة ذهباً . فترقبه بعض اللصوص زماناً حتى إذا كان بعض الايام تشاغل التاجر عن المنزل ، فتغفله[2] اللص ودخل المنزل وكمن في بعض نواحيه . فلما هم بأخذ الخابية التي فيها الدنانير أخذ التي فيها الحنطة، وظنها التي فيها الذهب . ولم يزل في كد وتعب حتى أتى بها منزله . فلما فتحها وعلم ما فيها ندم .

قال له الخائن : ما أبعدت المثل ولا تجاوزت القياس وقد اعترفت بذنبي وخطإي عليك ، وعزيز علي أن يكون هذا كهذا ، غير أن النفس الرديئة تأمر بالفحشاء فقبل الرجل معـذرته وأضرب[3] عن توبيخه وعن الثقة به وندم هو عندما عاين من سوء فعله وتقديم جهله .

مثل الاخ الصغير المحسن الى اخويه

وقد ينبغي للناظر في كتابنا هذا ألا تكون غايته التصفح لتزاويقه بل يشرف على ما يتضمن من الامثـال حتى يأتي عليه[4] إلى آخر ويقف عند كل مثل وكلمة ويعمل فيهـا رويته . ويكون مثل ثالث

---

(١) وبال : سوء العاقبة (٢) تغفله : ترقب غفلته (٣) اضرب : أعرض .
(٤) يأتي عليه : يتمه .

الاخوة الثلاثة الذين خلف لهم أبوهم المـال الكثير فتنازعوه [1] بينهم ، فأما الاثنان الكبيران فإنهما أسرعا في إتلافه في غير وجهه . وأمـا الصغير فإنه عندما نظر مـا صار إليه أخواه من إسرافهما وتخليهما [2] من المال أقبل على نفسه يشاورها وقال : يا نفس إنما المال يطلبه صاحبه ويجمعه في كل وجه لبقاء حاله وصلاح معاشه ودنياه وشرف منزلته في أعين الناس واستغنائه عما في أيديهم وصرفه في وجهه من صلة الرحم [3] والإنفاق على الولد والإفضال على الإخوان .

فمن كان له مال ولا ينفقه في حقوقه كان كالذي يعـد فقيراً وإن كان موسراً وإن هو أحسن إمساكه [4] والقيام عليه [5] لم يعدم الأمرين جميعاً من دنيا تبقى عليه وحمد يضاف إليه . ومتى قصد إنفاقه على غير الوجوه التي حدّت [6] لم يلبث أن يتلفه ويبقى على حسرة وندامـة . ولكن الرأي أن امسك هذا المال فإني أرجو أن ينفعني الله به ويغني إخوتي على يدي فانما هو مال أبي ومال أبيهما . وإن أولى الإنفـاق على صلة الرحم ، وإن بعدت ، فكيف بإخوتي . فأنفذ فأحضرهما وشاطرهما ماله [7] .

مثل الصياد والصدفة

وكذلك يجب على قارىء هذا الكتاب أن يديم النظر من غير ضجر ويلتمس جواهر معانيه ولا يظن نتيجته إنما هي الإخبار عن حيـلة بهيمتين أو محاورة سبع لثور فينصرف بذلك عن الغرض المقصود ويكون

---

(١) تنازعوه : تقاسموه (٢) تخليهما : تفرغهما (٣) صلة الرحم : القرابة .
(٤) امساكه : ضبطه (٥) القيام عليه : أي تدبيره (٦) : حـدت : رسمت ، فرضت (٧) شاطرهما ماله : اعطاهما شطره أي نصفه .

مثله مثل الصياد الذي كان في بعض الخلج [1] يصيد فيه السمك في زورق فرأى ذات يوم في عمق [2] الماء صدفة تتلألأ حسناً فتوهمها جوهراً له قيمة . وكان قد ألقى شبكته في البحر فاشتملت على سمكة كانت قوت يومه فخلاها وقذف [3] نفسه في الماء ليأخذ الصدفة . فلما أخرجها وجدها فارغة لا شيء فيها مما ظن : فندم على ترك ما في يده للطمع على ما فاته . فلما كان اليوم الثاني تنحى عن ذلك المكان وألقى شبكته فأصاب حوتاً صغيراً ورأى أيضاً صدفة سنية [4] فلم يلتفت اليها وساء ظنه بها فتركها . واجتاز [5] بها بعض الصيادين فأخذها فوجد فيها درة تساوي أموالاً .

وكذلك الجهال على إغفال أمر التفكر في هذا الكتاب والاعتزاز به وترك الوقوف على اسرار معانيه والاخذ بظاهره [6] دون الأخذ بباطنه . ومن صرف همته الى النظر في ابواب الهزل منه فهو كرجل أصاب أرضاً طيبة حرة [7] وحباً صحيحاً فزرعها وسقاها حتى اذا قرب خيرها تشاغل عنها بجمع ما فيها من الزهر وقطع الشوك بتشاغله ما كان أحسن فائدة واجمل عائدة [8] .

وينبغي للناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أغراض : أحدها ما قصد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة من مسارعة أهل الهزل من الشبان إلى قراءته فتستمال به قلوبهم لأن هذا هو الغرض بالنوادر من حيل الحيوانات . والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ليكون أنساً لقلوب الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور [9] والثابت أن يكون على هذه الصفة فيتخذه

---

(١) خلج : جمع خليج هو جزء كبير من البحر داخل في البر (٢) عميق الماء : مسيله .
(٣) قذف : رمى (٤) سنية : كريمة (٥) اجتاز : مر (٦) الاخذ بظاهره : الاعتماد على الظاهر دون الباطن (٧) حرة : لا رمل فيها (٨) عائدة : منفعة .
(٩) للنزهة : لترويح القلب بالنظر الى الرسوم لانه كان ذا صور كما مر .

الملوك والسوقة فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الايام ، ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبداً . والغرض الرابع وهو الاقصى مخصوص بالفيلسوف خاصة .

قال عبد الله بن المقفع : لما رأيت أهل فارس قد فسروا[1] هذا الكتاب من الهندية الى الفارسية والحقوا به باباً وهو باب برزويه الطبيب ولم يذكروا فيه ما ذكرنا في هذا الباب لمن أراد قراءته واقتباس علومه وفوائده وضعنا له هذا الباب . فتأمل ذلك ترشد إن شاء الله تعالى .



(١) أراد بفسروا : نقلو او ترجموا .

المقدمة الثانية

وعنوانها

برزويه

لبزرجمهر بن البختكان

قال برزويه بن أزهر ، رأس أطباء فارس ، وهو الذي تولى انتساخ هذا الكتاب وترجمه من كتب الهند وقد مضى ذكر ذلك من قبل .

إن أبي كان من المقاتلة[1] وكانت أمي من عظماء بيوت الزمازمة[2]، وكان منشإي في نعمة كاملة وكنت أكرم ولد أبويّ عليهما وكانا بي أشد احتفاظاً من دون إخوتي ، حتى إذا بلغت سبع سنين أسلماني إلى المؤدب . فلما حذقت الكتابة شكرت أبويّ ونظرت في العلم فكان أول ما ابتدأت به وحرصت عليه علم الطب لأني كنت عرفت فضله ، فأقمت في تعلمه سبع سنين ، وكلما ازددت منه علماً ازددت عليه حرصاً وله اتباعاً ، حتى أحطت منه بعلم وافر وقدرت على غوامضه .

فلما همت نفسي بمداواة المرضى وعزمت على ذلك ، آمرتها[3] ثم خيرتها بين الأمور الأربعة التي يطلبها الناس وفيها يرغبون ولها يسعون . فقلت : أي هذه الخلال أبتغي في علمي ؟ وأيها أحرى بي فأدرك منه حاجتي ؟

---

(١) المقاتلة : المقاتلين . (٢) الزمازمة : طائفة من الفرس . (٣) آمرتها : شاورتها .

المال ، أم الذكر ، أم اللذات ، أم الآخرة ؟ وكنت وجدت في كتب الطب أن أفضل الأطباء من واظب على طبه لا ينبغي إلا أجر الآخرة . فرأيت أن أطلب الاشتغال بالطب ابتغاء الآخرة ورجاء أجر المنقلب[1] ، لا أبتغي مكافأة الدنيا ولا تعجيلها ، لئلا أكون كالتاجر الذي باع ياقوتة ثمينة ، كان يصيب بثمنها غنى الدهر ، بخرزة لا تساوي شيئاً . مع أني قد وجدت في كتب الأولين أن الذي يبتغي بطبه أجر الآخرة لا ينقصه ذلك حظه من الدنيا ، وأن مثله مثل الزارع الذي يبذر حبه في الأرض ويعمرها[2] ابتغاء الزرع لا ابتغاء العشب ، ثم هي لا محالة نابت فيها ألوان العشب مع ناضر[3] الزرع ، فأقبلت على مداواة المرضى ابتغاء أجر الآخرة . فلم أدع مريضاً أرجو له البرء ، وآخر لا أرجو له ذلك ، إلا أني أطمع أن يخف عنه بعض المرض ، إلا بالغت في مداواته جهدي . ومن قدرت على القيام عليه[4] قمت عليه بنفسي ، ومن لم أقدر على القيام عليه وصفت له ما يصلح وأعطيته من الدواء ما يتعالج به وأمرته بالذي ينبغي . ولم أرد ممن فعلت معه ذلك جزاء ولا مكافأة . ولم أغبط[5] أحداً من نظرائي[6] الذين هم مثلي في العلم ولا من هم فوقي في الجاه والمال وغيرهما مما لا يعود بصلاح ولا حسن سيرة قولاً ولا عملاً .

ولما كانت نفسي تتوق إلى ذلك وتنازعني[7] في أن تنال مثل منالهم كنت آبى لها إلا الخصومة وأقول لها : يا نفس أما تعرفين نفعك من ضرك ؟ ألا تنتهين عن طلب ما لا يناله أحد إلا قلّ انتفاعه به ، وكثر عناؤه فيه ، واشتدت المؤونة[8] عليه ، وعظمت المشقة لديه بعد فراقه ؟ يا نفس ، أما تذكرين ما بعد هذه الدار فينسيك ما تشرهين

---

(١) المنقلب : العاقبة . (٢) يعمرها : يصلحها . (٣) ناضر : خصيب .
(٤) القيام عليه : ملازمته والقيام بشأنه . (٥) اغبط : أتمنى مثل حاله .
(٦) نظرائي : أمثالي . (٧) تنازعني : تجاذبني . (٨) المؤونة : الثقل والشدة .

إليه[١] منها ؟ ألا تستحين من مشاركة الفجار في حب هذه العاجلة الفانية التي من كان في يده منها شيء فليس له وليس بباق عليه فلا يألفهـــا إلا المغررون الجاهلون ؟

يا نفس انظري في أمرك وانصرفي عن هذا السّفه[٢] وأقبلي بقوتك وسعيك على تقديم الخير وإياك والتسويف واذكري أن هذا الجسد موجود لآفات[٣] ، وأنه مملوء اخلاطاً فاسدة قذرة متعادية متغالبة تعقدهـــا الحياة ، والحياة إلى نفـاد كالصنم المفصلة أعضاؤه إذا ركبت ووضعت جمعها في مواضعها مسمار واحد يمسك بعضها على بعض ، فإذا أخذ ذلك المسمار تساقطت تلك الأوصال[٤] .

يا نفس ، لا تغتري بصحبة أحبائك وخلانك ، ولا تحرصي على ذلك كل الحرص ، فإن صحبتهم على ما فيها من البهجـــة والسرور كثيرة المؤونة والأذى وعاقبة ذلك الفراق . ومثلها مثل المغرفة التي تستعمل في جدتها لسخونة المرق ولذعه ، فإذا قدمت صارت وقوداً في النار .

يا نفس لا يحملنك أهلك وأقاربك على جمع ما تهلكين فيـه إرادة صلتهم[٥] فإذا أنت كالدخنة[٦] الأرجة[٧] التي تحترق ويذهب آخرون بريحهـــا .

يا نفس لا تركني إلى هذه الدار الفانية ، ولا تغتري بهـا طمعاً في البقاء والمنزلة التي ينظر إليها أهلها . فكأي[٨] ممن لا يبصر صغر مـا

(١) تشرهين اليه : تحرصين عليه حرصا شديداً . (٢) السفه : الخفة والطيش .
(٣) آفات : أعراض مفسدة . (٤) الاوصال : الاعضاء .
(٥) صلتهم : الاحسان اليهم . (٦) الدخنة : نوع من الطيب المنتشر الرائحة .
(٧) الارجه : ذات الاريج وهو الطيب الرائحة .
(٨) فكأي : فكم ، وهي تفيـد الكثرة .

يستعظم وحقارته حتى يفارقه ، كشعر الرأس الذي يخدمه صاحبه ويكرمه ما دام على رأسه ، فإذا فارق رأسه استقذره ورفضه .

يا نفس لا تملي من عيادة المرضى ومداواتهم ، واعتبري كيف يجهد الرجل أن يفرج عن مضيم واحد[1] كُربة واحدة ويستنقذه منها رجاء الأجر . فكيف بالطبيب الذي يفعل كثيراً من ذلك مع كثيرين ، إن هذا الخليق أن يعظم رجاؤه ويوثق منه بحسن الثواب .

يا نفس لا يبعد عليك أمر الآخرة فتميلي إلى العاجلة في استعجال القليل وبيع الكثير باليسير كالتاجر الذي كان له ملء بيت من الصندل[2] فقال : إن بعته وزناً طال عليّ فباعه جزافاً[3] بابخس الثمن . وقد وجدت آراء الناس مختلفة وأهواءهم متباينة وكل على كل عاد[4] وله عدو ومغتاب[5] وفيه واقع .

فلما رأيت ذلك لم أجد إلى متابعة أحد منهم سبيلاً وعرفت أني إن صدقت أحداً منهم لا علم لي بحاله كنت في ذلك كالمصدق المخدوع .

مثل المصدق المخدوع

زعموا فيه أن سارقاً علا ظهر بيت رجل من الأغنياء وكان معه جماعة من أصحابه ، فاستيقظ الرجل من وطئهم فأيقظ امرأته فأعلمها بذلك وقال لها : رويداً إني لأحسب اللصوص علوا على البيت فأيقظيني بصوت يسمعه اللصوص وقولي : ألا تخبرني ، أيها الرجل ، عن أموالك

(١) مضيم : اللاحق به الضيم أي الظلم . (٢) الصندل : حب طيب الرائحة .
(٣) جزافا : هدراً بلا فائدة . (٤) عاد : معتد .
(٥) مغتاب : قادح في غيره وهو غائب .

هذه الكثيرة وكنوزك العظيمة من أين جمعتها ؟ فإذا امتنعت عليك فألحّي عليَّ في السؤال واستحلفيني حتى أقول لك . ففعلت المرأة ذلك وسألته كما أمرها وأنصتت اللصوص إلى سماع قولها .

فقال لها الرجل : أيتها المرأة ، قد ساقك القدر إلى رزق واسع ومال كثير فكلي واشربي ولا تسألي عن أمر إن اخبرتك به لم آمن أن يسمعه أحد فيكون في ذلك مما أكره وتكرهين .

فقالت المرأة : أخبرني ، أيها الرجل ، فلعمري[1] ما بقربنا أحد يسمع كلامنا . فقال لها : فإني مخبرك أني لم أجمع هذه الأموال إلا من السرقة . قالت : وكيف كان ذلك ؟ وما كنت تصنع وأنت عند الناس من البررة[2] الصلاح ؟ قال : ذلك لعلم أصبته في السرقة وكان الأمر علي يسيراً وأنا آمنٌ من أن يتهمني أحد أو يرتاب بي . قالت : فاذكر لي ذلك . قال : كنت أذهب في الليلة المقمرة ، أنا وأصحابي ، حتى أعلو دار بعض الأغنياء مثلنا فأنتهي[3] إلى الكوة[4] التي يدخل منها الضوء فأرقي[5] بهذه الرقية وهي : « شولم شولم » سبع مرات واعتنق الضوء فلا يحس بوقوعي أحد ولا يبقى في البيت شيء إلا أتاني قاصداً مطيعاً ، فلا أدع مالاً ولا متاعاً إلا أخذته . ثم أعيد العزيمة[6] أيضاً وأعتنق الضوء فيجذبني فأصعد إلى أصحابي فنمضي سالمين آمنين . وليس على من يفعل ذلك إلا أن تكون له جرأة فيسلم نفسه إلى حبال الضوء ويتعلق بها وينزل عليها ، فاكتمي ذلك وإياك أن تعلميه لأحد .

فلما سمع اللصوص ذلك قالوا : قد ظفرنا الليلة بما نريد من المال ،

---

(١) لعمري : قسما بعمري . (٢) البررة : جمع بار . (٣) انتهى : وصل .
(٤) الكوة : النافذة . (٥) ارقي : أسحر ، من أعمال السحرة .
(٦) العزيمة : الرقية .

ثم إنهم أطالوا المكث حتى ظنوا أن صاحب الدار وزوجته قد هجعا[1] وكانت تلك الليلة مقمرة وللبيت كوة نافذ منها الضوء ، فقام قائدهم إلى مدخل الضوء وقال : « شولم شولم » سبع مرات ثم اعتنق الضوء لينزل إلى أرض المنزل فوقع على أم رأسه[2] منكساً[3] فوثب إليه الرجل بهراوته وقال له : من أنت ؟ قال : أنا المصدق المخدوع المغتر بما لا يكون أبداً ، وهذه ثمرة رقيتك وعاقبة من يصدق كل ما يسمع .

فلما تحرزت من تصديق ما لا يكون ولم آمن إن صدقته أن يوقعني في تهلكه ، عدت إلى البحث عن الاديان والتماس العدل[4] منها . فلم أجد عند أحد ممن كلمته جواباً فيما سألته فيها ولم أر فيما كلموني به شيئاً يحق لي في عقلي أن أصدق به ولا أن أتبعه . فقلت : لما لم أجد ثقة آخذ منه فالرأي أن ألزم دين آبائي وأجدادي الذي وجدتهم عليه وهممت بذلك . ثم التمست لنفسي مخرجاً فقلت : إن كان من يفعل هذا معذوراً ، فإن الذي يجد أباه ساحراً ويجري على مثاله يكون غير ملوم مع أشباه ذلك مما لا يحتمله العقل . وذكرت في ذلك قول رجل كان فاحش الأكل[5] فعوتب في ذلك فقال : كذلك كان أكل أبي وجدي ، فلما ذهبت التمس العذر لنفسي في لزوم دين الآباء والأجداد ، لم أجد لها على الثبوت على دين الآباء طاقة ، بل وجدتها تريد أن تتفرغ للبحث عن الاديان والمسألة عنها والنظر فيها ، فهجس[6] في قلبي وخطر على بالي قرب الأجل وسرعة انقطاع الدنيا واعتباط[7] أهلها وتخرم[8] الدهر حياتهم . ففكرت في ذلك وقلت : أما أنا فلعلي قد

---

(١) هجعا : ناما (٢) أم رأسه : دماغه . (٣) منكسا : منقلبا .
(٤) العدل : العادل . (٥) فاحش الاكل : المكثر منه . (٦) هجس : جال، خطر.
(٧) اعتباط : الموت بغتة . (٨) تخرم : استئصال .

قرب أجلي وحانت نقلتي[1] ، وقد كنت أعمل أموراً محمودة أرجو أن تكون أصلح الأعمال . ولعل ترددي شغلني عن خير كنت أعمله فيكون أجلي دون ما تطمح إليه نفسي ويطلبه أملي . ويصيبني ما أصاب الرجل الذي زعموا أنه تواطأ[2] مع خادم في بيت لأحد الأغنياء على أن يأتي البيت في كل ليلة يغيب أهله فيجمع الخادم مما في البيت فيذهب به ويبيعه ويتشاطرا ثمنه .

فاتفق ، ذات ليلة ، أن غاب أهل البيت وبقي الخادم وحده فأنفذ فأخبر صاحبه ، فأقبل حتى دخل البيت وأخذا في الجمع مما فيه . وبينما هما يجمعان إذ قرع الباب . وكان للبيت باب آخر لم يكن يعلمه الرجل ، وكان ذلك الباب عند جب[3] الماء . فقال الخادم للرجل ، على عجل منه وخيفة : بادر أخرج من الباب الذي عند جب الماء ... وأشار له إلى موضعه . فانطلق الرجل إلى ذلك المكان فوجد الباب ولكن لم يجد جب الماء ، فرجع إليه وقال له : أما الباب فوجدته ، وأما الجب فلم أجده . فقال له : أيها المائق[4] ، وما تصنع بالجب ؟ أنا دللتك به لتعرف الباب ، فإذ قد عرفته فاذهب عاجلاً . فقال له : لم يكن ذلك صدقاً ، فَلِمَ ذكرت الجب وليس هو هناك ؟ فقال له : ويحك ، أيها الأحمق ، انج بنفسك ودع عنك الحمق والتردد ! فقال له : كيف أمضي وقد خلطت عليّ وذكرت الجب وليس هناك ؟ فلم يزل على مثل هذه الحال حتى دخل رب البيت فأخذه وأوجعه ضرباً ورفعه[5] إلى السلطان .

فلما خفت من التردد رأيت ألا أتعرض له ولا لما أتخوف منه المكروه ، واقتصرت على كل شيء تشهد به العقول وتتفق عليه أهل

---

(١) نقلتي : الاسم من الانتقال بمعنى الموت . (٢) تواطأ : اتفق .
(٣) جب : بئر . (٤) المائق : الاحمق الغبي . (٥) رفعه : قدمه .

الأديان ويرى أنه صواب وحق . فكففت يدي عن الضرب والقتل والسرقة ، وزجرت نفسي عن الكبر[1] والغضب ، ونزهت قلبي عن الحقد والبغض والخيانة ، وصنت لساني عن الكذب والبهتان والغيبة[2] والنميمة وكل أمر مكروه . وأضمرت في نفسي ألا أبغي على أحد ولا أكذب بالبعث ولا القيامة ولا الثواب ولا العقاب ، وأن لا إله إلا الله الفرد الصمد[3] يكافىء على الخير بالخير وعلى الشر بالشر ، وأن لا بد من المسألة والحساب . وزايلت[4] الأشرار وحاولت الجلوس مع الأخيار بجهدي . ورأيت كلا من الصلاح والعلم ليس كمثله صاحب ولا قرين[5] ووجدت مكسبه ، إذا وفق الله وأعان ، يسيراً ، ووجدته يدل على الخير ، ويشير بالنصح ، فعل الصديق بالصديق . ووجدته لا ينقص على الإنفاق منه ، بل يزداد ولا يخلق على كثرة الاستعمال ، بل يجد ويزهو ويكثر . ووجدته لا خوف عليه من السلطان أن يغصبه[6] ، ولا من الآفات أن تفسده ، ولا من الماء أن يغرقه ، ولا من النار أن تحرقه ، ولا من اللصوص أن تسرقه ، ولا من السباع وجوارح الطير[7] أن تمزقه .

ووجدت الرجل الساهي اللاهي المؤثر اليسر يناله في يومه ويعدمه في غده على الكثير الباقي نعيمه . يصيبه فيما ذهبت فيه أيامه ما أصاب التاجر الذي زعموا أن تاجراً كان له جوهر نفيس فاستأجر لثقبه رجلاً في اليوم على مئة درهم يدفعها إليه وانطلق به إلى منزله ليعمل . وإذا في ناحية البيت صنج[8] موضوع ، فقال التاجر للصانع : هل تحسن الضرب بالصنج ؟

(١) الكبر : الكبرياء . (٢) البهتان : القول على الناس ما لم يفعلوه .
(٣) الصمد : من اسماء الله ، ومعناه الدائم . (٤) زايلت : فارقت .
(٥) قرين : مصاحب وعشير . (٦) يغصبه : يأخذه قهرا وظلما .
(٧) جوارح الطير : قويها وفاتكها . (٨) صنج : آلة من آلات الطرب .

قال : نعم ... وكان بضربه ماهراً .

فقال الرجل : دونك[1] الصنج فأسمعنا ضربك به .

فأخذ الرجل الصنج ولم يزل يسمع التاجر الضرب الصحيح ، والصوت الرخيم ، والتاجر يشير بيده ورأسه طرباً حتى أمسى . فلما حان الغروب قال الرجل للتاجر : مُر لي بالأجرة . فقال له التاجر : وهل عملت شيئاً تستحق به الأجرة ؟

فقال له : عملت ما امرتني به . وانا أجيرك وما استعملتني[2] عملت . ولم يزل به حتى استوفى منه مئة الدرهم وبقي جوهره غير مثقوب .

فلم أزدد في الدنيا وشهواتها نظراً إلا ازددت فيها زهادة ، ومنها هرباً ، ووجدت النسك هو الذي يمهد للمعاد[3] كما يمهد الوالد لولده . ووجدته هو الباب المفتوح إلى النعيم المقيم ووجدت الناسك قد تدبر فعلته[4] بالسكينة[5] والوقار ، فشكر وتواضع ، وقنع فاستغنى ، ورضي فلم يهتم ، وخلع الدنيا فنجا من الشرور ، ورفض الشهوات فصار طاهراً ، وطرح الحسد فوجبت له المحبة ، وانفرد بنفسه فكفي الأحزان وسخت نفسه بكل شيء ، واستعمل العقل فأبصر العاقبة فأمن الندامة ، واعتزل الناس فسلم منهم ولم يخفهم .

فلم أزدد في أمر النسك نظرا إلا ازددت فيه رغبة حتى هممت أن أكون من أهله . ثم تخوفت ألا أصبر على عيش الناسك ولا أقوى على عسره ومشقته لما اعتدته وغذيت به منذ كنت وليداً . ولم آمن ، إن تركت الدنيا وأخذت في النسك ، أن أضعف عن ذلك وأكون قد

---

(١) دونك : خذ . (٢) استعملتني : طلبت مني عمله . (٣) للمعاد : للاخرة .
(٤) تدبر فعلته : نظر في عواقبها . (٥) السكينة : الطمأنينة والهدوء .
(٦) عالدتها : نفعها .

رفضت أعمالاً كنت أرجو عائدتها ، وقد كنت أعملها فانتفع بها في الدنيا . فيكون مثلي في ذلك مثل الكلب الذي مر بنهر وفي فيه ضلع فرأى ظلها في الماء فأهوى[1] ليأخذها فأتلف ما كان معه ولم يجد في الماء شيئاً . فهبت[2] النسك مهابة شديدة ، وخفت من الضجر وقلة الصبر ، وأردت الثبوت على حالتي التي كنت عليها . ثم بدا لي أن أقيس ما أخاف ألا أصبر عليه من الشظف[3] والضيق والخشونة في النسك وما يصيب صاحب الدنيا من البلاء . وكان عندي أنه ليس شيء من شهوات الدنيا ولذاتها إلا وهو متحول إلى الأذى ومولد للحزن فالدنيا كالماء الملح الذي لا يزداد شاربه شرباً إلا ازداد عطشاً . وكالعظم الذي يصيبه[4] الكلب فيجد فيه ريح اللحم فلا يزال يطلب ذلك اللحم حتى يدمي فاه ولا ينال شيئاً مما طلب . وكالحدأة[5] التي تظفر بالبضعة[6] من اللحم فيجتمع عليها الطير فلا تزال تدور وتدأب[7] حتى تعيي وتعجز فإذا تعبت ألقت ما معها . وكالكوز من العسل الذي في أسفله السم الذي يذاق منه حلاوة عاجلة وآخره موت زعاف . وكأحلام النائم التي يفرح بها الإنسان في نومه فإذا استيقظ ذهب الفرح . وكالبرق الذي يضيء يسيراً فيطمع بالنور ثم يذهب بغتة ويرجع الظلام ، وكدودة القز التي تنسج نهاراً وليلاً وتهلك وسط نسيجها الذي كلما زادت منه نسجاً زاد استحكاماً ومنعاً لها عن الخروج .

فلما فكرت في هذه الأمور رجعت إلى طلب النسك وهزني الاشتياق إليه وقلت : لا يليق بي أن أقيس الدنيا بالنسك إذا تفكرت فيها وفي شرورها وأحزانها . ثم خاصمت نفسي إذ هي في شرورها سارحة وقد

(١) أهوى : انحنى ومال . (٢) هبت : خفت . (٣) الشظف : ضيق العيش وشدته.
(٤) يصيبه : يجده . (٥) الحدأة : طائر (٦) البضعة : القطعة .
(٧) تدأب : تجتهد .

لا تثبت على أمر تعزم عليه ، كقاض سمع من خصم واحد فحكم له ، فلما حضر الخصم الثاني عاد إلى الأول فقضى عليه . ثم نظرت في الذي أكابده من احتمال النسك وضيقه فقلت : ما أصغر هذه المشقة في جانب روح الأبد وراحته . ثم نظرت فيما تشره[1] إليه النفس البهيمية من لذة الدنيا فقلت : ما أمر هذا وأوجعه ، وهو يدفع إلى عذاب الأبد وأهواله . وكيف لا يستحلي الرجل مرارة قليلة تعقبها حلاوة طويلة ؛ وكيف لا تمر عليه حلاوة قليلة تعقبها مرارة دائمة ! وقلت : لو أن رجلاً عرض عليه أن يعيش مئة سنة لا يأتي عليه يوم واحد إلا بضع منه بضعة[2] ، غير أنه يشرط له أنه إذا استوفى السنين المئة نجا من كل ألم وأذى وصار إلى الأمن والسرور ، كان حقيقاً ألا يرى تلك السنين شيئاً . فكيف يأبى الصبر على أيام قلائل يعيشها في النسك ، وأذى تلك الأيام قليل يعقب خيراً كثيراً . أو ليس أن الدنيا كلها بلاء وعذاب ، والإنسان إنما يتقلب في عذابها من حين يولد إلى أن يستوفي أيام حياته .

فإنه إذا كان طفلاً ذاق من العذاب ألواناً : إن جاع فليس به استطعام[3] ، أو عطش فليس به استسقاء[4] ، أو وجع فليس به استغاثة ، مع ما يلقى من الوضع والحمل واللف والدهن والمسح ، إن أنيم على ظهره لم يستطع قياماً ولا تقلباً . ثم يلقى أصناف العذاب ما دام رضيعاً ، فإذا أفلت من عذاب الرضاع أخذ في عذاب الأدب فأذيق منه ألواناً من عنف المعلم ، وضجر الدرس وسآمة الكتابة . ثم له من

---

(١) تشره : تميل اليه .　　(٢) بضع منه بضعة : قطع منه قطعة .

(٣) استطعام : طلب الطعام .　　(٤) استسقاء : طلب الشراب .

الدواء والحمية[1] والأسقام والأوجاع أوفى نصيب فاذا أدرك لحقه هم الاهل وكانت همته في جمع المال وتربيـة الولد ومحاطرة الطلب والسعي والكد والتعب . وهو مع كل ذلك يتقلب مع أعدائـه الباطنين اللازمين له وهم المرة الصفراء والمرة السوداء ، والريـــح والبلغم والدم مع السم المميت والحمة اللادعة والخوف من السباع والهوام مع تقلب الفصول من الحر والبرد والأمطار والرياح والثلوج والشيطـــان الدائم والقرين السوء وغير ذلك من الطوارىء الرديئة ثم أنواع عذاب الهرم لمن يبلغه .

فلو لم يخف من هذه الأمور شيئاً ، وكان قد أمن ووثق بالسلامـة منها فلم يفكر بها لوجب عليه أن يكون مفكراً في الساعة التي يحضره فيها الموت ويفارق الدنيا ، فيذكر ما هو نازل به في تلـك لساعة مما هو أشد جداً من ذلك ، من فراق الأحبة والأقارب والمال وكل مضنون[2] به من الدنيا مع الإشراف على الهول العظيم بعد الموت . فـلو لم يفعل ذلك لكان حقيقاً أن يعد عاجزاً مفرّطاً[3] ، محباً للدناءة ، مستحقاً لـلوم .

فمن ذا الذي يعلم هذا ولا يستعد له قبل حلوله ويحتال لغد جهده في الحيلة ، ويرفض ما يشغله ويلهيه من شهوات الدنيا وغرورهـا ، ولا سيما في هذا الزمان الشبيه بالصافي وهو كدر . فإنـــه وإن كان الملك حازماً ، عظيم المقدرة ، رفيع الهمة ، بليغ الفحص ، عدلاً[4] مرجواً صدوقاً شكوراً ، رحب الذراع[5] ، مواظباً على الحسنى ، عالما بالناس ، مهتما بأمور رعيته ، ناظراً في أحوالهم ، محباً للعلم والخير والاخيـار ،

(١) الحمية : التوقي في الاكل . (٢) مضنون به . مبخول به

(٣) مفرطاً مقصراً . (٤) عدلاً : عادلاً . (٥) رحب الذراع : واسع الخلق .

شديداً على الظلمة ، غير جبان ولا خفيف القياد[1] رفيقاً بالتوسع على الرعية فيما يحبون والدفع لما يكرهون ، فإنا قد نرى الزمان مدبراً[2] بكل مكان حتى كأن أمور الصدق قد نزعت من الناس ، فأصبح ما كان عزيزاً فقده مفقوداً ، وموجوداً ما كان ضائراً[3] وجوده ، وكأن الخير أصبح ذابلاً ، والشر ناضراً[4] ، وكأن الفهم أصبح قد زالت سبله ، وكأن اتباع الهوى وإضاعة الحكم أصبح بالحكم موكلاً[5] ، وأصبح المظلوم بالحيف[6] مقراً ، والظالم بنفسه مستطيلاً[7] وكأن الحرص أصبح فاغراً فاه من كل جهة يتلقف[8] ما قرب منه وما بعد ، وكأن الرضى أصبح مجهولاً وكأن الأشرار يقصدون السماء صعوداً ، وكأن الأخيار يريدون بطن الأرض . وأصبحت المروءة مقذوفاً بها من أعلى شرف[9] إلى أسفل درك ، وأصبحت الدناءة ممكنة ، وأصبح السلطان منتقلاً عن أهل الفضل إلى أهل النقص ، وكأن الدنيا جذلة مسرورة تقول قد غيبت الخيرات وأظهرت السيئات .

فلما فكرت في الدنيا وأمورها ، وأن الإنسان هو أشرف الخلق فيها وأفضله ، ثم هو لا يتقلب إلا في الشرور والهموم عجبت من ذلك كل العجب ، وتحققت أنه ليس إنسان ذو عقل يعلم ذلك ، ثم لا يحتال لنفسه في النجاة ويلتمس الخلاص ، وإن فرط في ذلك فهو عندي عاجز قليل الرأي ناقص الهمة فيما له وعليه . ثم نظرت فإذا الناس كلهم مفرطون في ذلك مغفلون له فقضيت العجب من ذلك ، والتمست[10] لهم عذراً فيه ونظرت ، فإذا الإنسان لا يمنعه عن الاحتيال لنفسه إلا

---

(١) القياد : اي غير سهل الانقياد . (٢) مدبراً : مولياً . (٣) ضائراً : مضراً .
(٤) ناضراً : زاهياً . (٥) موكلاً : لازما لهم معلقا بهم . (٦) الحيف : الظلم والجور . (٧) مستطيلا : متطلبا . (٨) يتلقف : يتناول . (٩) اعلى شرف : مكان عال . (١٠) التمست : طلبت .

لذة صغيرة حقيرة من النظر والسمع والشم والذوق واللمس ، لعله يصيب منها الطفيف أو يقتني منهـا اليسير . فإذا ذلك يشغله ويذهب بـه عن الاهتمام لنفسه وطلب النجاة لها .

مثل الرجل والتنين في البئر

التمست للإنسان مثلاً فإذا مثله مثل رجل نجا من خوف فيل هائج إلى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين كانا على سمائها[1] فوقعت رجـلاه على شيء في طي البئر[2] فإذا حيَّات أربع قـد أخرجن رؤوسهن من أجحارهن[3] ، ثم نظر فإذا في قعر البئر تنين فاتح فـاه منتظر له ليقع فيأخذه . فرفع بصره إلى الغصنين فاذا في أصلهما جرذان أسود وأبيض وهما يقرضان الغصنين دائبين لا يفتران[4] فبينما هو في النظـر لأمره والاهتمام لنفسه إذ بصر قريباً منه بخلية[5] فيها عسل فذاق العسل فشغلته حلاوته وألهته لذته عن الفكرة في شيء من أمره وأن يلتمس الخلاص لنفسه . ولم يذكر أن رجليه على حيات أربـع لا يدري متى يقع عليهن . ولم يذكر أن الجرذين دائبان في قطع الغصنين ومتى انقطعا وقعَ على التنين . فلم يزل لاهياً ، غافلاً ، مشغولاً بتلك الحلاوة ، حتى سقط في فم التنين فهلك .

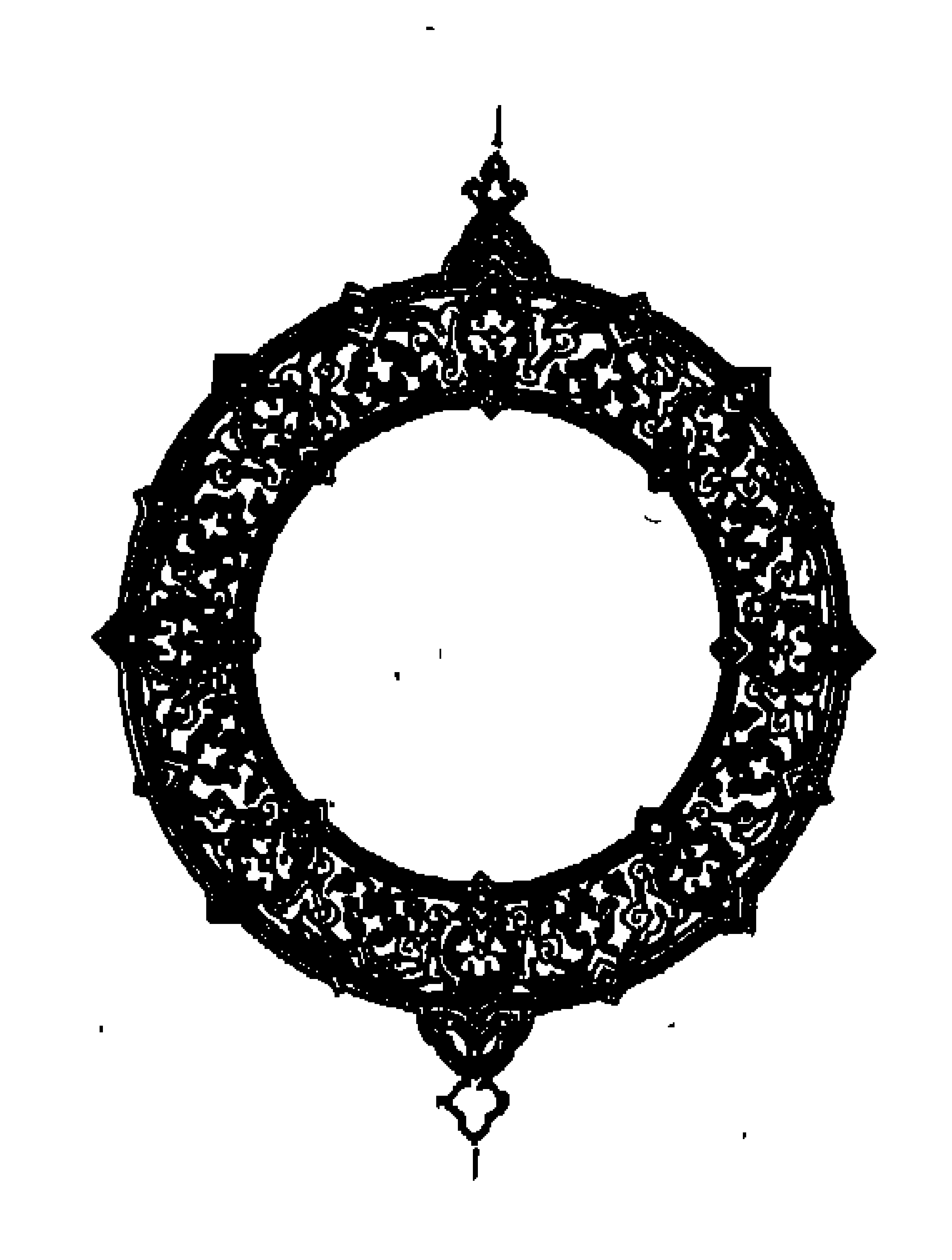
فشبهت بالبئر الدنيـا المملوءة آفات وشروراً ومخافات وعاهـات . وشبهت بالحيات الأربع الأخلاط[6] الأربعة التي في البدن ، فإنهـا متى

(١) سمائها : أعلاها . (٢) طي البئر : جانبها المبني بالحجارة . (٣) أجحارهن : الجحر ، بتقديم الجيم ، للهوام والسباع ، كالوكر للطير . (٤) يفتران . يملان .

(٥) خلية : بيت النحل . (٦) الاخلاط الاربعة هي : الدم والبلغم والصفراء والسوداء .

هاجت أو هاج أحدها كانت كحمة الأفاعي[1] والسم المميت . وشبهت بالغصنين الأجل الذي هو إلى حين ، ثم لا بد من فنائه وانقطاعــه . وشبهت بالجرذين الأسود والابيض الليل والنهار اللذين هما دائبان في إفناء الاجل وشبهت بالتنين المصير الذي لا بد منه . وشبهت بالعسل هـــذه الحلاوة القليلة التي ينال منها الإنسان فيرى ويطعم ويسمع ويشم ويلمس ويتشاغـل عن نفسه ويلهو عن شأنـه فينسى أمر الآخرة ويصد عن سبيل قصده .

فحينئذ صار أمري إلى الرضى بحالي وإصلاح ما استطعت إصلاحـه من عملي لعلي أصادف في باقي أيامي زماناً أصيب فيه دليلاً على هداي وسلطاناً على نفسي وقواماً على أمري . فأقمت على هذه الحال واتجهت إلى بلاد الهند في طلب العقاقير والادوية . ثم عدت إليها في انتساخ هذا الكتاب .وانصرفت منها إلى بلادي . وقـد انتسخت من كتبهم كتبـاً كثيرة منها هذا الكتاب .



(١) الحمة : الناب التي تلسع بها الافاعي اي الحيات .

الفصل الأول

الأسد والثور

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف ، وهو رأس البراهمه : أضرب لي مثلاً لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء .

قال بيدبا : إذا ابتلى المتحابان بأن يدخل بينهما الكذوب المحتال لم يلبثا أن يتقاطعا ويتدابرا[1] ، وآفة[2] المودة النميمة .

مثل التاجر وبنيه

ومن أمثال ذلك : أنه كان بأرض دستاوند رجل شيخ له ثلاثة بنين ، فلما بلغوا أشدهم[3] أسرفوا في مال أبيهم ولم يكونوا احترفوا حرفة يكسبون بها لأنفسهم خيراً ، فلامهم أبوهم ووعظهم على سوء فعلهم . وكان من قوله لهم : يا بنيّ إن صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور

---

(١) يتدابرا : يختلفا ويتباعدا : (٢) الآفة : المضرة او عرض مفسد لما أصابه .

(٣) أشدهم : قوتهم . اصبحوا شبابا .

لن يدركها إلا بأربعة أشياء . أما الثلاثة التي يطلب : فالسعة في الرزق ، والمنزلة في الناس ، والزاد للآخرة . وأما الأربعة التي يحتاج إليها في درك[1] هذه الثلاثة : فاكتساب المال من أحسن وجه يكون ، ثم حسن القيام[2] على ما اكتسب منه ، ثم استثماره ، ثم إنفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الأهل والإخوان فيعود عليه نفعه في الآخرة .

فمن ضيع شيئاً من هذه الأحوال لم يدرك ما أراد من حاجته ، لأنه إن لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به . وإن هو كان ذا مال واكتساب ثم لم يحسن القيام عليه أوشك المال أن يفنى ويبقى معدماً . وإن هو وضعه ولم يستثمره لم تمنعه قلة الإنفاق من سرعة الذهاب كالكحل الذي لا يؤخذ منه إلا غبار الميل ، ثم هو مع ذلك سريع فناؤه . وإن هو أنفقه في غير وجهه ووضعه في غير موضعه وأخطأ به مواضع استحقاقه صار بمنزلة الفقير الذي لا مال له . ثم لم يمنع ذلك أيضاً ماله من التلف بالحوادث والعلل التي تجري عليه ، كمحبس الماء الذي لا تزال المياه تنصب فيه ، فإن لم يكن له مخرج ومفاض[3] ومتنفس يخرج منه الماء بقدر ما ينبغي ، خرب وسال ونز من نواح كثيرة وربما انبثق[4] البثق العظيم فذهب الماء ضياعاً . وإن بني الشيخ اتعظوا بقول أبيهم وأخذوا به وعلموا أن فيه الخير وعولوا عليه .

فانطلق أكبرهم نحو أرض يقال لها (ميُون) فأتى في طريقه على مكان فيه وحل كثير ، وكان معه عجلة يجرها ثوران يقال لأحدهما : شتربة ، وللآخر : بندبة . فوحل[5] شتربة في ذلك المكان فعالجه الرجل وأصحابه حتى بلغ منهم الجهد ، فلم يقدروا على إخراجه ، فذهب الرجل

---

(١) درك : الوصول (٢) حسن القيام : التدبير والسياسة . (٣) مفاض : مكان يفيض منه . (٤) انبثق : انفجر وانفجر . (٥) وحل : غاص في الوحل أي طين الارض.

وخلف عنده رجلاً يشارفه [١] لعل الوحل ينكشف فيتبعه به . فلما بات الرجل بذلك المكان تبرم [٢] به واستوحش فترك الثور والتحق بصاحبه فأخبره بأن الثور قد مات . وقال له : إن الإنسان إذا انقضت مدته وحانت منيته فهو وإن اجتهد في التوقي من الأمور التي يخاف فيها على نفسه الهلاك لم يغن ذلك عنه شيئاً ، وربما عاد اجتهاده في توقيه وحذره وبالاً [٣] عليه .

مثل الرجل الهارب من الذئب

كالذي قيل : إن رجلاً سلك مفازة [٤] فيها خوف من السباع ، وكان الرجل خبيراً بوعث [٥] تلك الارض وخوفها . فلما سار غير بعيد اعترض له ذئب من أحدّ الذئاب وأضراها [٦] ، فلما رأى الرجل أن الذئب قاصد نحوه خاف منه ونظر يميناً وشمالاً ليجد موضعاً يتحرز [٧] فيه من الذئب فلم ير إلا قرية خلف واد فذهب مسرعاً نحو القرية .

فلما أتى الوادي لم ير عليه قنطرة ورأى الذئب قد أدركه فألقى نفسه في الماء وهو لا يحسن السباحة وكاد يغرق لولا أن بصر به [٨] قوم من أهل القرية فتواقعوا [٩] لإخراجه فأخرجوه وقد أشرف على الهلاك . فلما حصل الرجل عندهم وأمن على نفسه من غائلة [١٠] الذئب رأى على عدوة [١١] الوادي بيتاً مفرداً فقال : ادخل البيت فأستريح فيه . فلما دخله وجد جماعة من اللصوص قد قطعوا الطريق على رجل من التجار وهم يقتسمون ماله ويريدون قتله . فلما رأى الرجل ذلك

(١) يشارفه : يراقبه ويلازمه ، (٢) تبرم : مل . (٣) وبالا : شراً .
(٤) مفازة : فلاة . (٥) وعث : وعورة . (٦) أضراها : اقواها ، تفضيل من قولهم سبع ضار . (٧) يتحرز : يتوقى . (٨) بصر به : لمحه . (٩) تواقعوا : رموا بانفسهم . (١٠) غائلة : شر . (١١) عدوة : جانب .

خاف على نفسه ومضى نحو القرية فأسند ظهره إلى حائط من حيطانها ليستريح مما حل به من الهول والإعياء إذ سقط عليه الحائط فمات.

قال الرجل: صدقت، قد بلغني هذا الحديث. وأما الثور فإنه خلص من مكانه وانبعث[1]، فلم يزل في مرج مخصب كثير الماء والكلإ[2]. فلما سمن وأمن جعل يخور ويرفع صوته بالخوار. وكان قريباً منه أجمة[3] فيها أسد عظيم وهو ملك تلك الناحية ومعه سباع كثيرة وذئاب وبنات آوى[4] وثعالب وفهود ونمور. وكان هذا الأسد منفرداً برأيه دون أخذٍ برأي أحد من أصحابه. فلما سمع خوار الثور ولم يكن رأى ثوراً قط ولا سمع خواره خامره[5] منه هيبة وخشية وكره أن يشعر[6] بذلك جنده فكان مقيماً مكانه لا يبرح[7] ولا ينشط[8] بل يؤتى برزقه كل يوم على يد جنده. وكان فيمن معه من السباع ابنا آوى يقال لأحدهما كليلة وللآخر دمنة وكانا ذوي[9] دهاءٍ[10] وعلم وأدب.

فقال دمنة يوماً لأخيه كليلة: يا أخي، ما شأن الأسد مقيماً مكانه لا يبرح ولا ينشط خلافاً لعادته.؟

قال له كليلة: ما شأنك أنت والمسألة عن هذا؟ نحن على باب ملكنا آخذين بما أحب وتاركين ما يكره، ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلام الملوك والنظر في أمورهم. فأمسك عن هذا واعلم أنه من تكلف من القول والفعل ما ليس من شكله أصابه ما أصاب القرد من النجار.

---

(١) انبعث: اسرع، خرج. (٢) الكلأ: العشب. (٣) اجمة: شجر كثير ملتف.
(٤) بنات آوى: جمع ابن آوى، وهو حيوان معروف عند العامة بالواوي.
(٥) خامره: داخله. (٦) يشعر: يعلم. (٧) لا يبرح: لا يتحول عن مكانه.
(٨) لا ينشط: لا يخرج لشأنه. (٩) ذوي: مثنى ذو، بمعنى صاحب
(١٠) دهاء: جودة رأي.

قال دمنة : وكيف كان ذلك ؟

قال كليلة : زعموا أن قرداً رأى نجـــاراً يشق خشبة وهو راكب عليها ، وكلما شق منها ذراعاً أدخل فيها وتداً . فوقف ينظر إليه وقد أعجبه ذلك . ثم إن النجار ذهب لبعض شأنه فركب الخشبة وجعـل وجهه قبل [1] الوتد وظهره قبـــل طرف الخشبة فتدلى ذنبه في الشق ونزع الوتد فلزم الشق عليه فكاد يغشى عليه من الألم . ثم إن النجـار وافاه [2] فأصابه [3] على تلك الحالة فأقبل عليه يضربه فكان ما لقي من النجار من الضرب أشد مما أصابه من الخشبة .

قال دمنة : لقد سمعت مـا ذكرت ، وليس كل من يدنو من الملوك يقـدر على صحبتهم ويفوز بقربهم . ولكن اعلم أن كل من يدنو منهم ليس يدنو منهم لبطنه ، فإن البطن يحشى بكل شيء . وإنما يدنو منهم ليسر الصديق ويكبت [4] العدو . وإن من الناس من لا مروءة له وهم الذين يفرحون بالقليل ويرضون بالدون كالكلب الذي يصيب عظماً يابساً فيفرح به . وأمـا أهل الفضل والمروءة فلا يقنعهم القليل ولا يرضون به دون أن تسموا [5] بهم نفوسهم إلى مـا هم أهل له وهو أيضاً لهم أهل ، كالأسد الذي يفترس الأرنب ، فإذا رأى البعير تركهـــا وطلب البعير .

ألا ترى أن الكلب يبصبص بذنبه حتى ترمي له الكسرة من الخبز فيفرح بها وتقنعه منك . وأن الفيل المعترف بفضله وقوته إذا قدم إليه علفه لا يعتلفه حتى يمسح وجهه ويتملق له . فمن عاش ذا مـال وكان ذا فضل وإفضال على نفسه وأهله وإخوانه ، غير خامل [6] المنزلة ، فهو وإن قل عمره طويل العمر . ومن كان في عيشه ضيق وقلة وإمساك [7]

---

(١) قبل : الى جهة . (٢) وافاه : أتاه . (٣) أصابه: وجده . (٤) يكبت : يذل ويقهر . (٥) تسمو . تعلو . (٦) خامل : مضمور غير مشهور .
(٧) امساك · بخل ، شح .

على نفسه وذويه وكان خامل المنزلة فالمقبور أحيا[1] منه . ومن عمل لبطنه وشهواته وقنع ، وترك ما سوى ذلك ، عد من البهائم .

قال كليلة : قد فهمت ما قلت فراجع عقلك واعلم أن لكل إنسان منزلة وقدراً ، فإن كان في منزلته التي هو فيها متماسكاً كان حقيقاً أن يقنع ، وليس لنا من المنزلة ما يحط حالنا التي نحن عليها . ثم إن منزلة الإنسان مقدورة[2] عليه منذ الأزل ، فلا سبيل له إلا الرضى بها كيف كانت .

قال دمنة : إن المنازل متنازعة[3] ، مشتركة على قدر المروءة ، فالمرء ترفعه مروءته من المنزلة الوضيعة إلى المنزلة الرفيعة ، ومن لا مروءة له يحط نفسه من المنزلة الرفيعة إلى المنزلة الوضيعة . وإن الارتفاع إلى المنزلة الشريفة شديد ، والانحطاط منها هين كالحجر الثقيل رفعه من الأرض إلى العاتق[4] عسر ووضعه إلى الأرض هين . فنحن أحق أن نروم ما فوقنا من المنازل وأن نلتمس ذلك بمروءتنا . ثم كيف نقنع بمنزلتنا ونحن نستطيع التحول عنها .

قال كليلة : فما الذي اجتمع عليه رأيك ؟

قال دمنة : أريد أن أتعرض للأسد عند هذه الفرصة لأنه قد ظهر لي أنه ضعيف الرأي قد التبس عليه أمره وعلى جنده أيضاً ، ولعلي على هذه الحال أدنو منه فأصيب عنده منزلة ومكانة فيبتدرني بالكلام فأجيبه بما تقدحه القريحة لعلها تنتج بيننا نتيجة تؤدي إلى إظهار أمر مكتوم :

قال كليلة : وما يدريك أن الأسد قد التبس عليه أمره ؟

---

(١) أحيا : أفعل تفضيل من الحياة . (٢) مقدورة : مقدرة . (٣) متنازعة : كل يطلبها . (٤) العاتق : ما بين العنق والكتف .

قال دمنة : بالحس والرأي أعلم ذلك منه ، فإن الرجل ذا الرأي يعرف حال صاحبه وباطن أمره بما يظهر له من دله وشكله [1] .

قال كليلة : فكيف ترجو المنزلة عند الأسد ولست بصاحب السلطان ، ولا لك علم بخدمة السلاطين وآدابهم وآداب مجالسهم ؟

قال دمنة : الرجل الشديد القوي لا ينوء به [2] الحمل الثقيل وإن لم تكن عادته الحمل ، والرجل الضعيف لا يستقل به [3] وإن كان ذلك من صناعته .

قال كليلة : فإن السلطان لا يتوخى [4] بكرامته فضلاء من بحضرته ، ولكنه يؤثر [5] الأدنى ومن قرب منه .

قال دمنة : يقال إن مثل السلطان في إيثاره الأفضل دون الأدنى مثل شجر الكرم الذي لا يعلق إلا بأكرم الشجر .

قال كليلة : وكيف ترجو المنزلة عند الأسد ولم تكن دنوت منه من قبل ؟

قال دمنة : قد فهمت كلامك جميعه وتدبرت [6] ما قلت وأنت صادق . لكن أعلم أن الذين لهم المنازل الرفيعة عند الملوك ولا ذلك موضعهم ولا تلك منزلتهم ، ليسوا كمن دنا منه بعد البعد ، ولهم حق وحرمة ، وأنا ملتمس بلوغ مكانتهم بجهدي . وقد قيل : لا يواظب على باب السلطان إلا من يطرح الأنفة [7] ، ويحمل الأذى ، ويكظم [8] الغيظ . ويرفق [9] بالناس ، ويكتم السر ، فإذا وصل إلى ذلك فقد بلغ مراده .

---

(١) دله وشكله : كلاهما يعني ما يبدو من هيئته وحاله . (٢) ينوء : يثقل وهو من باب القلب لأن صاحب الحمل يثقله الحمل . (٣) لا يستقل به : لا يحمله . (٤) يتوخى : يقصد . (٥) يؤثر : يفضل ويختار . (٦) تدبرت : تأملت واعتبرت . (٧) الانفة : عزة النفس . (٨) يكظم : يحبس . (٩) يرفق : يلاطف .

قال كليلة : هبك[1] وصلت إلى الأسد فما توفيقك عنده الذي ترجو أن تنال به المنزلة عنده والحظوة[2] لديه ؟

قال دمنة : لو دنوت منه وعرفت أخلاقه لرفقت في متابعته وقلة الخلاف له . وإذا أراد أمراً هو في نفسه صواب ، زينته له وصبرته عليه وعرفته بما فيه من النفع والخير . وشجعته عليه وعلى الوصول إليه حتى يزداد به سروراً . وإذا أراد أمراً يخاف عليه ضره وشينه[3] بصّرته بما فيه من الضرر والشين ، وأطلعته على ما في تركه من النفع والزين بحسب ما أجد اليه السبيل . وأنا أرجو أن أزداد بذلك عند الأسد مكانة ويرى مني ما لا يراه من غيري . فإن الرجل الأديب الرفيق لو شاء أن يبطل حقاً أو يحق باطلاً لفعل ، كالمصور الماهر الذي يصور في الحيطان صوراً كأنها خارجة وليست بخارجة ، وأخرى كأنها داخلة وليست بداخلة . فإذا هو عرف ما عندي وبان له حسن رأيي وجودة فكري التمس إكرامي وقربني إليه .

قال كليلة : أما إن قلت هذا فإني أخاف عليك من السلطان ، فإن صحبته خطرة وأحذرك من الذي أردته بعظم خطره عندك .

وقد قالت العلماء : إن ثلاثة لا يجترىء عليهن إلا أهوج ولا يسلم منهن إلا قليل ، وهي : صحبة السلطان وائتمان النساء على الأسرار وشرب السم للتجربة . وإنما شبه العلماء السلطان بالجبل الصعب المرتقى الذي فيه الثمار والأنهار الجارية والجواهر النفيسة والأدوية النافعة وهو مع ذلك معدن السباع والنمور والذئاب وكل ضار مخوف . فالارتقاء إليه شديد والمقام فيه أشد .

قال دمنة : صدقت فيما ذكرت . غير أنه من لم يركب الأهوال لم

(١) هبك : احسب نفسك . (٢) الحظوة : المكانة والكرامة . (٣) شينه : عيبه .

ينل الرغائب . ومن ترك الأمر الذي لعله يبلغ فيه حاجته هيبة ومخافة لما لعله يتوقاه فليس ببالغ جسيماً[١] .

وقد قيل : إن خصالاً ثلاثاً لن يستطيعها أحـد إلا بمعونة من علوّ همة وعظيم خطر[٢] ، منها : صحبة السلطان ، وتجارة البحر ، ومناجزة العدو[٣] . وقد قالت العلماء في الرجل الفاضل الرشيد إنه لا ينبغي أن يُرى إلا في مكانين ولا يليق به غيرهما : إما مع الملوك مكرماً أو مع النساك متعبداً ، كالفيل إنما جماله وبهاؤه في مكانين . إمـا أن تراه في البرية وحشياً أو مركباً للملوك .

قال كليلة : خار الله لك[٤] فيما عزمت عليه .

ثم إن دمنة انطلق حتى دخل على الأسد فعفر[٥] وجهه بين يديه وسلم عليه . فقال الأسد لبعض جلسائه : من هذا ؟ فقال : هذا دمنة ابن سليط . فقال : قد كنت أعرف أباه . ثم سأله أين تكون . قال : لم أزل مرابطاً باب الملك[٦] داعياً له بالنصر ودوام البقاءِ رجاة أن يحضر أمر فأعين الملك فيـــه بنفسي ورأيي . فإن أبواب الملك تكثر فيها الأمور التي ربما يحتاج فيها إلى الذي لا يؤبه[٧] له . وليس أحد يصغر أمره إلا وقـد يكون عنده بعض الغناءِ والمنافع على قدره حتى العود الملقى في الأرض ربما نفع فيأخذه الرجل فيحك به أذنه فيكون عدته[٨] عند الحاجة إليه .

فلما سمع الأسد قول دمنة أعجبه وطمع أن يكون عنـده نصيحة ورأي . فأقبل على من حضر فقال : إن الرجل ذا النبـــل والمروءة

---

(١) جسيماً : عظيماً ، قدراً ومنزلة . (٢) خطره : شرفه . (٣) مناجزة العدو : مباشرة قتاله . (٤) خار الله لك : جعل لك الخير . (٥) عفر : مرغ .
(٦) مرابطاً : مواظباً ، ملازماً . (٧) يؤبه : يكترث له ، يعتد به .
(٨) عدة الشيء : ما احتجت اليه فيه .

يكون خامل الذكر ، منخفض المنزلة ، فتأبى منزلته إلا أن تشب[1] وترتفع ، كالشعلة من النار يضرمها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً .

فلمـــا عرف دمنة أن الأسد قد عجب منه وحسن عنده كلامه ، قال : أيها الملك ، إن رعية الملك تحضر بابه رجاءَ أن يعرف ما عندها من علم وافر ، كالزرع المدفون الذي لا يعرف فضله حتى يخرج ويظهر على قدر رأيه وعلى قدر ما يجد عنده من المنفعة . وقد قيل : أمران لا ينبغي لأحـــد أن يأتيها[2] مثل أن يجعل الخلخال قلادة للعنق ، ومثل أن تجعل القلادة خلخالاً في الرّجل .

وقد يقال : إن الفضل في أمرين ، فضل المقاتل على المقاتل والعـالم على العالم ؛ وإن كثرة الأعوان إذا لم يكونوا مختبرين ربما تكون مضرة على العمل . فإن العمـــل ليس رجاؤه بكثرة الأعوان ولكن بصالحي الأعوان . ومثل ذلك مثل الرجـل الذي يحمل الحجر الثقيل فيقتل به نفسه ولا يجد له ثمناً . وحامل الياقوت ، وإن قـل ، يقدر على بيعه بالكثير من المال . والعمل الذي يحتاج فيه إلى الحيل والخداع لا يقتحمه إلا أفهم الرجال وأذكاهم . والرجل الذي يحتاج إلى الجذوع لا يجزئه[3] القصب ، وإن كثر . فأنت الآن ، أيها الملك ، حقيق أنْ لا تحقر مروءَة أنت تجدها عند رجل صغير المنزلة ، فإن الصغير ربمـــا عظم كالعصب الذي يؤخذ من الميتة ، فإذا عملت منه القوس أكرم فتقبض عليه الملوك وتحتاج إليه في البأس واللهو .

وأحب دمنة أن يري القوم أن ما ناله من كرامة الملك إنمـــا هو لرأيه ومروءَته وعقله لأنهم عرفوا قبـــل ذلك أن ذلك لمعرفته أباه . فقال : إن السلطان لا يقرب الرجال لقرب آبائهم ولا يبعدهم ، ولكن

---

(١) تشب : تهيج وتعلو . (٢) يأتيها : يفعلها . (٣) يجزئه : يغنيه ويكفيه .

ينبغي أن ينظر إلى كل رجل بما عنده لأنه لا شيء أقرب إلى الرجل من جسده ، ومن جسده ما يدوى[1] حتى يؤذيه ولا يدفع ذلك عنه إلا بالدواء الذي يأتيه من بعد .

فلما فرغ دمنة من مقالته هذه أعجب الأسد به إعجاباً شديداً وأحسن الرد عليه وزاد في كرامته . ثم قال الملك لجلسائه : ينبغي للسلطان ألا يلح في تضييع حق ذوي الحقوق ، فإن عاقبة ذلك رديئة حتى ممن لا يتوقع أذاه . والناس في ذلك رجلان : رجل طبعه الشراسة فهو كالحية إن وطئها الواطئ فلم تلدغه لم يكن جديراً أن يغرّه ذلك منها فيعود إلى وطئها ثانية فتلدغه ؛ ورجل أصل طباعه السهولة ، فهو كالصندل[2] البارد الذي إذا أفرط في حكه صار حارّاً مؤذياً .

ثم إن دمنة استأنس بالأسد وخلا به ، فقال له يوماً : رأيت الملك قد أقام في مكان واحد لا يبرح منه ، خلافاً لمألوفه . وهو ، أعظمه الله ، منيع الجانب نافذ الأمر آمن الساحة . فرأيت أن أتطاول عليه بالاستفهام على وجه النصيحة فإن الأمور الخفية لا يظهرها إلا البحث عنها ، فإذا أظهرت أجيلت الفكرة فيها . فبينا هما في هذا الحديث إذ خار شتربة خواراً[3] شديداً ، فهيج الأسد وكره أن يخبر دمنة بما ناله . وعلم دمنة أن ذلك الصوت قد أدخل على الأسد ريبة[4] وهيبة . فسأله : هل راب الملك[5] سماع هذا الصوت ؟

قال : لم يربني شيء سوى ذلك ، وهو الذي حبسني هذه المدة في مكاني ، وقد صح عندي من طريق القياس أن جثة صاحب هذا الصوت

---

(١) يدوى : يصيبه داء . (٢) الصندل : نوع من الخشب . (٣) الخوار : صوت الثور . (٤) ريبة : شيء يكرهه . (٥) رابه : ادخل عليه ريبة .

المنكر الذي لم أسمعه قط عظيمة لأن صوته تابع لبدنه . فإن يكن كذلك فليس لنا معه قرار ولا مقام .

قال دمنة : ليس الملك بحقيق [1] أن يدع مكانه لأجل صوت فقد قالت العلماء : ليس من كل الأصوات تجب الهيبة . قال الأسد : وما مثل ذلك ؟

مثل الثعلب والطبل

قال دمنة : زعموا أن ثعلباً أتى أجمة فيها طبل معلق على شجرة ، وكلما هبت الريح على قضبان تلك الشجرة حركتها فضربت الطبل فسمع له صوت عظيم باهر . فتوجه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته . فلما أتاه وجده ضخماً ، فأيقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم ، فعالجه حتى شقه . فلما رآه أجوف لا شيء فيه قال : لا أدري لعل أفشل [2] الأشياء أجهرها [3] صوتاً وأعظمها جثة .

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن هذا الصوت الذي راعنا لو وصلنا إليه لوجدناه أيسر مما في أنفسنا . فإن شاء الملك بعثني وأقام بمكانه حتى آتيه ببيان هذا الصوت . فوافق الأسد قوله ، فأذن له في الذهاب نحو الصوت .

فانطلق دمنة إلى المكان الذي فيه شتربة . فلما فصل [4] دمنة من عند الأسد فكر الأسد في أمره وندم على إرسال دمنة حيث أرسله وقال في نفسه : ما أصبت في ائتماني دمنة وإطلاعه على سري وقد

---

(١) حقيق : أهل . (٢) افشل : أضعف . (٣) أجهرها : اعلاها .

(٤) فصل : خرج ، بعد .

كان ببابي مطروحاً . فإن الرجل الذي يحضر باب الملك ، إذا كان قد طيلت جفوته[1] من غير جرم كان منه ، أو كان مبغياً عليه[2] عند سلطانه ، أو كان عنده معروفاً بالشره والحرص ، أو كان قد أصابه ضر وضيق فلم ينعشه[3] ، أو كان قد اجترم جرماً فهو يخاف العقوبة منه ، أو كان يرجو شيئاً يضر الملك وله منه نفع ، أو يخاف في شيء مما ينفعه ضراً ، أو كان لعدو الملك سلماً ولسلمه حرباً ، أو كان قد حيل[4] بينه وبين ما في يديه من السلطان ، أو باعده ، أو طرده ، فليس السلطان بحقيق أن يعجل في الاسترسال إلى هؤلاء[5] والثقة بهم والائتمان لهم . وإن دمنة داهية[6] أديب وقد كان ببابي مطروحاً مجفواً ، ولعله قد احتمل عليّ بذلك ضغناً[7] . ولعل ذلك يحمله على خيانتي وإعانة عدوي ونقيصتي[8] عنده . ولعله يصادف صاحب الصوت أقوى سلطاناً[9] مني فيرغب به عني ويميل معه عليّ . ولقد كان الواجب أن أهجم على صاحب هذا الصوت بنفسي .

ولم يزل الأسد يحدث نفسه بأمثال ذلك حتى جعل يمشي وينظر إلى الطريق التي سار فيها دمنة فلم يمش غير قليل حتى بصر بدمنة مقبلاً نحوه فطابت نفسه بذلك ورجع إلى مكانه .

ودخل دمنة عليه ، فقال له الأسد : ماذا صنعت ، وماذا رأيت ؟

قال : رأيت ثوراً ، وهو صاحب الخوار والصوت الذي سمعته .

قال : فما قوته ؟

---

(١) جفوته : مقاطعته . (٢) مبغياً عليه : مظلوماً . (٣) ينعشه : ينهضه .
(٤) حيل : اعترض . (٥) الاسترسال الى هؤلاء : الاستئنان والاطمئنان اليهم .
(٦) داهية : ذو دهاء أي حذق ونباهة ، والتاء للمبالغة . (٧) ضغناً : حقداً .
(٨) نقيصتي : ثلبي وذمي . (٩) السلطان : قوة الملك .

قال : لا شوكة[1] له ، وقد دنوت منه وحاورته محاورة الأكفاء فلم يستطع لي شيئاً .

قال الاسد : لا يغرنك ذلك منه ولا يصغرن عندك أمره ، فإن الريح الشديدة لا تعبأ بضعيف الحشيش لكنها تحطم طوال النخل وعظيم الشجر وتقلع الدوحة[2] العاتية من موضعها .

قال دمنة : لا تهابن أيها الملك منه شيئاً ولا يكبرن عليك أمره ، فأنا على ضعفي آتيك به فيكون لك عبداً سامعاً مطيعاً .

قال الأسد : دونك ما بدا لك ، وقد تعلق أمله به .

فانطلق دمنة إلى الثور فقال له غير هائب ولا مكترث : إن الأسد أرسلني إليك لآتيه بك ، وأمرني إن أنت عجلت إليه أن أؤمنك على ما سلف من ذنبك في التأخر عنه وتركك لقاءه ؛ وإن أنت تأخرت وأحجمت[3] أن أعجل الرجعة إليه فأخبره .

قال له شتربة : ومن هذا الأسد الذي أرسلك إليّ ؟ وأين هو ؟ وما حاله ؟

قال دمنة : هو ملك السباع ، وهذه الأرض التي نحن عليها له ، وهو بمكان كذا ومعه جند كثير من جنسه . فرعب شتربة من ذكر الأسد والسباع وقال : إن أنت جعلت لي الأمان على نفسي أقبلت معك إليه . فأعطاه دمنة من الأمان ما وثق به . ثم أقبل والثور معه حتى دخلا على الأسد . فأحسن الأسد إلى الثور وقربه ، وقال له : متى قدمت هذه البلاد وما أقدمكها[4] ؟ فقص شتربة عليه قصته . فقال

(١) شوكة : بأس وشدة . (٢) الدوحة : الشجرة العظيمة .
(٣) أحجمت ، تأخرت . (٤) أقدمكها ، جعلك تقدمها .

له الأسد : اصحبني والزمني فإني مكرمك ومحسن إليك . فدعا له الثور وأثنى عليه وانصرف . وقد أعجب به الأسد إعجاباً شديداً لما ظهر له من عقله وأدبه . ثم إنه قربه وأكرمه وأنس به وائتمنه على أسراره وشاوره في أمره ولم تزده الأيام إلا عجباً به ورغبة فيه وتقريباً له حتى صار أخص أصحابه عنده منزلة .

فلما رأى دمنة أن الثور قد اختص بالأسد دونه ودون أصحابه ، وأنه قد صار صاحب رأيه وخلواته ولهوه ، حسده حسداً عظيماً وبلغ منه غيظه كل مبلغ . فشكا ذلك إلى أخيه كليلة وقال له : ألا تعجب يا أخي ، من عجز رأيي وصنعي بنفسي ونظري فيما ينفع الأسد ، وأغفلت نفع نفسي حتى جلبت إلى الأسد ثوراً غلبني على منزلتي ! قال كليلة : قد أصابك ما أصاب الناسك . قال دمنة : وكيف كان ذلك ؟

قال كليلة : زعموا أن ناسكاً أصاب[1] من بعض الملوك كسوة فاخرة . فبصر به سارق فطمع في الثياب وعمل على سرقتها . فأتى الناسك وقال له : إني أريد أن أصحبك فاتعلم منك وآخذ عنك . فأذن له الناسك في صحبته ، فصحبته متشبهاً به ورفق[2] له في خدمته حتى أمنه الناسك واطمأن إليه . فرصده[3] حتى إذا ظفر به وأمكنته الفرصة أخذ تلك الثياب فذهب بها .

فلما فقد الناسك ثيابه علم أن صاحبه قد أخذها فتوجه في طلبه . فمر في طريقه بوعلين[4] يتناطحان حتى سالت دماؤهما . فجاء ثعلب يلغ[5] في تلك الدماء ويتحكك بهما ويزاحمهما فغضبا منه وأقبلا عليه بنطاحهما فقتلاه . فعجب الناسك من ذلك ومضى حتى دخل إحدى المدن فلم يجد فيها قرى[6] إلا بيت امرأة فنزل بها واستضافها[7] .

---

(١) أصاب : نال . (٢) رفق : لان ولطف . (٣) رصده : ترقبه . (٤) الوعل : تيس الجبل . (٥) يلغ : يشرب بلسانه كالكلب . (٦) قرى : ضيافة .
(٧) استضافها : طلب منها أن تضيفه .

وكانت للمرأة جارية تؤاجرها [1] . وكانت الجارية قد علقت [2] رجلاً تريد أن تتخذه بعلاً لها ، وقد أضر ذلك بمولاتها ولم يكن لها سبيل إلى مدافعته ، فاحتالت لقتله في تلك الليلة التي استضافها فيها الناسك . ثم إن الرجل وافى [3] فسقته من الخمرة حتى سكر ونام فلما استغرق في النوم ونام من في البيت ، عمدت [4] لسم كانت قد أعدته في قصبة لتنفخه في أنف الرجل . فلما أرادت ذلك بدرت [5] من أنفه عطسة فعكست السم إلى حلق المرأة فوقعت ميتة . وكل ذلك بعين الناسك وسمعه .

فلما رأى ذلك لم يصدق أن طلع الصباح حتى خرج يبتغي منزلاً غيره . فاستضاف رجلاً إسكافاً فأتى به امرأته وقال لها : انظري إلى هذا الناسك وأكرمي مثواه [6] وقومي بخدمته ، فقد دعاني بعض أصدقائي للشرب عنده . ثم انطلق ذاهباً ، وكان للمرأة ابنة تريد أن تزوجها لرجل لم يكن زوجها يريده . فكان الرجل يختلف [7] إلى البيت في غياب زوجها والوسيط بينهما امرأة حجام [8] . فأرسلت امرأة الإسكاف إلى امرأة الحجام تأمرها بالمصير [9] إليها وتعرف الرجل غياب زوجها ، وقالت : إن زوجي قد ذهب ليشرب عند بعض أصدقائه وإن عاد لا يعود إلا سكران ، فقولي له يسرع الكرة [10] .

ثم إن الرجل جاء فقعد على الباب ينتظر الإذن ، ووافق ذلك مجيء الإسكاف سكران فرأى الرجل في الظلمة وارتاب به فلم يكلمه ودخل مغضباً إلى امرأته فأوجعها ضرباً ، ثم أوثقها في أسطوانة [11]

---

(١) تؤاجرها : تستخدمها بالاجرة . (٢) علقت : أحبت . (٣) وافى : جاء .
(٤) عمدت : قصدت . (٥) بدرت : سبقت واسرعت . (٦) مثواه : المثوى هو المجلس أو المقام . ويقال أكرم مثواه : بمعنى أحسن ضيافته . (٧) يختلف : يتردد .
(٨) حجام : حلاق . (٩) بالمصير : بالمجيء . (١٠) يسرع الكرة : يعجل المجيء .
(١١) اسطوانة : عمود .

في المنزل وذهب فنام لا يعقل . وجاءت امرأة الحجام تعلمها أن الرجل قد أطال الجلوس ، فقالت لها : أنظري إلى ما أنا فيه بسببه ، فإن شئت وأحسنت إليّ وحللتني وربطتك مكاني حتى أنطلق فأعتذر إليه وأعجل العودة . فأجابتها امرأة الحجام إلى ذلك وحلتها وانطلقت إلى الرجل وأوثقت هي نفسها مكانها . فاستيقظ الإسكاف قبل أن تعود زوجته ، فناداها باسمها فلم تجبه امرأة الحجام وخافت من الفضيحة أن ينكر صوتها . ثم دعاها ثانية فلم تجبه ، فامتلأ غيظاً وحنقاً وقام نحوها بالشفرة[1] فجدع[2] أنفها وقال : خذي هذا فأتحفي به صديقك ، وهو لا يشك في أنها امرأته .

ثم جاءت امرأة الإسكاف فرأت صنع زوجها بامرأة الحجام فساءها ذلك وأكبرته[3] وحلت وثاقها . فانطلقت إلى منزلها مجدوعة الأنف ، وكل ذلك بعين الناسك وسمعه . ثم إن امرأة الإسكاف جعلت تبتهل وتدعو على زوجها الذي ظلمها وتقول : اللهم إن كان زوجي قد ظلمني فأعد عليّ أنفي صحيحاً . ثم رفعت صوتها ونادت زوجها : أيها الفاجر الظالم قم فانظر كيف صنعك بي وصنع الله بي ، كيف رحمني ورد أنفي صحيحاً كما كان . فقام وأوقد المصباح ونظر فإذا أنف زوجته صحيح فاستغفر إليها وتاب عن ذنبه واستغفر إلى ربه .

وأما امرأة الحجام فإنها لما وصلت إلى منزلها تفكرت في طلب العذر عند زوجها وأهلها في جدع أنفها ورفع الالتباس . فلما كان عند السحر استيقظ الحجام فقال لامرأته :

— هاتي أدواتي[4] كلها فإني أريد المضي إلى بعض الأشراف . فأتته بالموسى . فقال لها : هاتي الأدوات جميعها فلم تأته إلا بالموسى . فغضب

---

(١) الشفرة : السكين . (٢) جدع : قطع . (٣) أكبرته : عدته أمراً كبيراً .
(٤) أدواتي : آلات صناعتي .

حين أطالت التكرار ورماها به ،فولولت وصاحت :أنفي ، أنفي، وجلبت[1] حتى جاء أهلها واقرباؤها فرأوها على تلك الحالة فأخذوا الحجام فانطلقوا به الى القاضي . فقال له القاضي : ما حملك على جدع أنف امرأتك ؟ فلم تكن له حجة يحتج بها ، فأمر به القاضي ان يقتص منه [2] . فلما قدم للقصاص وافى [3] الناسك فتقدم من القاضي وقال له : أيها الحاكم ، لا يشتبهن عليك هذا الامر، فإن اللص ليس هو الذي سرقني ، وان الثعلب ليس الوعلان قتلاه ، وإن المرأة ليس السم قتلها ، وان امرأة الحجام ليس زوجها جدع انفها ، وانما نحن فعلنا ذلك بأنفسنا . فسأله القاضي عن التفسير ، فأخبره بالقصة . فأمر القاضي بإطلاق الحجام .

قال دمنة : قد سمعتُ هذا المثل وهو شبيه بأمري ، ولعلي ما ضرني أحد سوى نفسي . ولكن ما الحيلة ؟ قال كليلة : اخبرني عن رأيك وما تريد ان تعزم عليه في ذلك ؟ قال دمنة : اما انا فلست اليوم أرجو ان تزداد منزلتي عند الأسد فوق ما كانت عليه . ولكن ألتمس ان اعود إلى ما كانت حالي عليه ، فإن أموراً ثلاثة العاقل جدير بالنظر فيها والاحتيال لها بجهده : منها النظر فيا مضى من الضر والنفع .. أن يحترس من الضر الذي أصابه فيا سلف لئلا يعود الى ذلك الضر ، ويلتمس النفع الذي مضى ويحتال لمعاودته ...

ومنها النظر فيا هو مقيم فيه من المنافع والمضار والاستيثاق [4] مما ينفع والهرب مما يضر .

ومنها النظر في مستقبل ما يرجو من قبل النفع وما يخاف من قبل الضر ليستتم ما يرجو ويتوقى ما يخاف بجهده .

وإني لما نظرت في الأمر الذي به أرجو أن تعود منزلتي وما غلبت عليه مما كنت فيه ، لم أجد حيلة ولا وجهاً إلا الاحتيال لآكل العشب

---

(١) جلبت : من الجلبة وهي الصياح . (٢) يقتص منه : يعاقبه .
(٣) وافى : جاء ، اتى . (٤) الاستيثاق : التأكد .

هذا حتى أفرق بينه وبين الحياة ، فإنه إن فارق الأسد عادت لي منزلتي ، ولعل ذلك يكون خيراً للأسد ، فإن إفراطه في تقريب الثور خليق أن يشينه ويضره في أمره .

قال كليلة : ما أرى على الأسد في رأيه في الثور ومكانه منه ومنزلته عنده شيئاً ولا شراً .

قال دمنة : إنما يؤتى السلطان [1] ويفسد أمره من قبل ستة أشياء : الحرمان والفتنة والهوى والفظاظة والزمان والخرق .

فأما الحرمان فأن يحرم من صالحي الأعوان والنصحاء والساسة من أهل الرأي والنجدة [2] والأمانة ، وأن يكون من حوله فاسداً مانعاً من وصول أمور الملك إليه ، وأن يحرم هو أهل النصيحة والصلاح من عنايته والتفاته إليهم .

وأما الفتنة فهي تحارب رعيته ووقوع الخلاف والنزاع بينهم .. وأما الهوى فالإغرام [3] بالنساء والحديث واللهو والشراب والصيد وما اشبه ذلك . وأما الفظاظة فهي إفراط الشدة حتى يجمع [4] اللسان بالشتم ، واليد بالبطش في غير موضعهما .

واما الزمان فهو ما يصيب الناس من السنين [5] من الموتان [6] ونقص الثمرات والغزوات [7] وأشباه ذلك .

واما الخرق فإعمال الشدة في موضع اللين ، واللين في موضع الشدة .

---

(١) يؤتى السلطان : يؤخذ عليه.
(٢) النجدة : الشدة والبأس . (٣) الاغرام : الولع . (٤) يجمع : يسبق الى .
(٥) يكني بالسنين هنا عن التي فيها الشدة والضيق . (٦) الموتان : موت المواشي .
(٧) الغزوات : الحرب .

وإن الأسد قد أغرم بالثور إغراماً شديداً هو الذي ذكرت لك انه خليق ان يشينه ويضره في أمره .

قال كليلة : وكيف تطيق [1] الثور وهو أشد منك واكرم على الأسد منك وأكثر أعواناً .

قال دمنة : لا تنظر الى صغري وضعفي ، فإن الأمور ليست بالضعف ولا القوة ولا الصغر ولا الكبر في الجثة ، فرب صغير ضعيف قد بلغ بحيلته ودهائه ورأيه ما يعجز عنه كثير من الأقوياء . أو لم يبلغك ان غراباً ضعيفاً احتال لأسود [2] حتى قتله ؟

قال كليلة : وكيف كان ذلك ؟

مثل الغراب والاسود

قال دمنة : زعموا أن غراباً كان له وكر في شجرة على جبل وكان قريباً منه جحر ثعبان أسود . فكان الغراب إذا أفرخ عمد الأسود إلى فراخه فأكلها . فبلغ ذلك من الغراب [3] فأحزنه . فشكا ذلك إلى صديق له من بنات آوى وقال له : أريد مشاورتك [4] في أمر قد عزمت عليه . قال وما هو ؟

قال الغراب : قد عزمت ان أذهب إلى الأسود إذا نام فأنقر عينيه فأفقأهما لَعلّي أستريح منه . قال ابن آوى : بئس الحيلة التي احتلت ، فالتمس أمراً تصيب فيه بغيتك من الأسود من غير ان تغرر بنفسك [5]

---

(١) طاقه واطاقه : قدر عليه . (٢) أسود : حية عظيمة .
(٣) بلغ منه : عظم عنده . (٤) المشاورة : طلب المشورة وهي النصيحة .
(٥) غرر بنفسه : عرضها للهلكة .

وتخاطر بها ، وإياك ان يكون مثلك مثل العلجوم [١] الذي اراد قتل السرطان فقتل نفسه .

قال الغراب : وكيف كان ذلك ؟

قال ابن آوى : زعموا أن علجوماً عشش في أجمة كثيرة السمك فكان يختلف [٢] الى ما فيها من السمك فيأكل منه . فعاش بها ما عاش ثم هرم فلم يستطع صيداً ، فأصابه جوع وجهد شديد فجلس حزيناً يلتمس الحيلة في امره . فمر به سرطان فرأى حالته وما هو عليه من الكآبة والحزن ، فدنا منه وقال له : ما لي اراك أيها الطائر هكذا حزيناً كئيباً ؟ قال العلجوم : وكيف لا احزن وقد كنت أعيش من صيد ما ههنا من السمك ، وإني رأيت اليوم صيادين قد مرا بهذا المكان فقال احدهما لصاحبه : ان ههنا سمكاً كثيراً ، أفلا نصيده أولاً ؟ فقال الآخر : إني قد رأيت في مكان كذا سمكاً أكثر من هذا السمك فلنبدأ بذلك ، فإذا فرغنا منه جئنا إلى هذا فأفنيناه . وقد علمت أنهما إذا فرغا مما ثمّ [٣] انتهيا الى هذه الأجمة فاصطادا ما فيها ، فإذا كان ذلك فهو هلاكي ونفاد [٤] مدتي . فانطلق السرطان إلى جماعة السمك فأخبرهن بذلك ، فأقبلن على العلجوم فاستشرنه وقلن له : إنا أتيناك لتشير علينا ، فإن ذا العقل لا يدع مشاورة عدوه وبقاؤك ببقائنا . قال العلجوم : أما مكابرة [٥] الصيادين فلا طاقة لي بها ، ولا أعلم حيلة إلا لمصير الى غدير [٦] قريب من هنا فيه سمك ومياه كثيرة وقصب ، فإن استطعتن الانتقال إليه كان فيه صلاحكن وخصبكن . فقلن له : ما يمن علينا بذلك غيرك . فجعل العلجوم يحمل في كل يوم سمكتين حتى

---

(١) العلجوم : طائر . (٢) يختلف : يتردد . (٣) ثم : هناك .
(٤) نفاد : انتهاء . (٥) مكابرة : مغالبة ومقاومة . (٦) غدير : مستنقع .

ينتهي بهما إلى بعض التلال فيأكلهما ، حتى إذا كان ذات يوم جاء لأخذ السمكتين فجاءه السرطان فقال له : اني أيضاً قد أشفقت [1] من مكاني هذا واستوحشت منه فاذهب بي الى ذلك الغدير . فقال له : حبـاً وكرامة . واحتمله وطار بـه حتى اذا دنا من التل الذي كان يأكل السمك فيه نظر السرطان فرأى عظام السمك مجموعة هناك فعلم أن العلجوم هو صاحبها وأنه يريد به مثل ذلك . فقال في نفسه : إذا لقي الرجل عدوه في المواطن التي يعلم أنه فيها هالك سواء قاتل أم لم يقاتل كان حقيقاً [2] أن يقاتل عن نفسه كرماً وحفاظاً [3] ، ولا يمكنه من نفسه حتى يستفرغ ما عنده من الحيلة في قتاله ، لأنه قد بنى أمره على التلف ، فلعل خلاصه في ذلك القتال ، والهلاك واقع به كيف كان . فلم يزل يحتال على العلجوم حتى تمكن من عنقه ، فأهوى [4] بكلبتيه [5] عليها فعصرها فمات . وتخلص السرطان الى جماعة السمك فأخبرهن بذلـك .

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن بعض الحيلة مهلكة للمحتال . ولكني أدلك على أمر إن أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الأسود من غير أن تهلك به نفسك وتكون فيه سلامتك .

قال الغراب : وما ذاك ؟

قال ابن آوى : تنطلق فتتبصر [6] في طيرانك لعلك تظفر بشيء من حلي النساءِ فتخطفه ولا تزال طـائراً واقعاً [7] بحيث لا تفوت العيون ، فإذا رأيت الناس قد تبعوك تأتي جحر الأسود فترمي بالحلي

---

(١) أشفقت : خفت . (٢) حقيقاً : أهلاً . (٣) حفاظا : محافظة .
(٤) اهوى : هجم . (٥) بكلبتيه : بنابيه . (٦) تتبصر : تطلب ان تبصر .
(٧) طائراً واقعا : أي تطير وتقع .

عنده ، فإذا رأى الناس ذلك أخـــذوا حليهم وأراحوك من الأسود . فانطلق الغراب محلقاً في السماء فوجد امرأة من بنات العظماء على شاطىء نهر تغتسل وقد وضعت ثيابها وحليهـــا ناحية . فانقض واختطف من حليها عقداً وطار به . فتبعه الناس ولم يزل طائراً واقعـــاً بحيث يراه كل أحد حتى انتهى إلى جحر الأسود ، فـــالقى العقد عليه والناس ينظرون إليه . فلما أتوا أخذوا العقد وقتلوا الأسود .

وإنمـا ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الحيلة تجزىء [1] ما لا تجزىء الـقوة .

قال كليلة : إن الثور لو لم يجتمع مع شدتـــه رأيه لكان كما تقول ، ولكن له مع شدتـه وقوتـــه حسن الرأي والعقل ، فماذا تستطيـع له ؟

قال دمنة : إن الثور لكما ذكرت في قوته ورأيـه ولكنه مقر لي بالفضل ، وأنا خليق أن أصرعه [2] كما صرعت الأرنب الأسد .

قال كليلة : وكيف كان ذلك !

مثل الارنب والاسد

قال دمنة : زعموا أن أسداً كان في أرض كثيرة المياه والعشب ، وكان في تلك لأرض من الوحوش في سعة المياه والمرعى شيء كثير ، إلا أنه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الأسد . فـــاجتمعت وأتت إلى الأسد فقالت له : إنك لتصيب منا الدابة بعد الجهد والتعب ، وقـد رأينا لكِ رأياً فيه صلاح لك وأمن لنا ، فـــإن أنت امنتنا ولم تخفنا

---

(١) تجزىء : تغني وتكفي . (٢) أصرعه : اهلكه.

فلك علينا في كل يوم دابة نرسل بها إليك في وقت غدائك . فرضي الأسد بذلك وصالح الوحوش عليه ووفين له به .

ثم إن ارنباً أصابتها القرعة وصارت غداء الأسد . فقالت للوحوش : إن أنتن رفقتن [1] بي فيما لا يضركن رجوت ان أريحكن من الأسد . فقالت الوحوش : وما الذي تكلفينا من الأمور ! قالت : تأمرن الذي ينطلق بي إلى الأسد ان يمهلني ريثما [2] أبطىء عليه بعض الإبطاء . فقلنا لها : ذلك لك . فانطلقت الأرنب متباطئة حتى جاوزت الوقت الذي كان يتغدى فيه الأسد ، ثم تقدمت إليه وحدها رويداً ، وقد جاع فغضب وقام من مكانه نحوها ، فقال لها : من اين أقبلت ؟ قالت : انا رسول الوحوش إليك ، وقد بعثني ومعي أرنب لك فتبعني اسد في بعض تلك الطريق فأخذها مني وقال : انا أولى بهذه الأرض وما فيها من الوحش . فقلت له : إن هذا غداء الملك أرسلت به الوحوش إليه ، فلا تغضبه.. فسبك وشتمك ، فأقبلت مسرعة لا خبرك . فقال الأسد : انطلقي معي فأريني موضع هذا الأسد . فانطلقت الأرنب الى جب [3] فيه ماء غامر صاف ، فاطلعت فيه وقالت : هذا المكان . فاطلع الأسد فرأى ظله وظل الأرنب في الماء ، فلم يشك في قولها ووثب على الأسد ليقاتله فغرق في الجب فانقلبت [4] الأرنب الى الوحوش ، فأعلمتهن صنيعها بالأسد .

قال كليلة : ان قدرت على هلاك الثور بشيء ليس فيه مضرة للأسد فشأنك [5] ، فإن الثور قد أضر بي وبك وبغيرنا من الجند ، وان أنت لم تقدر على ذلك إلا بهلاك الأسد فلا تقدم عليه فإنه غدر مني ومنك .

---

(١) رفقتن : تلطفتن. (٢) ريثما : مهلة ما. (٣) جب : غدير او بئر فيه ماء عميق .
(٤) انقلبت : عادت . (٥) فشأنك : أي افعل ما تريد .

ثم إن دمنة ترك الدخول على الأسد أياماً كثيرة . ثم أتاه على خلوة منه فقـــال له الأسد : ما حبسك عني منذ زمان لم أرك .. ألا لخير كان انقطاعك ؟ قال دمنة : ليكن خيراً أيها الملك . قال الأسد : وهل حدث أمر ؟ قال دمنة : حدث ما لم يكن الملك يريده ولا أحد من جنده . قال : وما ذاك ؟ قال : كلام فظيع . قال : أخبرني به . قال دمنة : إن كل كلام يكرهه سامعه لا يجسر عليه قائله ، وإن كان ناصحا مشفقاً ، إلا إذا كان المقول له عاقلاً ، فإن اتفق ذلك حمـــل القول على عمل المحبة وعلم ما فيه من النصيحة ، لأن ما كان فيه مـــن نفع فهو له . وإنك ، أيها الملك ، لذو فضيلة ، ورأيك يـــدلك على أنه يوجعني أن اقول ما تكره ، وإني واثق بـــك أنك تعرف نصحي وإيثاري [1] إياك على نفسي . وإنه ليعرض [2] لي انــك غير مصدقي فيما اخبرك به ، ولكني إذا تذكرت وتفكرت ان نفوسنا معاشر الوحوش متعلقة بك لم اجد بدأ من اداء [3] النصح الذي يـــلزمني ، وإن انت لم تسألني او خفت الا تقبله مني . فـــإنه يقال : من كتم السلطان نصيحته ، والأطباء مرضه ، والإخوان رأيه ، فقد خان نفسه .

قال الاسد : فما ذاك ؟ قال دمنة : حدثني الأمين الصدوق عندي أن شتربة خلا برؤوس جندك وقال لهم : إني قد خبرت [4] الأسد وبلوت رأيه ومكيدته وقوته ، فاستبان لي أن ذلك يؤول [5] منه إلى ضعف وعجز ، وسيكون لي وله شأن من الشؤون .

فلما بلغني ذلك علمت أن شتربة خوان غدار ، وأنـــك أكرمته الكرامة كلها وجعلته نظير نفسك فهو يظن أنه مثلك وأنك متى زلت

---

(١) ايثاري : تفضيلي . (٢) يعرض لي : يخطر ببالي .
(٣) اداء : تأدية . تقديم . (٤) خبرت : امتحنت . (٥) يؤول : يرجع .

عن مكانك كان له ملكك ، ولا يدع جهداً [١] إلا بلغه فيك ، وقد كان يقال : إذا عرف الملك من أحد رعيته أنه قد ساواه في المنزلة والحال فليصرعه ، فإن هو لم يفعل به ذلك كان هو المصروع . وشتربة أعلم بالأمور وأبلغ فيها . والعاقل هو الذي يحتال للأمر قبل تمامه ووقوعه . فإنك لا تأمن أن يكون وأن لا تستدركه [٢] . فانه يقال : الرجال ثلاثة : حازم وأحزم منه وعاجز . فالحازم من إذا نزل به الأمر لم يدهش له ، ولم يذهب قلبه شعاعاً [٣] ، ولم تعيَ به [٤] حيلته ومكيدته التي يرجو بها المخرج منه . وأحزم من هذا المقدام [٥] ذو العدة الذي يعرف الابتلاء [٦] قبل وقوعه ، فيعظمه إعظاماً ويحتال له حيلة حتى كأنه قد لزمه فيحسم [٧] الداء قبل أن يبتلى به ، ويدفع الأمر قبل وقوعه . وأما العاجز فهو في تردد وتمن وتوان [٨] حتى يهلك . ومن أمثال ذلك مثل السمكات الثلاث . قال الأسد : وكيف كان ذلك .

قال دمنة : زعموا أن غديراً كان فيه ثلاث من السمك : كيسة [٩] وأكيس منها وعاجزة . وكان ذلك الغدير بنجوة [١٠] من الأرض لايكاد يقربه أحد وبقربه نهر جار . فاتفق أنه اجتاز بذلك النهر صيادان فأبصرا الغدير فتواعدا أن يرجعا إليه بشباكهما فيصيدا ما فيه من السمك . فسمع السمكات قولهما ، فأما أكيسهن فلما سمعت قولهما ارتابت بهما وتخوفت فلم تعرج [١١] على شيء حتى خرجت من المكان الذي

(١) جهداً : طاقة واستطاعة . (٢) تستدركه : تتلافاه .
(٣) لم يذهب قلبه شعاعاً . يستعمل في معرض الفرح وهو هنا للكناية عن شدة الخوف .
(٤) لم تعي . لم تعجز . (٥) المقدام . الجريء الكثير الاقدام .
(٦) الابتلاء . البلية . (٧) فيحسم . يقطع . (٨) توان . فتور .
(٩) كيسة . عاقلة . (١٠) بنجوة : محل مرتفع من الأرض . (١١) لم تعرج : لم تعطف ولم تمل .

يدخل فيه الماء من النهر إلى الغدير فنجت بنفسها . وأما الكيسة الأخرى فإنها مكثت مكانها وتهاونت في الأمر حتى جاء الصيادان . فلما رأتهما وعرفت ما يريدان ذهبت لتخرج من حيث يدخل الماء فإذا بهما قد سدا ذلك المكان فحينئذ قالت : فرطت [1] وهذه عاقبة التفريط ، فكيف الحيلة على هذه الحال ! وقلما تنجح حيلة العجلة والإرهاق [2] ، غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي ولا ييأس على حال ولا يدع الرأي والجهد . ثم إنها تماوتت فطفت على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة وتارة على بطنها ، فأخذها الصيادان وظناها ميتة فوضعاها على الأرض بين النهر والغدير فوثبت إلى النهر فنجت . وأما العاجزة فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صيدت .

قال الأسد : فهمت ذلك ولا أظن الثور يغشني ولا يرجو لي الغوائل [3] . وكيف يفعل ذلك ولم ير مني سوءا قط ولم أدع خيراً إلا فعلته معه ولا أمنية إلا بلغته إياها ، قال دمنة : أيها الملك ، إنه لم يحمله على ذلك إلا ما ذكرته من إكرامك له وتبليغك إياه كل منزلة خلا منزلتك ، وإنه متطلع إليها . فإن اللئيم لا يزال نافعاً ناصحاً حتى يرفع إلى المنزلة التي ليس لها بأهل ، فاذا بلغها اشرأبت [4] نفسه إلى ما فوقها ، ولا سيما اهل الخيانة والفجور . فان اللئيم الفاجر لا يخدم السلطان ولا ينصح له إلا من فرق [5] او حاجة ، فاذا استغنى وذهبت الهيبة والحاجة عاد إلى جوهره ، كذنب الكلب الذي يربط ليستقيم ، فلا يزال مستوياً ما دام مربوطاً ، فاذا حل انحنى وتعوج كما كان

واعلم ، أيها الملك ، انه من لم يقبل من نصحائه ما يثقل عليه مما

---

(١) فرطت : قصرت . (٢) الارهاق : التأخر والابطاء .
(٣) الغوائل : المهالك . (٤) اشرأبت : تطاولت . (٥) فرق : خوف ، وعدة .

ينصحون له لم يحمد غب [١] رأيه كالمريض الذي يدع ما يصف له الطبيب ويعمد لما تشتهيه نفسه . وحق على مؤازر [٢] السلطان أن يبالغ في التحضيض [٣] له على ما يزيد به سلطانه قوة ويزينه ، والكف عما يضره ويشينه [٤] . وخير الإخوان والأعوان أقلهم مداهنة في النصيحة وخير الأعمال أحمدها عاقبة ، وخير النساء الموافقة لبعلها ، وخير الثناء ما كان على افواه الأخيار ، وأفضل الملوك من لا يخالطه بطر ولا يستكبر عن قبول النصيحة ، وخير الأخلاق اعوانها على الورع .

وقد قيل : لو أن امرءاً توسد النار [٥] وافترش الحيات [٦] كان أحق أن يهنئه النوم ممن يحس من صاحبه بعداوة يريده بها ويطمئن إليه ، وأعجز الملوك آخذهم بالهوينا [٧] وأقلهم نظراً في مستقبل الأمور ، واشبههم بالفيل الهائج الذي لا يتلفت إلى شيء ، فإن أحزنا امر تهاون به ، وإن اضاع الأمور حمل ذلك على قرنائه [٨] .

قال الأسد : لقد اغلظت في القول ، وقول الناصح مقبول محمول وإن كان شتربة معادياً لي كما تقول ، فإنه لا يستطيع أن يضرني ولا ان يفت في ساعدي [٩] وكيف يقدر على ذلك وهو آكل عشب وأنا آكل لحم ؟ وإنما هو لي طعام وليس علي مخافة . ثم ليس إلى الغدر به سبيل بعد الأمان الذي جعلته له وبعد إكرامي له وثنائي عليه . وان غيرت

---

(١) غب : عاقبة . (٢) مؤازر : معاون . (٣) التحضيض : الحث . (٤) يشينه يعيبه ، خلاف يزينه . (٥) توسد النار : اتخذها وسادة اي مخدة . (٦) افترش الحيات اتخذها فراشا . (٧) الهويناء : التأني ، والمراد بها هنا التواني والفتور . (٨) قرناءه : ج قرين وهو العشير . (٩) يفت في ساعدي : يضعفني .

ما كان مني وبدلته فقد سفهت رأيي [1] وجهلت نفسي [2] وغدرت بذمتي ونقضت عهدي .

قال دمنة : لا يغرنك قولك هو لي طعام وليس عليّ منه مخافة ، فان شتربة إن لم يستطعك بنفسه احتال لك من قبل غيره . ويقال : إن استضافك ضيف ساعة من نهار وأنت تعرف أخلاقه ، فلا تأمنه على نفسك ولا تأمن أن يصلك منه أو بسببه ما أصاب القملة من البرغوث . قال الأسد : وكيف كان ذلك ؟

مثل القملة والبرغوث

قال دمنة : زعموا أن قملة لزمت فراش رجل من الأغنياء دهراً فكانت تصيب من دمه وهو نائم لا يشعر وتدب دبيباً رفيقاً فمكثت كذلك حيناً حتى استضافها ليلة من الليالي برغوث ، فقالت له بت الليلة عندنا في دم طيب وفراش لين . فأقام البرغوث عندها حتى إذا أوى الرجل إلى فراشه وثب عليه البرغوث فلدغه لدغة أيقظته وأطارت النوم عنه ، فقام الرجل وأمر ان يفتش فراشه فنظر فلم ير إلا القملة فأخذت فقصعت [3] وفر البرغوث .

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم ان صاحب الشر لا يسلم من شره أحد . وإن هو ضعف عن ذلك جاء الشر بسببه . وان كنت لا تخاف من شتربة فخف غيره من جندك الذين قد حرشهم عليك [4] وحملهم على عداوتك .

---

(١) سفهت رأيي : نسبته الى السفه وهو الجهل والخفة .
(٢) جهلت نفسي : نسبتها الى الجهل . (٣) قصعت : قتلت بالظفر .
(٤) حرشهم : اغرام بك وهيجهم عليك .

فوقع في نفس الأسد [1] كلام دمنة فقال : فما الذي ترى إذن وبماذا تشير ؟

قال دمنة : إن الضرس المأكول [2] لا يزال صاحبه منه في ألم وأذى حتى يقلعه ، والطعام الذي قد عفن في البطن الراحة في قذفه ، والعدو المخيف دواؤه قتله .

قال الأسد : لقد تركتني أكره مجاورة شتربة إياي ، وأنا مرسل إليه وذاكر له ما وقع في نفسي منه . ثم آمره باللحاق [3] حيث أحب .

فكره دمنة ذلك وعلم أن الأسد متى كلم شتربة في ذلك وسمع منه جواباً عرف باطل ما أتى هو به واطلع على غدره وكذبه ولم يخف عليه أمره . فقال للأسد : أما إرسالك إلى شتربة فلا اراه لك رأياً ولا حزماً ، فلينظر الملك في ذلك ، فإنه لا يزال لك في نفسك الخيار [4] ما دام لا يعلم أن أمره قد وصل إليك . فإنه متى علم ذلك خفت أن يعاجل الملك بالمكابرة ، وهو ، إن قاتلك ، قاتلك مستعداً ، وإن فارقك فارقك فراقاً يليك [5] منه النقص ويلزمك منه العار . مع ان ذوي الرأي من الملوك لا يعلنون عقوبة من لم يعلن ذنبه ، ولكن لكل ذنب عندهم عقوبة ، فلذنب العلانية عقوبة العلانية ولذنب السر عقوبة السر .

قال الأسد : ان الملك إذا عاقب أحداً عن ظنة [6] ظنها من غير تيقن لجرمه فنفسه عاقب ، وإياها ظلم ، وكان ناقص البصيرة .

قال دمنة : أما إذا كان هذا رأي الملك فلا يدخلن عليك شتربة

---

(١) وقع في نفسه : اثر فيها . (٢) المأكول : المنخور . (٣) باللحاق : بالانصراف. (٤) لك الخيار : انت مخير . (٥) يليك : يلحقك .
(٦) ظنة: ريبة ، تهمة.

إلا وأنت مستعد له وإياك أن تصيبه منك غرة [1] أو غفلة ، فإني لا احسب الملك حين يدخل عليه إلا سيعرف انـه قد همّ بعظيمة . ومن علامات ذلك انك ترى هيئته متغيرة ، وترى أوصاله [2] ترعد [3] ، وتراه ملتفتاً يميناً وشمالاً ، وتراه يصوب قرنيه فعل الذي هم بالنطـاح والقتال .

قال الأسد : سأكون منه على حذر ، وإن رأيت منه ما يدلّ على ما ذكرت علمت أن ما في أمره شك .

فلما فرغ دمنة من تحريش الأسد على الثور ، وعرف أنه قـد وقع في نفسه ما كان يلتمس ، وأن الأسد سيتحذر من الثور ويتهيأ له ؛ أراد أن يأتي الثور ليغريه بالأسد[4] ، وأحب أن يكون إتيانه من قبل الاسد مخافة أن يبلغه ذلك فيتأذى بـه . فقال : أيها الملك ، ألا آتي شتربة فانظر إلى حاله وأمره ، وأسمع كلامه لعليّ أطلع على سره فأطلع الملك على ذلك وعلى ما يظهر لي منه . فأذن له الأسد في ذلـــك ، فانطلق فدخل على شتربة كالكئيب الحزين . فلما رآه الثور رحب به وقال: ما كان سبب انقطاعك عني ؟ فإني لم أرك منذ أيام . أسلامة هو ؟

قال دمنة : ومتى كان من أهل السلامة من لا يملك نفسه ، وأمره بيد غيره ممن لا يوثق به ، ولا ينفك على خطر وخوف حتى مـا من ساعة تمر ويأمن فيهـا على نفسه .

قال شتربة : وما الذي حدث ؟

قال دمنة : حدث ما قدر وهو كائن ، ومن ذا الذي بلغ من الدنيـا جسيماً من الأمور فلم يبطر ؟ ومن ذا الذي بلغ مناه فـلم يغتر ؟ ومن ذا الذي تبع هواه فلم يخسر ؟ ومن ذا الذي حادث النساء فلم يصب ؟ ومن

---

(١) غرة : عدم انتباه ، غفلة (٢) أوصاله : مفاصله . (٣) ترعد : ترتعد

(٤) يغريه : يحرشه ويهيجه عليه .

ذا الذي طلب من اللئام فلم يحرم ؟ ومن ذا الذي خالط الأشرار فسلم ؟ ومن ذا الذي صحب السلطان فدام له منه الأمن والإحسان ؟ ولقد صدق الذي قال : مثل السلاطين في قلة وفائهم لمن صحبهم وسخاء أنفسهم بمن فقدوا من قرنائهم كمثل صاحب الخان كلما فقد واحداً جاء آخر .

قال شتربة : إني أسمع منك كلاماً يدل على أنه قد رابك[1] من الأسد رائب وهالك منه أمر .

قال دمنة : أجل[2] لقد رابني منه ذلك وليس هو في أمر نفسي .

قال شتربة : ففي نفس من رابك ؟

قال دمنة : قد تعلم ما بيني وبينك ، وتعلم حقك عليّ ، وما كنت جعلت لك من العهد والميثاق أيام أرسلني الأسد إليك ، فلم أجد بداً من حفظك واطلاعك على ما اطلعت عليه مما أخاف عليك منه .

قال شتربة : وما الذي بلغك ؟

قال دمنة : حدثني الخبير الصدوق الذي لا مرية[3] في قوله ، أن الأسد قال لبعض أصحابه وجلسائه : قد أعجبني سمن الثور وليس لي إلى حياته حاجة ، فأنا آكله ومطعم أصحابي من لحمه . فلما بلغني هذا القول وعرفت غدره وسوء عهده أقبلت إليك لأقضي حقك وتحتال أنت لامرك .

فلما سمع شتربة كلام دمنة ، وتذكر ما كان دمنة جعل له من العهد والميثاق ، وفكر في أمر الأسد ، ظن أن دمنة قد صدقه ونصح له ، ورأى أن الأمر شبيه بما قال دمنة ، فأهمه ذلك وقال : ما كان للأسد أن يغدر بي ولم آت إليه ذنباً[4] ، ولا إلى أحد من جنده منذ صحبته ؛

---

(١) رابك : أحدث في نفسك ريبة أي شكا وقلقا . (٢) أجل : حرف جواب بمعنى نعم . (٣) لا مرية : لا شك . (٤) لم آت اليه ذنبا : لم اذنب اليه .

ولا أظن الأسد الا قد حمل عليّ بالكذب وشبّه[1] عليه أمري . فإن الأسد قد صحبه قــوم سوءٍ وجرب منهم الكذب وأموراً تصدق إذا بلغته عن غيرهم . فإن صحبة الأشرار ربما أورثت صاحبهـا سوء ظن بالأخيار ، وحمله ما يختبره منهم على الخطإ في حق غيرهم . كخطإ البطة التي زعموا أنها رأت في الماء ضوء كوكب فظنته سمكة فحاولت أن تصيدها . فلما جربت ذلك مراراً علمت أنه ليس بشيءٍ يصاد فتركته . ثم رأت من غد ذلك اليوم سمكة فظنت أنها مثل الذي رأته بالأمس فتركتها ولم تطلب صيدها .

فإن كان الأسد قد بلغه عني كذب فصدّقه عليّ وسمعــه فيّ ، فما جرى على غيري يجري عليّ ؛ وإن كان لم يبلغـه شيء وأراد السوء بي من غير علة ، فإن ذلك لمن أعجب الأمور .

وقد كان يقال : إن من العجب أن يطلب الرجل رضى صاحبه ولا يرضى ، وأعجب من ذلك أن يلتمس رضاه فيسخط . فــإذا كانت الموجدة[2] عن علة كان الرضى موجوداً والعفو مأمولاً ، وإذا كانت عن غير علة انقطع الرجاء ، لأن العلة إذا كانت الموجودة في ورودهــا[3] كان الرضى مأمولاً في صدورها[4] .

وقد نظرت فلا أعلم بيني وبين الاسد جرمــاً ولا كبير ذنب ولا صغيره . ولعمري ، لا يستطيع أحد أطال صحبة صاحب أن يحترس في كل شيء من أمره ، ولا أن يتحفظ من أن يكون منـه كبيرة أو صغيرة يكرهها صاحبه . ولكن الرجل ذا العقل والوفاء إذا سقط عنده صاحبه سقطة نظر فيها وعرف قدر مبلغ خطإه عمداً كان أو خطــأ ،

---

(١) شبه : التبس . (٢) الموجدة : الغضب . (٣) ورودها : نزولها ، والضمير فيها يرجع للعلة . (٤) صدورها : خلاف ورودها اي ابتعادها . يقال ورد الماء ، اذا اتاه وصدر عنه . اذا رجع عنه .

ثم ينظر هل في الصفح عنه أمر يخاف ضرره وشينه فلا يؤاخذ صاحبه بشيء يجد فيه إلى الصفح عنه سبيلاً .

« فإن كان الأسد قد اعتقد عليّ ذنباً فلست أعلمه ، إلا أني خالفته في بعض رأيه بطراً مني ونصيحة له فلعله يكون قد أنزل أمري على الجرأة عليه والمخالفة له . ولا أجد لي في هذا المحضر [1] إثماً [2] ما لأني لم أخالفه في شيء إلا ما قد ندر عند مخالفته الرشد [3] والمنفعة والدين ، ولم أجاهر بشيء من ذلك على رؤوس جنده وعند أصحابه ، ولكن كنت أخلو به وأكلمه سراً كلام الهائب الموقر . وعلمت أنه من التمس الرُّخص [4] من الإخوان عند المشاورة ، ومن الأطباء عند المرض ، ومن الفقهاء عند الشبهة فقد أخطأ منافع الرأي وازداد فيما وقع فيه من ذلك تورطاً [5] وحمل الوزر [6] . وإن لم يكن هذا فلعله يكون ذلك من بعض سكرات السلطان ، فإن صحبة السلطان خطرة ، وإن صُوحِبَ بالسلامة والثقة والمودة وحسن الصحبة فربما عثر مصاحبه العثرة فلا ينتعش [7] ولا تقال عثرته [8] . وإن لم يكن هذا فبعض ما أوتيت من الفضل قد جعل لي فيه الهلاك ، وبعض المحاسن آفة لصاحبها . فان الشجرة اللذيذة الثمر ربما كان أذاها في حملها فلويت أغصانها وهُصِرَتْ [9] أطرافها حتى تتكسر ؛ والطاووس الذي ذنبه أفضله يُنسلُ [10] فيؤلمه ، والفرس المطهم [11] الجريّ [12] ربما رُكِبَ حتى ينقطِعَ ، والبلبل الحسن الصوت يُحبسُ دون غيره من الطير ، وإن لم يكن هذا ولا هذا فهو إذن من مواقع

---

(١) المحضر : مكان الحضور . (٢) اثماً : ذنبا . (٣) الرشد : الهدى .
(٤) الرخص : جمع رخصة وهي اليسر والتساهل . (٥) تورطاً : دخولاً في الورطة وهي الهلاك . (٦) الوزر : الاثم . (٧) لا ينتعش : لا ينهض . (٨) لا تقال عثرته : لا يرفع من سقوطه (٩) هصرت الاغصان : جذبت وعطفت . (١٠) ينسل : ينزع .
(١١) المطهم : الكامل ، التام الخلق . (١٢) الجري : الكثير الجري .

القضاءِ والقدرِ الذي لا يُدفعُ ، والقدَر هو الذي يسلب الأسد قوته وشدته ويُدخله القبر ، وهو الذي يحمل الرجل الضعيف على ظهر الفيل الهائج ، وهو الذي يسلط على الحية ذات الحمة [1] من ينزع حمتها ويلعب بها ، وهو الذي يصيّر العاجز حازماً ويثبط [2] السهم المنطلق ، ويوسع على المقتِر [3] ، ويشجع الجبان ، ويجبن الشجاع عندما تعتريه [4] المقادير بالعلل التي اتفقت [5] لها . »

قال دمنة : إن إرادة الأسد بك ليست من تحريش الأشرار ولا سكرة السلطان ولا غير ذلك ، ولكنها الغدر والفجور منه ، فانه فاجر خوان غدار ، لطعامه حلاوة وآخره سُمٌّ مُميت .

قال شتربةُ : فأراني [6] قد استلذذت الحلاوة إذ ذقتها ، وقد انتهيت إلى آخرها الذي هو الموت . ولولا الحين [7] ما كان مقامي عند الأسد وهو آكل لحم وأنا آكل عشب ، فأنا في هذه الورطة كالنحلة التي تجلس على نور [8] النيلوفر إذ تستلذ ريحه وطعمه فتحبسها تلك اللذة عن الحين الذي ينبغي أن تطير فيه ، فإذا جاء الليل ينضم عليها فترتبك فيه وتموت . ومن لم يرض من الدنيا بالكفاف [9] الذي يغنيه وطمحت عينه إلى ما سوى ذلك ولم يتخوف عاقبته كان كالذُّباب الذي يرضى بالشجر والرياحين ، ولا يقنعه ذلك حتى يطلب الماء الذي يسيل من أُذن الفيل فيضربه الفيل بآذانه فيهلكه . ومن يبذل وده ونصيحته لمن يشكره فهو كمن يبذر في السباخ [10] ، ومن يشر على المعجب [11] فهو كمن يشاور الميت أو يُسار [12] الأصم .

(١) حمة الحية : الناب التي تلدغ بها . (٢) يثبط : يعلق . (٣) المقتر : الفقير .
(٤) تعتريه : تصيبه . (٥) اتفقت : حدثت اتفاقاً . (٦) أراني : أرى نفسي .
(٧) الحين : الموت ، الاجل . (٨) نور : زهر . (٩) الكفاف : الكفاية أو ما كفى واغنى عن الناس . (١٠) السباخ : الأرض ذات الملح . (١١) المعجب : المتكبر .
(١٢) يسار : يكلم بكلام خفي .

قال دمنة : دع عنك هذا الكلام واحتل لنفسك .

قال شتربة : بأي شيء أحتال لنفسي إذا أراد الأسد أكلي مع ما عرفتني من رأي الأسد وسوء أخلاقه ؟ وأعلم أنه لو لم يرد بي إلا خيراً ، ثم أراد أصحابه بمكرهم وفجورهم هلاكي لقدروا على ذلك . فإنه إذا اجتمع المكرة [1] الظلمة على البريء الصالح كانوا خلقاء [2] أن يهلكوه وإن كانوا ضعفاء وهو قوي ، كما أهلك الذئب والغراب وابن آوى الجمل حين اجتمعوا عليه بالمكر والخديعة والخيانة .

مثل الذئب والغراب وابن آوى مع الجمل والأسد

قال الثور شتربة : زعموا أن أسداً كان في أجمة مجاورة لطريق من طرق الناس ، وكان له أصحاب ثلاثة : ذئب وغراب وابن آوى . وإن رعاة مروا بذلك الطريق ومعهم جمال فتخلف منها جمل فدخل تلك الأجمة حتى انتهى إلى الأسد . فقال له الأسد : من أين أقبلت ؟ قال : من موضع كذا . قال : فما حاجتك ؟ قال : ما يأمرني به الملك . قال : تقيم عندنا في السعة والأمن والخصب . فأقام الأسد والجمل معه زماناً طويلاً . ثم إن الأسد مضى في بعض الأيام لطلب الصيد ، فلقي فيلاً عظيماً فقاتله قتالاً شديداً وأفلت منه مثقلاً مثخناً بالجراح يسيل منه الدم ، وقد خدشه الفيل بأنيابه . فلما وصل إلى مكانه وقع لا يستطيع حراكاً ولا يقدر على طلب الصيد فلبث الذئب والغراب وابن آوى أياماً لا يجدون طعاماً لأنهم كانوا يأكلون من فضلات الأسد وطعامه ، فأصابهم وأصابه جوع شديد وهزال ، وعرف الأسد

---

(١) المكرة : جمع ماكر أي صاحب الخديعة والغش . (٢) خلقاء : جمع خليق بمعنى أهل ، جدير .

منهم ذلك فقال : لقد جهدتم واحتجتم إلى ما تأكلون . فقالوا لا تهمنا أنفسنا ، لكنا نرى الملك على ما نراه فليتنا نجد ما يأكله ويصلحه . قال الأسد : ما أشك في نصيحتكم ، ولكن انتشروا لعلكم تصيبون صيداً تأتوني به فيصيبني ويصيبكم منه رزق .

فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الأسد فتنحوا وائتمروا [1] فيما بينهم وقالوا : ما لنا ولهذا الآكل العشب الذي ليس شأنه من شأننا ولا رأيه من رأينا ، ألا نزين [2] للأسد فيأكله ويطعمنا من لحمه ؟

قال ابن آوى : هذا مما لا نستطيع ذكره للأسد لأنه قد أمن الجمل وجعل له من ذمته [3] .

قال الغراب : أنا أكفيكم أمر الأسد . ثم انطلق فدخل عليه ، فقال له الأسد : هل أصبت شيئاً ؟

قال الغراب : إنما يصيب من يسعى ويبصر ، وأما نحن فلا سعي لنا ولا بصر لما بنا من الجوع . ولكن قد وفقنا إلى أمر واجتمعنا عليه ، إن وافقنا الملك فنحن له مجيبون .

قال الأسد : وما ذاك ؟

قال الغراب : هذا الجمل آكل العشب المتمرغ بيننا من غير منفعة لنا منه ولا رد عائدة [4] ولا عمل يعقب مصلحة . فلما سمع الأسد ذلك غضب وقال : ما أخطأ رأيك وما أعجز مقالك وأبعدك عن الوفاء والرحمة ! وما كنت حقيقاً أن تجترىء عليّ بهذه المقالة وتستقبلني بهذا الخطاب مع ما علمت من أني قد أمنت الجمل وجعلت له من ذمتي أو لم يبلغك أنه لم يتصدق متصدق بصدقة هي أعظم أجراً ممن أمن

---

(١) ائتمروا : تشاوروا . (٢) نزين : نحسن . (٣) جعل له من ذمته : أعطاه عهده ، أي أمنه . (٤) عائدة : فائدة .

نفساً خائفة وحقن دماً مهدوراً[1] ؟ وقد أمنته ولست بغـادر به ولا خافر[2] له ذمة .

قال الغراب : إني لأعرف مـا يقول الملك ، ولكن النفس الواحدة يفتدى بها أهل البيت ، وأهل البيت تفتدى بهم القبيلة ، والقبيلة يفتدى بها أهل المصر ، وأهل المصر فدى الملك . وقد نزلت بالملك الحاجة وأنا أجعل له من ذمته مخرجاً على ألا يتكلف الملك ذلك ولا يليه[3] بنفسه ولا يأمر به أحداً ، ولكنا نحتال بحيلة لنا وله فيهـا صلاح وظفر . فسكت الأسد عن جواب الغراب عن هذا الخطاب .

فلما عرف الغراب إقرار الأسد أتى صاحبيه فقال لهما : قد كلمت الأسد في أكله الجمل على أن نجتمع نحن والجمل عند الأسد فنذكر مـا أصابه ونتوجع له اهتماماً منا بأمره وحرصاً على صلاحه ، ويعرض كل واحد منا نفسه عليه تجملا ليأكله ، فيرد الآخران عليه ويسفهان رأيه ويبينان الضرر في أكله . فإذا جاءت نوبة الجمل صوبنـــا رأيه فهلك وسلمنا كلنا ورضي الأسد عنا . ففعلوا ذلك وتقدموا إلى الأسد .

فقال الغراب : قد احتجت ، أيها الملك إلى ما يقوتك ، ونحن أحق أن نهب أنفسنا لك فإنا بك نعيش ، فإذا هلكت فليس لأحد منا بقاء بعدك ، ولا لنا في الحياة من خيرة[4] ، فليأكلني الملك فقد طبت بذلك نفساً . فأجابه الذئب وابن آوى : أن اسكت ، فـــلا خير للملك في أكلك وليس فيك شبع .

قال ابن آوى : لكن أنا أشبع الملك فيأكلني ، فقد رضيت بذلك وطبت نفساً ، فرد عليـه الذئب والغراب بقولهما : إنك لمنتن قذر .

---

(١) مهدوراً : مسفوكاً بالباطل . (٢) خافر : ناقض . (٣) يليه : يقال ولي الامر يليه بمعنى يتولاه . (٤) خيرة : الاسم من اختار الشيء ؛ أي من رغبة .

قال الذئب : إني لست كذلك فيأكلني الملك ، فقد سمحت بذلك وطابت به نفسي . فاعترضه الغراب وابن آوى وقالا : قد قالت الأطباء: من أراد قتل نفسه فليأكل لحم ذئب .

فظن الجمل أنه إذا عرض نفسه على الأكل التمسوا له عذراً كما التمس بعضهم لبعض الأعذار فيسلم ويرضى الأسد عنه بذلك وينجو من المهالك . فقال : لكن أنا فيّ للملك شبع وريّ ، ولحمي طيب هنيء ، وبطني نظيف فليأكلني الملك ويطعم أصحابه وخدمه ، فقد رضيت بذلك وطابت نفسي به . فقال الذئب وابن آوى والغراب : لقد صدق الجمل وكرم وقال ما عرف ، ثم إنهم وثبوا عليه فمزقوه .

وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنه إن كان أصحاب الأسد قد اجتمعوا على هلاكي فإني لست أقدر أن أمتنع منهم ولا أحترس ؛ وإن كان رأي الأسد فيّ على غير ما هم عليه من الرأي ، فإن ذلك لا ينفعني ولا يغني عني شيئاً . وقد يقال : خير السلاطين من أشبه النسر وحوله الجيف لا من أشبه الجيفة وحولها النسور . ولو أن الأسد لم يكن في نفسه لي إلا الخير والرحمة لغيرته كثرة الأقاويل ، فإنها إذا كثرت لم تكف دون أن تذهب الرقة والرأفة . ألا ترى أن الماء ليس كالقول ، وأن الحجر أشد من الإنسان ، والماء إذا دام انحداره على الحجر لم يزل به حتى يثقبه ويؤثر فيه ، وكذلك القول في الإنسان .

قال دمنة : فماذا تريد أن تصنع الآن ؟

قال شتربة : ما أرى إلا الاجتهاد والمجاهدة بالقتال ، فإنه ليس المصلي في صلاته ، ولا للمحتسب [1] في صدقته ، ولا للورع في ورعه من الأجر ما للمجاهد عن نفسه إذا كانت مجاهدته على الحق .

---

(١) المحتسب : المتصدق لوجه الله .

قال دمنة : لا ينبغي لأحد أن يخاطر بنفسه وهو يستطيع غير ذلك ، ولكن ذا الرأي جاعل القتال آخر الحيل ، وبادىء قبل ذلك بما استطاع من رفق وتمحل[1] . وقد قيل : لا تحقرن العدو الضعيف المهين[2] ، ولا سيما إذا كان ذا حيلة ويقدر على الأعوان ، فكيف بالأسد على جرأته وشدته ؟ فإن من حقر عدوه لضعفه أصابه ما أصاب وكيل البحر من الطيطوى . قال شتربة : وكيف كان ذلك .

مثل الطيطوى ووكيل البحر

قال دمنة : زعموا أن طائراً من طيور البحر يقال له الطيطوى ، كان وطنه على ساحل البحر ومعه زوجة له . فلما جاء أوان إفراخها قالت الأنثى للذكر : لو التمسنا مكاناً حريزاً[3] غير هذا نفرخ فيه ، فإني أخاف من البحر ، إذا مد الماء ، أن يذهب بفراخنا . فقال لها : ما أراه يحمل علينا فإن وكيل البحر يخافني أن أنتقم منه ، فأفرخي في مكانك فانه موافق لنا . والماء والزهر منا قريب . قالت له : يا غافل ، ما أشد عنادك وتصلبك ! أما تذكر وعيده[4] وتهدده إياك ؟ ألا تعرف نفسك وقدرك في وعيد من لا طاقة لك به ؟ فأبى أن يطيعها . فلما أكثرت عليه ولم يسمع قولها قالت له : إن من لم يسمع قول الناصح يصيبه ما أصاب السلحفاة حين لم تسمع قول البطتين . قال الذكر وكيف كان ذلك ؟

مثل السلحفاة والبطتين

قالت الأنثى : زعموا أن غديراً كان عنده عشب وكان فيه بطتان ، وكان في الغدير سلحفاة بينها وبين البطتين مودة وصداقة . فاتفق أن

(١) تمحل : احتيال . (٢) المهين : الحقير ، الذليل . (٣) حريزاً : حصيناً .
(٤) الوعيد : التهديد . والوعيد في الشر كالوعد في الخير .

غيض[1] ذلك الماء ، فجاءت البطتان لوداع السلحفاة وقالتا : السلام عليك فإننا ذاهبتان عن هذا المكان لأجل نقصان الماءِ عنه . فقالت : إنما يبين نقصان الماءِ على مثلي التي كأني السفينة لا أقدر على العيش إلا بالماءِ ، فأما أنتما فتقدران على العيش حيث كنتما ، فاذهبا بي معكما . قالتا : نعم . قالت : كيف السبيل إلى حملي؟ قالتا : نأخذ بطرفي عود وتقبضين بفيك على وسطه ونطير بك في الجو . وإياك إذا سمعت الناس يتكلمون أن تنطقي . ثم أخذتاها فطارتا بها في الجو . فقال الناس : عجب ، سلحفاة بين بطتين قد حملتاها . فلما سمعت ذلك قالت : فقأ الله أعينكم أيها الناس . فلما فتحت فاها بالنطق وقعت على الأرض فماتت .

قال الذكر : قد سمعت مقالتك فلا تخافي وكيل البحر . فلما مد الماءُ[2] دنا وكيل البحر فذهب بفراخها .

فقالت الانثى : قد عرفت في بدءِ الأمر أن هذا كائن ، وما أصابنا إنما هو بتفريطك[3] .

قال الذكر : قد قلت ما قلت ، وأنا على قولي ، وسوف ترين صنعي به وانتقامي منه . ثم مضى إلى جماعة الطير فقال لهن : إنكن أخواتي وثقاتي[4] فأعنني . قلن : ماذا تريد أن نفعل ؟ قال تجتمعن وتذهبن معي إلى سائر الطير فنشكو إليهن ما لقيت من وكيل البحر ونقول لهن : إنكن طير مثلنا فأعننا . فقالت له جماعة الطير : إن العنقاءَ بنت الريح هي سيدتنا وملكتنا ، فاذهب بنا إليها حتى نصيح بها فتظهر لنا ، فنشكو إليها ما نالك من وكيل البحر ونسألها أن

---

(١) غيض : غار . نقص . (٢) مد الماء : ارتفع وغمر شيئاً من الساحل .
(٣) تفريطك : تقصيرك . (٤) ثقات : جمع ثقة وهو من يتكل عليه ويؤمن له .

تنتقم لنا منه بقوة ملكها . ثم إنهن ذهبن إليها مع الطيطوى فاستغثنها[1] وصحن بها فتراءت لهن ، فأخبرنها بقصتهن وسألنها أن تطير معهن إلى محاربة وكيل البحر ، فأجابتهن إلى ذلك . فلما علم وكيل البحر أن العنقاء قد قصدته في جماعة الطير ، خاف من محاربة ملك لا طاقة له به[2] ، فرد فراخ الطيطوى وصالحه فرجعت العنقاء عنه .

وإنما حدثتك بهذا الحديث لتعلم أن القتال مع الأسد لا أراه لك رأياً . قال شتربة : فما أنا بمقاتل الأسد ولا ناصب له العداوة سراً ولا علانية ولا متغير له عما كنت عليه حتى يبدو لي منه ما أتخوف فأغالبه . فكره دمنة قوله وعلم أن الأسد إن لم ير من الثور العلامات التي كان ذكرها له اتهمه وأساء به الظن ، فقال لشتربة : اذهب إلى الأسد فستعرف حين ينظر إليك ما يريد منك .

قال شتربة : وكيف أعرف ذلك ؟

قال دمنة : سترى الأسد حين تدخل عليه مقعياً[3] على ذنبه ، رافعاً صدره إليك ، ماداً بصره نحوك ، قد صر[4] أذنيه وفغر[5] فاه واستوى[6] للوثبة[7] . قال : إن رأيت هذه العلامات من الأسد عرفت صدقك في قولك .

ثم إن دمنة لما فرغ من تحريش الأسد على الثور ، والثور على الأسد ، توجه إلى كليلة ، فلما التقيا قال كليلة : إلام انتهى عملك الذي كنت فيه ؟ قال دمنة : قريب من الفراغ على ما أحب وتحب . ثم إن كليلة ودمنة انطلقا جميعاً ليحضرا قتال الأسد والثور وينظرا ما يجري بينهما

(١) استغثنها : طلبن اغاثتها أي مساعدتها . (٢) لا طاقة له به : لا قدرة له عليه .
(٣) مقعياً : جالساً على اليتيه ناصباً فخذيه كجلوس الكلب . (٤) صر : نصب .
(٥) فغر فاه : فتحه . (٦) استوى : جلس . (٧) الوثبة : القفزة والهجمة .

وما يؤول إليه أمرهما . وجاءَ شتربة فدخل على الأسد فرآه مقعياً كما وصفه له دمنة . فقال : ما صاحب السلطان إلا كصاحب الحية التي في صدره ، لا يدري متى تهيج عليه . ثم إن الأسد نظر إلى الثور فرأى الدلالات التي ذكرها له دمنة ، فلم يشك أنه جاءَ لقتاله ، فواثبه ونشأت بينهما الحرب ، واشتد قتال الثور والأسد وطال ، وسالت بينهما الدماءُ .

فلما رأى كليلة أن الأسد قد بلغ من القتال ما بلغ ، قال لدمنة :

— أيها الفسل[1] ، ما أنكر[2] جهلتك وأسوأ عاقبتك في تدبيرك !

قال دمنة : وما ذاك ؟

قال كليلة : جرح الأسد وهلك الثور . وإن أخرق[3] الخرق[4] من حمل صاحبه على سوء الخلق والمبارزة والقتال ، وهو يجد إلى غير ذلك سبيلاً . وإنما الرجل ، إذا أمكنته الفرصة من عدوه ، يتركه مخافة التعرض له بالمجاهرة ، ورجاءَ أن يقدر عليه بدون ذلك . وإن العاقل يدبر الأشياء ويقيسها قبل مباشرتها[5] : فما رجا أن يتم له منها أقدم[6] عليه ، وما خاف أن يتعذر[7] عليه منها انحرف عنه ولم يلتفت إليه . وإني لأخاف عليك عاقبة بغيك هذا ، فإنك قد أحسنت القول ولم تحسن العمل . أين معاهدتك إياي أنك لا تضر بالأسد في تدبيرك ؟ وقد قيل : لا خير في القول إلا مع العمل ، ولا في الفقه إلا مع الورع ، ولا في الصدقة إلا مع النية ، ولا في المال إلا مع الجود ولا في الصدق إلا مع الوفاء ، ولا في الحياة إلا مع الصحة ، ولا في الأمن إلا مع السرور . وقد شرطت أمراً لا يقدر عليه إلا العاقل الرفيق[8] .

---

(١) الفسل : الذي لا مروءة له . (٢) ما أنكر : ما أقبح . (٣) أخرق : لتفضيل من الخرق وهو عدم احسان التصرف في الامور . (٤) خرق : جمع خرق .

(٥) مباشرتها : الشروع فيها . (٦) أقدم : هجم . (٧) يتعذر : يصعب ويستحيل .

(٨) الرفيق : الحاذق ، المحسن للعمل .

واعلم أن الأدب يذهب عن العاقل الطيش ، ويزيد الأحمق طيشاً ، كما أن النهار يزيد كل ذي بصر نظراً ، ويزيد الخفاش[1] سوء النظر . فذو العقل لا يبطر من منزلة أصابها ، وإن تعاظم أمره وقدره ، ويكون عند ذلك كالجبل الذي لا تحركه الرياح الشديدة ، والسخيف كالعشب يحركه أدنى ريح . وقد أذكرني أمرك شيئاً سمعته . فإنه يقال : إن السلطان إذا كان صالحاً ووزراؤه وزراء سوء ، منعوا خيره ، فلا يقدر أحد أن يدنو منه . ومثله في ذلك مثل الماءِ الطيب الذي فيه التماسيح ، لا يقدر أحد أن يتناوله وإن كان إلى الماءِ محتاجاً . وإنما الملك وزينته أن تكون جنوده ووزراؤه ذوي صلاح فيسددون أحوال الناس وينظرون في صلاحهم . وأنت ، يا دمنة ، أردت أن لا يدنو من الأسد أحد سواك ، وهذا أمر لا يصح ولا يتم أبداً ، وذلك للمثل المضروب إن البحر بأمواجه والسلطان بأصحابه . ومن الحمق الحرص على التماس الإخوان بغير الوفاءِ لهم ، والتماس الآخرة بالرياءِ ، ومودة النساءِ بالغلظة[2] ونفع النفس بضر الغير . وما عظتي وتأديبي إياك إلا كما قال الرجل للطائر : لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم ، ولا تعالج تأديب ما لا يتأدب . قال دمنة : وكيف كان ذلك ؟

مثل القردة والطائر والرجل

قال كليلة : زعموا أن جماعة من القردة كانوا ساكنين في جبل . فالتمسوا في ليلة باردة ذات رياح وأمطار ناراً فلم يجدوا . فرأوا يراعة[3] تطير كأنها شرارة نار فظنوها ناراً وجمعوا حطباً كثيراً ،

---

(١) الخفاش : الوطواط . (٢) الغلظة : الجفاء ، خلاف الرقة .

(٣) يراعة : ذبابة مضيئة تطير في الليل .

فألقوه عليها وجعلوا ينفخون بأفواههم ويتروحون [١] بأيديهم طمعاً في أن يوقدوا ناراً يصطلون [٢] بها من البرد . وكان قريباً منهم طائر على شجرة ينظرون إليه وينظر إليهم ، وقد رأى ما صنعوا فجعل يناديهم ويقول : لا تتعبوا فإن الذي رأيتموه ليس بنار . فلما طال ذلك عليه عزم على القرب منهم لينهاهم عما هم فيه ، فمر به رجل فعرف ما عزم عليه فقال له : لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم ، فإن الحجر الصلب الذي لا ينقطع لا تجرب عليه السيوف ، والعود الذي لا ينحني لا تعمل منه القوس ، فلا تتعب . فأبى الطائر أن يطيعه وتقدم إلى القردة ليعرفهم أن اليراعة ليست بنار ، فتناوله بعض القردة فضرب به الأرض فمات . فهذا مثلك معي في ذلك . ثم قد غلب عليك الخب [٣] والفجور [٤] وهما خلتا [٥] سوء ، والخب شرهما عاقبة ، ولهذا مثل .

– قال دمنة : وما ذلك المثل ؟

مثل الخبّ والمغفل

قال كليلة : زعموا أن خباً [٦] ومغفلاً اشتركا في تجارة وسافرا . فبينما هما في الطريق تخلف [٧] المغفل لبعض حاجته فوجد كيساً فيه ألف دينار فأخذه . فأحس به الخب فرجعا إلى بلدهما حتى إذا دنوا من المدينة قعدا لاقتسام المال . فقال المغفل : خذ نصفه وأعطني نصفه، وكان الخب قد قرر في نفسه أن يذهب بالألف جميعها . فقال : لا نقتسم ، فإن الشركة والمفاوضة أقرب إلى الصفاءِ والمخالطة ، ولكن آخذ نفقة وتأخذ مثلها وندفن الباقي في أصل هذه الشجرة فهو مكان

(١) يتروحون : يجلبون الريح . (٢) يصطلون بها : يتدفأون .
(٣) الخب : الخبث والخداع. (٤) الفجور : الكذب والعصيان .
(٥) خلة : خصلة . (٦) الخب : الخبيث والخادع . (٧) تخلف : تأخر .

حريز[1] وذلك أكتم لأمرنا ، فاذا احتجنا جئنا أنا وأنت فنأخذ حاجتنا منه ولا يعلم بموضعنا أحد . فأخذا منها يسيراً ودفنا الباقي في أصل الشجرة ودخلا البلد . ثم إن الخب خالف المغفل إلى الدنانير[2] ، فأخذها وسوى الأرض كما كانت . وجاء المغفل بعد ذلك فقال للخب ، قد احتجت إلى نفقة فانطلق بنا نأخذ حاجتنا . فقام الخب معه وذهبا إلى المكان فحفرا فلم يجدا شيئاً . فأقبل الخب على وجهه يلطمه ويقول: لا تغتر بصحبة صاحب ، خالفتني إلى الدنانير فأخذتها . فجعل المغفل يحلف ويلعن آخذها ولا يزداد الخب إلا شدة في اللطم ، وقال : ما أخذها غيرك ، وهل شعر بها أحد سواك ؟ ثم طال بينهما ذلك فترافعا إلى القاضي فاقتص القاضي قصتهما[3] فادعى الخب أن المغفل أخذها ، وجحد[4] المغفل ، فقال للخب : ألك على دعواك بينة ؟ قال : نعم ، الشجرة التي كانت الدنانير عندها تشهد لي أن المغفل قد أخذها ، وكان الخب قد أتى أباه فقص عليه القصة وطلب إليه أن يذهب فيتوارى[5] في الشجرة بحيث إذا سئل أجاب . فقال له أبوه : رب متحيل أوقعه تحيله في ورطة عظيمة لا يقدر من الخلاص منها ، فإياك أن يكون مثلك مثل العلجوم . قال الخب : وكيف كان ذلك ؟

مثل العلجوم والحية وابن عرس

قال أبوه : زعموا أن علجوماً جاور حية فكان كلما أفرخ جاءت إلى عشه وأكلت فراخه . ففزع[6] في ذلك إلى السرطان ، فقال له

(١) الحريز : الحصين ، المنيع . (٢) خالف الى كذا : قصد مخالفاً .
(٣) اقتص قصتهما : طلب ان يقصاها عليه . (٤) جحد : انكر .
(٥) يتوارى : يختفي . (٦) فزع الى : التجأ .

السرطان : إن بقربك جحراً يسكنه ابن عرس وهو يأكل الحيات ، فاجمع سمكاً كثيراً وفرقه من جحر ابن عرس الى جحر الحية ، فإنه إذا بدأ في أكل السمك انتهى إلى جحر الحية فأكلها . ففعل وكان كذلك ، ثم تدرج ابن عرس إلى جحر الحية في طلب غيرها حتى بلغ إلى جحر العلجوم فأكله أيضاً وفراخه جميعاً .

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن من لم يتثبت[1] في الحيل ويتدبرها وينظر فيها . أوقعته حيلته في أشد مما يحتال له . قال الخب : قد فهمت ما ذكرت ، ولكن لا تخف فان الأمر يسير حقير . ولم يزل به[2] حتى طاوعه وانطلق معه فدخل جوف الشجرة . ثم إن القاضي لما سمع من الخب حديث شهادة الشجرة أكبره[3] وانطلق هو وأصحابه والخب والمغفل معه حتى وافى الشجرة فسألها عن الخبر . فقال الشيخ من جوفها : نعم ، المغفل أخذها . فلما سمع القاضي ذلك اشتد تعجبه وجعل يطوف بالشجرة حتى بان له خرق فيها ؛ فتأمله فلم يرَ فيه شيئاً . فدعا بحطب وأمر أن تحرق الشجرة فأضرمت حولها النيران . فاستغاث أبو الخب عند ذلك فأخرج وقد أشرف على الهلاك . فسأله القاضي عن القصة فأخبره بالخبر . فأوقع بالخب ضرباً وبأبيه صفعاً[4] وأركبه مشهوراً وغرم الخب الدنانير[5] فأخذها وأعطاها المغفل .

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الخب والخديعة ربما كان صاحبها هو المغبون . وإنك يا دمنة جامع للخب والخديعة والفجور . وإني أخشى عليك ثمرة عملك مع أنك لست بناج من العقوبة ، لأنك ذو

---

(١) لم يتثبت في الشيء : لم يتأن به . (٢) لم يزل به : لم يزل يحاول اقناعه .
(٣) أكبره : عده أمراً كبيراً . (٤) صفعا : ضربا على مؤخر العنق .
(٥) غرمه الدنانير : ألزمه دفعها .

لونين ولسانين . وإنما عذوبة ماءِ الأنهار ما لم تبلغ إلى البحار ، وصلاح أهل البيت ما لم يكن بينهم المفسد . وإنه لا شيء أشبه بك من الحية ذات اللسانين التي فيها السم ، فإنه قد يجري من لسانك كسمها ؛ وإني لم أزل لذلك السم من لسانك خائفاً ، ولما يحُلُّ بك متوقعاً [1] . والمفسد بين الإخوان والأصحاب كالحية التي يربيها الرجل ويطعمها ويمسحها ويكرمها ، ثم لا يكون له منها غير اللدغ .

وقد يقال : الزم ذا العقل وذا الكرم وذا الأصل الطيب ، واسترسل إليهم [2] وإياك ومفارقتهم ، واصحب الصاحب إذا كان عاقلاً كريماً او عاقلاً غير كريم أو كريماً غير عاقل : فالعاقل الكريم كامل ؛ والعاقل غير الكريم اصحبه ، وإن كان غير محمود الخليقة [3] ، واحذر من سوءِ أخلاقه وانتفع بعقله ، والكريم غير العاقل الزمه ولا تدع مواصلته ، وإن كنت لا تحمد عقله ، وانتفع بكرمه وانفعه بعقلك . والفرار كل الفرار من اللئيم الأحمق ، وإني بالفرار منك لجدير . وكيف يرجو إخوانك عندك كرماً وودّاً وقد صنعت بملكك الذي أكرمك وشرفك ما صنعت ؟ وإن مثلك مثل التاجر الذي قال : إن أرضاً تأكل جرذانها مئة منٍّ [4] حديداً ليس بمستنكر لبزاتها أن تختطف الفيلة . قال دمنة : وكيف كان ذلك ؟

قال كليلة : زعموا أنه كان بأرض كذا تاجر ، فأراد الخروج إلى بعض الوجوه [5] لابتغاءِ [6] الرزق ، وكان عنده مئة منٍّ حديداً فأودعها رجلاً من إخوانه وذهب في وجهه [7] . ثم قدم بعد ذلك بمدة ، فجاء والتمس الحديد فقال له : قد أكلته الجرذان . فقال : قد سمعت

---

(١) متوقعا : منتظراً . (٢) استرسل اليهم : تعمق في مودتهم .
(٣) الخليقة : الطبيعة . (٤) المن : رطلان شاميان . (٥) بعض الوجوه : بعض الجهات . (٦) الابتغاء : الطلب . (٧) في وجهه : ما توجه له ، ذهب لعمله .

أن لا شيء أقطع من أنيابها للحديد . ففرح الرجل بصديقه على ما قال وادعى ، ثم إن التاجر خرج فلقي ابناً للرجل فأخذه وذهب به إلى منزله ، ثم رجع إليه الرجل من الغد فقال له : هل عندك علم من ابني ؟ فقال له التاجر : إني لما خرجت من عندك بالأمس رأيت بازياً قد اختطف صبياً صفته كذا ، ولعله ابنك . فلطم الرجل رأسه وقال : يا قوم ، هل سمعتم أو رأيتم أن البزاة تختطف الصبيان ؟ فقال : نعم ، وإن أرضاً تأكل جرذانها مئة منٍّ حديداً ليس بعجب أن تختطف بزاتها الفيلة . قال له الرجل : أنا أكلت حديدك وهذا ثمنه فاردد عليَّ ابني .

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن من غدر بملكه وصاحب نعماه[1] فليس بعجب أن يغدر بغيره . وإذا صاحب أحد صاحباً وغدر بمن سواه فقد علم صاحبه أنه ليس عنده للمودة موضع . فلا شيء أضيع من مودة تمنح من لا وفاء له ، وحباء[2] يصطنع عند من لا شكر له ، وأدب يحمل إلى من لا يتأدب به ولا يسمعه ، وسر يستودع من لا يحفظه . وإن الشجرة المرة لو طليت بالعسل لم يجدها[3] ذلك شيئاً . وإن صحبة الاخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر ، كالريح إذا مرت بالطيب حملت طيباً ، وإذا مرت بالنتن حملت نتناً ، وقد طال وثقل كلامي عليك .

فانتهى كليلة من كلامه إلى هذا المكان وقد فرغ الأسد من الثور[4] . ثم فكر في قتله بعد ان قتله وذهب عنه الغضب وقال : لقد فجعني[5] شتربة بنفسه وكان ذا عقل ورأي وخلق كريم ، ولا أدري لعله كان بريئاً أو مكذوباً عليه . فحزن وندم على ما كان منه ، وتبين ذلك في

---

(١) نعماه : نعمته . (٢) حباء : عطاء . (٣) لم يجدها : لم ينفعها .
(٤) فرغ الاسد من الثور : فرغ من قتله . (٥) فجعني : رزأني واصابني .

وجهه . وبصر به دمنة فترك محاورة كليلة وتقدم من الأسد فقال له :
ـ ليهنئك الظفر ، إذ أهلك الله أعداءك فماذا يحزنك أيها الملك ؟ قال :
أنا حزين على عقل شتربة ورأيه وأدبه . قال له دمنة : لا ترحمه أيها
الملك ، فإن العاقل لا يرحم من يخافه ، وإن الرجل الحازم ربما أبغض
الرجل وكرهه ، ثم قربه وأدناه لما يعلم عنده من الغناء [1] والكفاءة ،
فعل الرجل المتكاره على الدواء الشنيع [2] رجاء منفعته . وربما أحب
الرجل وعز عليه فأقصاه [3] وأهلكه مخافة ضرره ، كالذي تلدغه الحية
في إصبعه فيقطعها ويتبرأ [4] منها مخافة أن يسري سمها إلى بدنه .
فرضي الأسد بقول دمنة ، ثم علم بعد ذلك بكذبه وفجوره فقتله
شر قتلة .



(١) الغناء : المنفعة (٢) المتكاره على الدواء : الشارب له كرهاً .
(٣) اقصاه : أبعده . (٤) يتبرأ : يتخلص .

الفصل الثانى

الفحص عن أمر دمنة

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد حدثتني عن الواشي الماهر المحتال كيف يفسد بالنميمة المودة الثابتة بين المتحابين . فحدثني إن رأيت بما كان من حال دمنة وإلام آل مآله[1] بعد قتل شتربة ، وما كان من معاذيره عند الأسد وأصحابه حين راجع الأسد رأيه في الثور وتحقق النميمة من دمنة ، وما كانت حجته التي احتج بها .

قال الفيلسوف : إني وجدت في حديث دمنة أن الأسد حين قتل شتربة ندم على قتله وذكر قديم صحبته وجسيم[2] خدمته ، وإنه كان أكرم أصحابه عليه وأخصهم منزلة لديه وأقربهم وأدناهم إليه ، وكان يواصل المشورة دون خواصه . وكان من أخص أصحابه عنده بعد الثور النمر . فاتفق أنه أمسى النمر ذات ليلة عند الأسد فخرج من عنده في جوف الليل[3] يريد منزله ، فاجتاز[4] على منزل كليلة ودمنة . فلما انتهى إلى الباب سمع كليلة يعاتب دمنة على ما كان منه ويلومه في

(١) آل مآله : رجع مرجعه . (٢) جسيم : عظيم .
(٣) جوف الليل : وسطه . (٤) اجتاز : مر . تعدى .

النميمة واستعمالها مـــع الكذب والبهتان [١] في حق الخاصة [٢] وعرف النمر عصيان دمنة وترك القبول منه فوقف يستمع ما يجري بينهما .

فكان فيما قـال كليلة لدمنة : لقد ارتكبت مركباً صعباً ودخلت مدخلاً ضيقاً وجنيت [٤] على نفسك جناية موبقة [٣] وعاقبتهـا وخيمة ، وسوف يكون مصرعك شديـداً إذا انكشف للأسد أمرك واطلع عليه وعرف غدرك ومحالك [٥] وبقيت لا ناصر لك ، فيجتمع عليك الهوان والقتل مخافة شرك وحذراً من غوائلك [٦] . فلست بمتخذك بعـد اليوم خليلاً ولا مفش لك سراً ، لأن العلماء قد قالوا : تباعـد ممن لا رغبة لك فيه . وأنا جدير بمباعدتك والتماس الخلاص لي ممـا وقع في نفس الأسد من هذا الأمر .

فلما سمع النمر هذا من كلامهما قفل [٧] راجعاً ، فدخل على أم الأسد فأخذ عليها العهود والمواثيق أنها لا تبوح بما يسر إليهـا فعاهدته على ذلك ، فأخبرها بما سمع من كلام كليلة ودمنة . فلمـا أصبحت دخلت على الأسد فوجدته كئيباً حزيناً مهموماً لما ورد عليه من قتل شتربة . فقالت له : مـا هذا الهم الذي أخذ منك [٨] وغلب عليك ؟ قال : يحزنني قتل شتربة إذا تذكرت صحبته ومواظبته معي ، ومـا كنت أسمع من مؤامرته وأسكن [٩] إليه في مشاورته وأقبل من مناصحته [١٠]. قالت أم الأسد : إن كنت ترى أن لك في قتله فرجاً فلا ينبغي لك أن تحزن ، وإلا فقلبك يشهد أن عملك الذي عملته لم يكن صواباً ولا عدلاً ، لأن العلماء قد قالوا : إذا أردت أن تعلم عدوك من صديقك ففكر في نفسك فإن لم يكن قلبك له سليماً فاعلم أنه لك كذلك .

---

(١) البهتان : القول على الناس بما لم يفعلوه . (٢) الخاصة : خلاف العامة .
(٣) جنى الذنب عليه : جره اليه . (٤) موبقة : مهلكة . (٥) غدرك ومحالك : كيدك ومكرك . (٦) غوائل : اي شرور . (٧) قفل : رجع . (٨) اخذ منه الهم : اشتد عليه . (٩) اسكن اليه : اركن واطمئن . (١٠) مناصحته : نصحه .

فانظر الآن وابحث في ذات نفسك[1]، هل ترى ضميرك يشهد لك أن الذي فعلته بالثور كان عدلاً أم ظلماً ؟ فقال الاسد إن صح ما تقولين فإني لم أقتل الثور إلا ظلماً لأني قد بحثت في نفسي كما تقولين فلم أجد إلا ما يدل على براءة شتربة وقتله ظلماً وبغياً[2] مكذوباً عليه من الأشرار. وإن كثرة البحث عن الأمور تحق الحق وتبطل الباطل، وإن حديثك ليدل على مكنون[3] أمر. أفبلغك شيء عن هذا الأمر؟ فقالت أم الأسد: إن أشدّ ما شهد امرؤ على نفسه، وهذا خطأ عظيم كيف أقدمت على قتل الثور بلا علم ولا يقين. ولولا ما قالت العلماء من إذاعة الأسرار وما فيها من الإثم والشنار[4]، لذكرت لك وأخبرتك بما علمت. فإن العلماء قد قالوا: إن أحمد الناس عاقبة في الدنيا والآخرة أكتمهم للسر.

قال الأسد: إن أقوال العلماء لها وجوه كثيرة ومعان مختلفة، فإنهم قد قالوا أيضاً: من اطلع على ذنوب المذنبين فكتمها عن السلطان فلم يعاقبوا على ذنوبهم، عوقب هو يوم القيامة. وإن الذي أطلعك على هذا السر العظيم لم يطلعك عليه إلا لتعلميني به، فأطلعيني على ما أسر إليك من ذلك وأخبريني به ولا تطويه عني. فأخبرته بجميع ما ألقاه إليها النمر من غير أن تخبره باسمه وقالت: إني لم أجهل قول العلماء في تعظيم العقوبة وتشديدها، وما يدخل على الرجل من العار في إذاعة الأسرار، ولكنني أحببت أن أخبرك بما فيه المصلحة لك.

فقد قالت العلماء: إن فساد عامة الأشياء يكون من حالتين: إحداهما إفشاء السر والأخرى ترك عقوبة من يستوجب العقوبة، ولإفشاء

(١) ذات نفسك: سريرتك المضمرة. (٢) بغياً: اعتداء، ظلما.
(٣) مكنون: مستور. (٤) الشنار: اقبح العيب.

السر خير من أن يُبقى على هذا الخائن[1] دمنة الذي أدخل الفساد بينك وبين الثور بمكره وفجوره . فلو كتم أمره لنجا من العقاب على فعله ولخيف منه أكثر من هذه الفعلة من عمله . وقد أمر العلماء بالعفو عن الجاني والصفح عن المذنب ، ولكنهم قد نهوا عن اغتفار الجرم[2] العظيم والذنب الكبير .

فلما قصت أم الأسد هذا الكلام صح[3] عند الأسد ما فعل دمنة ، فاستدعى أصحابه وجنده فأدخلوا عليه ، ثم أمر أن يؤتى بدمنة . فلما حضر دمنة نكس الأسد رأسه[4] إلى الأرض ملياً[5] ، فالتفت دمنة إلى بعض الحاضرين فقال : ما الذي حدث ؟ وعلام اجتمعتم ؟ وما الذي أحزنِ الملك ؟ فالتفتت أم الأسد إليه وقالت له : أحزن الملك بقاؤك ولو طرفة عين ولن يدعك بعد اليوم حياً . قال دمنة : وما حدث من أمري حق وجب به قتلي . قالت : إنه قد بان للملك كذبك وفجورك[6] وخديعتك في قتل الثور من غير ذنب كان منه ، فلست حقيقاً[7] أن تترك بالحياة طرفة عين . قال دمنة : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، لأنه يقال : أشد الناس في توقي الشر يصيبه الشر قبل المستسلم له . فلا يكونن الملك وخاصته وجنوده المثل السوء . ولقد صدق من قال : كلما ازداد الانسان في الخير اجتهاداً كان الشر إليه أسرع . وقد قيل : من صحب الأشرار وهو يعلم حالهم كان أذاه من نفسه ، ولذلك انقطعت[8] النساك بأنفسها عن الخلق واختارت الوحدة على المخالطة وحب العمل لله على حب الدنيا وأهلها ، ومن يجزي بالخير خيراً وبالاحسان إحساناً إلا الله ؟ ومن طلب الجزاء على الخير من الناس كان

---

(١) يبقى عليه : بمعنى يبقيه في الحياة . (٢) الجرم : الذنب . (٣) صح : ثبت .
(٤) نكس رأسه : اطرق . (٥) مليا : طويلاً . (٦) الفجور : الكذب والشر .
(٧) حقيقا : مستحقا . (٨) انقطعت : خلت .

حقيقاً أن يحظى بالحرمان إذ يخطىء الصواب[1] في خلوص العمل لغير الله وطلب الجزاء من الناس ؟ ولكن عاقبة ما ينبغي أن يعاقب به الفجار يصاب به الأخيار . وهذا الأمر شبيه بشأني لأنني حملني حب الملك ونصحي له وإشفاقي[2] عليه أن أطلعه على سر عدوه الخائن . وإن الملك قد شاهد منه ذلك عياناً وظهرت له العلامات التي ذكرتها له . أفهذا جزائي منه أن أقتل ؟

فلما سمع الأسد ذلك من كلام دمنة ، أمر أن يخرج من عنده حتى ينظر في أمره ليجتهد في الفحص عنه لئلا يعود إلى العجلة والندامة . فعند ذلك سجد دمنة للأسد شكرا له ودعا له وقال : أيها الملك ، لا تعجل في قتلي ، ولا تسمع في كلام الأشرار ، وليبحث الملك عن أمري حتى يتبين له صدقي . وقد قالت الحكماء : إن النار أخفيت في الحجارة فلا تستخرج منها إلا بالمعالجة والقدح . ولو كنت أعلم لنفسي ذنباً فيما بيني وبين الملك لم أقم بين يديك . وأنا أرغب[3] إلى الملك ، إن كان في شك من أمري ، أن يأمر بالنظر فيه ويكون من يتولى ذلك لا تأخذه في الله لومة لائم[4] ، وإلا فلا ملجأ لي في ذلك إلا الله وهو الذي يعلم سرائر العباد وما تكن[5] صدورهم . وإن أحق ما رغبت فيه رعية الملك هو محاسن الأخلاق ومواقع الصواب وجميل السير[6] ، وإن الباطل قد يتلبس[7] بالحق حتى يتشابها كما أصاب الخازن الذي فضح سره بالتلبيس[8] عليه . قال الأسد : وكيف كان ذلك ؟

---

(١) يخطىء الصواب : لا يصيبه . (٢) اشفاقي : خوفي وحذري .
(٣) ارغب اليه : ابتهل واتضرع . (٤) لا تأخذه لومة لائم : لا يخاف فيه اللوم .
(٥) تكن : تضمر وتخفي . (٦) السير : جمع سيرة الانسان وهي طريقته التي يسير عليها بين الناس . (٧) يتلبس : يختلط . (٨) التلبيس : الخلط .

مثل الخازن والمصور

قال دمنة : زعموا أنه كان في بعض المدن تاجر وكان له خازن لبيت ماله . وإن الخازن أراد اختلاس شيء من المال فلم يستطع لأن التاجر كان إذا دخل الخازن بيت المال أقفل عليه الباب . فإذا أراد الخروج أتى ففتح له وفتشه قبل أن يخرج . وكان إلى جنب التاجر رجل مصور ماهر وكان هو للخازن صديقاً . فقال له الخازن يوماً : هل لك[1] أن تواطئني[2] على الاختلاس من هذا المال ؟ قال نعم . قال : وما الحيلة ولا سبيل لك إلى الدخول إليّ وذكر له حاله مع التاجر . قال المصور : أو ما لبيت المال كوة الى الخارج تناولني منها شيئاً في الظلام ؟ قال : بلى ، ولكن أخشى ان يرانا أحد . قال : فأنا أمر قريباً من الكوة إذا ابتدأ الظلام فأصفر لك أو أومىء إليك فترمي لي بصرة فآخذها ولا يشعر بنا . فرضي الخازن بذلك وأعجبه وأقاما عليه حيناً . ثم إن الخازن قال ذات يوم للمصور : إن استطعت أن تحتال بحيلة أعلم بها مجيئك من غير صفر ولا إيماء ولا ما يرتاب به من فعلك وفعلي ، فإني قد تخوفت ان يحس بنا أحد . قال المصور : عندي من الحيلة ما سألت ، إن عندي ملاءة[3] فيها من تهاويل الصور[4] وتماثيل الصنعة ، فإني ألبسها حين مجيئي وأتراءى لك فيها . ثم إن المصور لبس الملاءة وتراءى له فرمى له بالصرة فتناولها . ولم يزالا على ذلك حتى بصر بهما في تلك الحالة جار للمصور ، وكان بينه وبين خادم للمصور صداقة . فطلب الملاءة منه وقال : أريد أن أريها صديقاً لي لأسره بذلك ، وأسرع الكرة[5] بردها قبل أن يعلم بذلك مولاك .

---

(١) هل لك : هل تريد . (٢) تواطئني : توافقني . (٣) ملاءة : ثوب يلتف به .
(٤) تهاويل الصور : الوانها ونقوشها . (٥) اسرع الكرة : اعجل المجيء .

فأعطاه إياها . ولما أتى الليل أسرع فلبسها ومر من حيث كان يمر المصور . فلما رآه الخازن لم يشك في مجيئه فرمى له بالصرة فتناولها وانطلق . فرجع بالملاءة إلى خادم المصور فدفعها إليه فوضعها موضعها وكان المصور عن بيته غائباً . فلما عاد إلى منزله لبس الملاءة على عادته وتراءى للخازن ، فعجب من رجوعه ولم يكن لديه ما يرمي له به وانصرف المصور بلا شيء . ثم تلاقيا بعد ذلك فقال له المصور : لِمَ لم ترم لي بالصرة ؟ قال : أو لم تمر قبيل مرورك ورميت لك بها ؟ فرجع المصور إلى منزله فدعا خادمه وتوعده[1] بالقتل أو يخبره بالحقيقة ، فأخبره بالقصة ، فأخذ الملاءة فأحرقها .

وإنما ضربته لك هذا المثل إرادة ألا يعجل الملك في أمري بشبهة . ولست أقول هذا كراهة للموت فإنه وإن كان كريهاً لا منجى منه ، وكل حيٍّ هالك . وإنما العلماء قد قالوا : من اقترف[2] خطيئة أو إثماً ثم أسلم نفسه إلى القتل من غير ضرورة تدعوه إلى ذلك ، عفا الله عنه وأنجاه في الآخرة من عذاب النار . ولو كانت لي مئة نفس وأعلم أن هوى الملك في إتلافهن ، طبت له بذلك نفساً . فقال بعض الجند : لم ينطق بهذا لحبه الملك ولكن لخلاص نفسه والتماس العذر لها . فقال له دمنة : ويلك ، وهل عليَّ في التماس العذر لنفسي عيب؟ وهل أحد أقرب إلى الانسان من نفسه ؟ وإذا لم يلتمس لها العذر فمن يلتمسه ؟ لقد ظهر منك ما لم تكن تمتلك كتمانه من الحسد والبغضاء . ولقد عرف من سمع منك أنك لا تحب لأحد خيراً وأنك عدو نفسك فمن سواها بالأولى . فمثلك لا يصلح ان يكون مع البهائم فضلاً عن ان يكون مع الملك وان يكون ببابه . فلما أجابه دمنة بذلك خرج مكتئباً

---

(١) توعده : تهدده .　　(٢) اقترف : ارتكب .

حزيناً مستحياً . فقالت أم الأسد لدمنة : قد عجبت منك ، أيها المحتال ، في قلة حيائك وكثرة قحتك[1] وسرعة جوابك لمن كلمك .

قال دمنة : لأنك تنظرين إليّ بعين واحدة وتسمعين بأذن واحدة ، مع أن شقاوة جدي[2] قد زوت[3] عني كل شيء حتى لقد سعوا الى الملك بالنميمة عليّ .

وإني أرى كل شيء قد تنكر[4] حتى صار الناس لاستخفافهم به وطول كرامته إياهم وما هم فيه من العيش والنعمة لا يدرون في أي وقت ينبغي لهم الكلام ولا متى يجب عليهم السكوت . قالت : ألا تنظرون إلى هذا الخبيث مع عظم ذنبه كيف يجعل نفسه بريئاً كمن لا ذنب له ؟

قال دمنة : إن الذين يعملون غير أعمالهم ليسوا على شيء كالذي يضع الرماد موضعاً ينبغي أن يضع فيه الرمل ويستعمل فيه السرجين[5] ، والرجل الذي يلبس لباس المرأة ، والمرأة التي تلبس لباس الرجل ، والضيف الذي يقول أنا رب البيت ، والذي ينطق بين الجماعة بما لا يسأل عنه . وإنما الخبيث من لا يعرف الأمور ولا احوال الناس ، ولا يقدر على دفع الشر عن نفسه ولا يستطيع ذلك .

قالت أم الأسد : أتظن ، أيها الغادر المحتال ، بقولك هذا أنك تخدع الملك ولا يسجنك ؟

قال دمنة : الغادر هو الذي لا يأمن عدوه مكره ، وإذا استمكن من عدوه قتله على غير ذنب .

---

(١) قحتك : وقاحتك . (٢) جدي : حظي . (٣) زوت : بعدت ، زالت .
(٤) تنكر : تغير عن حاله . (٥) السرجين : الدمال ، الزبل ، روث الحيوانات .

قالت أم الأسد : أيها الغادر الكذوب ، أتظن أنك ناج من عاقبة بك ؟ وأن محالك[1] هذا ينفعك مع عظم جرمك[2] ؟

قال دمنة : الكذوب هو الذين يقول ما لم يكن ويأتي بما لم يقل. ولم يفعل . وأما أنا فكلامي حق والملك يعلم أنني لو كنت كاذباً لم يكن لي جرأة أن أتكلم هذا الكلام بين يديه لأنه قد قيل : ليس أشجع من بريء ولا أذلق[3] لساناً من ذي حق .

قالت أم الأسد : العلماء منكم هم الذين يوضحون أمره بفصل الخطاب[4] . ثم نهضت فخرجت . فدفع الأسد دمنة إلى القاضي فأمر القاضي بسجنه فألقي في عنقه غل[5] وانطلق به إلى السجن .

فلما انتصف الليل ، أخبر كليلة ان دمنة في السجن ، فأتاه مستخفياً. فلما رآه وما هو عليه من ضيق القيود وحرج[6] المكان ، بكى وقال له : ما وصلت إلى ما وصلت إليه إلا لاستعمالك الخديعة والمكر وإضرابك[7] عن العظة والنصح . ولكن لم يكن لي بد فيما مضى من إنذارك والنصيحة لك والمسارعة إليك في خلوص الرغبة فيك ، فإنه لكل مقام مقال ولكل موضع مجال . ولو كنت قصرت في عظتك حين كنت في عافية لكنت اليوم شريكك في ذنبك غير أن العجب[8] دخل منك مدخلاً قهر رأيك وغلب على عقلك . وكنت اضرب لك الأمثال كثيراً وأذكرك قول العلماء . وقد قالت العلماء : إن المحتال يموت قبل أجله . قال دمنة : قد عرفت صدق مقالك .

وقد قالت العلماء : لا تجزع من العذاب اذا وقفت منك على خطيئة،

---

(١) محالك : كيدك ومكرك . (٢) جرمك : ذنبك . (٣) أذلق : أحد .
(٤) فصل الخطاب : الفصل بين الحق والباطل . (٥) غل : قيد ، طوق .
(٦) حرج : ضيق . (٧) اضرابك : اعراضك . (٨) العجب : الكبرياء .

ولأن تُعذب في الدنيا بجرمك خير من أن تعذب في الآخرة بجهنم مع الإثم .

قال كليلة : قد فهمت كلامك ، ولكن ذنبك عظيم وعقاب الأسد شديد أليم . وكان بقربهما في السجن فهد معتقل[1] يسمع كلامهما ولا يريانه ، فعرف معاتبة كليلة لدمنة على سوء فعله وما كان منه ، وأن دمنة مقر بسوء عمله وعظيم ذنبه ، فحفظ المحاورة بينهما وكتمها ليشهد بها إن سئل عنها . ثم إن كليلة انصرف الى منزله ودخلت أم الأسد حين أصبحت على الأسد ، فقالت له : يا سيد الوحوش ، حوشيت[2] أن تنسى ما قلت بالأمس . وأنك أمرت به لوقته وأرضيت به رب العباد .

وقد قالت العلماء : لا ينبغي للإنسان أن يتوانى في الجد للتقوى ، بل لا ينبغي أن يدافع عن ذنب الأثيم . فلما سمع الأسد كلام أمه أمر أن يحضر النمر وهو صاحب القضاء ، فلما حضر قال له وللجواس[3] العادل : اجلسا في موضع الحكم وناديا في الجند صغيرهم وكبيرهم أن يحضروا وينظروا في حال دمنة ويبحثوا عن شأنه ويفحصوا عن ذنبه ويثبتوا[4] قوله وعذره في كتب القضاء . وارفعا إليّ ذلك يوماً فيوماً.

فلما سمع النمر ذلك والجواس العادل ، وكان هذا الجواس عم الأسد ، قالا : سمعاً وطاعة لما أمر الملك . وخرجا من عنده فعملا بمقتضى ما أمرهما به ، حتى إذا مضى من الوقت الذي جلسوا فيه ثلاث ساعات أمر القاضي أن يؤتى بدمنة فأتي به فوقف بين يديه والجماعة حضور . فلما استقر به المكان نادى سيد الجمع بأعلى صوته : أيها الجمع ، إنكم

(١) معتقل : مكبل ، مقيد . (٢) حوشيت : مجهول من حاشي ، نزهت .
(٣) الجواس : من اسماء الاسد . (٤) يثبتوا : يدونوا .

قد علمتم أن سيد السباع لم يزل منذ قتل شتربة خاثر[1] النفس، كثير الهم والحزن، يرى أنه قد قتل شتربة بغير ذنب، وأنه أخذه بكذب دمنة ونميمته. وهذا القاضي قـــد أمر أن يجلس مجلس القضاء ويبحث عن شأن دمنة، فمن عـلم منكم شيئاً في أمر دمنة من خير أو شر فليقل ذلك وليتكلم به على رؤوس الجمع والأشهاد[2] ليكون القضاء في أمره بحسب ذلك، فإذا استوجب القتـــل فالتثبت[3] في أمره أولى والعجلة من الهوى[4]، ومتابعة الأصحاب على الباطل ذل. فعندها قال القاضي: أيها الجمع اسمعوا قول سيدكم ولا تكتموا ما عرفتم من أمره، واعتبروا في تجنب الستر عليه ثلاث خصال:

أمـــا إحداهن وهي أهمهن فألا تزدروا[5] فعله ولا تعدوه يسيراً، فإن من أعظم الخطايا قتل البريء الذي لا ذنب له بالكذب والنميمة؛ ومن علم من أمر هذا الكذاب الذي اتهم البريء بكذبه ونميمته شيئاً فستر عليه فهو شريكه في الإثم والعقوبة. والثانية: أنه إذا اعترف المذنب بذنبه كان أسلم له، والأحرى[6] بالملك وجنده أن يعفوا عنه ويصفحوا. والثالثة ترك مراعاة أهـــل الذم والفجور وقطع أسباب مواصلتهم ومودتهم عن الخاصة والعامة، فمن علم من أمر هـــذا المحتال شيئاً فليتكلم به على رؤوس الأشهـــاد ممن حضر ليكون ذلك حجة عليه. وقـــد قيل: إنه من كتم شهادة ميت ألجم بلجام من نار يوم القيامة، فليقل كل واحد منكم ما علم.

فلما سمع ذلك الجمع كلامه أمسكوا عن القول، فقال دمنة: مـــا يسكتكم؟ تكلموا بما علمتم واعلموا أن لكل كلمة جواباً. وقـــد قالت

---

(١) خاثر النفس: منقبض. (٢) الاشهاد: الشهود جمع شاهد.
(٣) التثبت: التأني. (٤) الهوى: ميل النفس من جهة الطبيع.
(٥) تزدروا: تحتقروا. (٦) الاحرى: الاولى.

العلماء : امن يشهد بما لم ير ويقل ما لا يعلم يصبه مـــا أصاب الطبيب الذي قال لما لا يعلمه إني أعلمه . قالت الجماعة : وكيف كان ذلك ؟

مثل الطبيب والجاهل

قال دمنة : زعموا أنه كان في بعض المدن طبيب له رفق [١] وعلم . وكان ذا فطنة فيما يجري على يده من المعالجات ، فكبر ذلك الطبيب وضعف بصره . وكان الملك تلك المدينة ابنة وحيدة ، فأصابهـــا مرض فجيء بهذا الطبيب ، فلما حضر سأل الفتاة عن وجعها وما تجد فأخبرته فعرف داءها ودواءهـــا وقال : لو كنت أبصر لجمعت الأخلاط [٢] على معرفتي بأجناسها ولا أثق في ذلك بأحد غيري . وكان في المدينة رجل جاهـــل فبلغه الخبر فأتاهم وادعى علم الطب وأعلمهم أنه خبير بمعرفة أخلاط الأدوية والعقاقير [٣] ، عارف بطبائع الأدوية المركبـة والمفردة ، **فأمر الملك أن يدخل خزانة الأدوية فيأخذ من أخلاط الدواء حاجته .** فلما دخل الجاهل الخزانة وعرضت عليه الأدوية ، ولا يدري ما هي ولا له بها معرفة ، أخذ في جملة ما أخذ منها صرة فيهـا سم قاتل لوقته وخلطه بالأدوية ولا علم له به ، ولا معرفـــة عنده بجنسه . فلما تمت أخلاط الأدوية سقى الجارية منه فماتت لوقتها . فلما عرف الملك ذلك دعا بالجاهل فسقاه من ذلك الدواء فمات من ساعته .

وإنما ضربت لـكم هذا المثل لتعلموا ما يدخل على القائل والعامل من الذلة بالشبهة في الخروج عن الحد ، فمن خرج منـكم عن حـده أصابه ما أصاب ذلك الجاهل ونفسه الملومة

(١) رفق : أي رأفة وحسن رعاية . (٢) الاخلاط : يريد الادوية المختلطة .
(٣) العقاقير : النباتات التي يتداوى بها .

وقد قالت العلماء : ربما جزي المتكلم بقوله ، والكلام بين أيديكم ، فانظروا لأنفسكم . فتكلم سيد الخنازير لإدلاله [1] وتيهه بمنزلته عند الأسد . فقال : يا أهل الشرف من العلماء ، اسمعوا مقالتي وعوا [2] بأحلامكم [3] كلامي . فالعلماء قالوا في شأن الصالحين إنهم يعرفون بسيماهم [4] . وأنتم معاشر ذوي الاقتدار بحسن صنع الله لكم وتمام نعمته عليكم ، تعرفون الصالحين بسيماهم وصورهم وتخبرون [5] الشيء الكبير بالشيء الصغير . وههنا أشياء كثيرة تدل على هذا الخبيث دمنة وتخبر عن شره ، فاطلبوها على ظاهر جسمه لتستيقنوا وتسكنوا [6] إلى ذلك . قال القاضي لسيد الخنازير : قد علمت وعلم الجماعة الحاضرون أنك عارف بما في الصور من علامات السوء ، ففسر لنا ما تقول وأطلعنا على ما ترى في صورة هذا الخبيث . فأخذ سيد الخنازير يذم دمنة وقال : إن العلماء قد كتبوا أنه من كانت عينه اليسرى أصغر من عينه اليمنى وهي لا تزال تختلج ، وكان أنفه مائلاً إلى جنبه الأيمن ، فهو خبيث جامع للخب [7] والفجور . وكان دمنة على هذه الصفة .

فلما سمع دمنة ذلك قال : من ههنا تقيسون الكلام وتتركون العلم . فاسمعوا مني ما أقوله لكم وتدبروا [8] بعقولكم . فقد وعيتم [9] ما قال هذا ، فإن كان يزعم أن ما في جسمي من هذه العلامات هو الدليل على صدق ما رميت [10] به ، فإني إذن أكون قد وسمت [11] بسمات [12] وعلامات اضطرتني إلى الإثم فعملت بها ما عملت . ففي ذلك براءة لي وعذر مما عملته . ثم التفت إلى سيد الخنازير وقال : فقد بان لمن حضر

---

(١) ادلاله : جرأته . (٢) وعوا : امر من وعى يعي ، اي احفظوا .
(٣) بأحلامكم : جمع حلم بمعنى الاناة والتأني . (٤) سيماهم : هيئتهم .
(٥) تخبرون : تتحققون وتعرفون . (٦) سكن الى الامر : اطمأن ، تطمأن .
(٧) الخب : المكر والخداع . (٨) تدبروا : تأملوا واعتبروا . (٩) وعيتم : فهمتم .
(١٠) رميت به : اتهمت . (١١) وسمت : علمت . (١٢) السمات : العلامات .

قلة عقلك ؛ وما مثلك في ذلك إلا مثل رجل قال لامرأته انظري إلى عريك وبعد ذلك انظري إلى عري غيرك . قيل له : وكيف كان ذلك ؟

مثل الحراث وامرأتيه

قال دمنة : زعموا أن مدينة أغار عليها العدو فقتل وسبى [1] وغنم وانطلق إلى بلاده . فاتفق أنه كان مع جندي مما وقع في قسمته رجل حراث ومعه امرأتان له . وكان هـذا الجندي يسيء إليهم في الطعام واللباس . فذهب الحراث ذات يوم ومعه امرأتاه يحتطبون [2] للجندي وهم عراة ، فأصابت [3] إحدى المرأتين في طريقها خرقة بالية فاستترت بها ثم قالت لزوجها : ألا تنظر إلى هذه القبيحة لا تستحي وتستتر ؟ قال لها زوجها لو بدأت بالنظر إلى نفسك ، وأن جسمك كله عار لما عيرت صاحبتك بما هو بعينه فيك !

وشأنك عجب ، أيها القذر ذو العلامات الفاضحة القبيحة ! ثم العجب من جرأتك على طعام الملك وقيامك بين يديه مع ما بجسمك من القذر والقبح ؛ ومع ما تعرفه أنت ويعرفه غيرك من عيوب نفسك ! أفتتكلم في النقي الجسم الذي لا عيب فيه ؟ ولست أنا وحدي أطلع على عيبك، لكن جميع من حضر قد عرف ذلك . وقد كان يحجزني عن إظهاره ما بيني وبينك من الصداقة ، فأما إذ قد كذبت عليّ وبهتني [4] في وجهي وقمت بعداوتي فقلت مـا قلت فيّ بغير علم وعلى رؤوس الحاضرين ، فإني أقتصر على إظهار ما أعرف من عيوبك وتعرفه الجماعة . وحق على من عرفك حق معرفتك أن يمنع الملك من استعماله إياك على طعامـه .

---

(١) سبى : أسر . (٢) يحتطبون : يجمعون حطباً . (٣) أصابت : وجدت .
(٤) بهتني : قلت علي ما ليس في .

فلو كلفت أن تعمل الزراعة لكنت جديراً بالخذلان[1] فيها ، فالأحرى بك ألا تدنو إلى عمل من الأعمال وألا تكون دباغاً ولا حجاماً لعاميّ فضلاً عن خاص خدمة الملك .

قال سيد الخنازير : أو لي تقول هذه المقالة وتلقاني بهذا الملقى ؟

قال دمنة : نعم ، وحقاً قلت فيك وإياك أعني ، أيها الأعرج المكسور الذي في وركه الناسور ، الأفدع[2] الرجل ، المنفوخ البطن ، الأفلح[3] الشفتين ، السيء المنظر والمخبر[4] .

فلما قال دمنة ذلك تغير وجه سيد الخنازير واستعبر[5] واستحى وتلجلج لسانه واستكان[6] وفتر نشاطه .

فقال دمنة حين رأى انكساره وبكاءه : إنما ينبغي أن يطول بكاؤك إذا اطلع الملك على قذرك وعيوبك فعزلك عن طعامه وحال[7] بينك وبين خدمته وأبعدك عن حضرته . ثم إن شعهراً كان الأسد قد جربه ، فوجد فيه أمانة وصدقاً فرتبه في خدمته وأمره أن يحفظ ما يجري بينهم ويطلعه عليه . فقام الشعهر فدخل على الأسد فحدثه بالحديث كله على جليته ، فأمر الأسد بعزل سيد الخنازير عن عمله ، وأمر ألا يدخل عليه ولا يرى وجهه ، وأمر بدمنة أن يرد إلى السجن وقد مضى من النهار أكثره . وجميع ما جرى وقالوا وقال قد كتب وختم عليه بخاتم النمر ورجع كل واحد منهم إلى منزله .

ثم إن شعهراً ، يقال له روزبة ، كان بينه وبين كليلة إخاء ومودة ، وكان عند الأسد وجيهاً وعليه كريماً . واتفق أن كليلة أخذه الوجد[8]

(١) الخذلان الخيبة . (٢) الافدع : الذي يميل عند المشي الى الجانب الانسي من قدمه.
(٣) الافلح : المشقوق . (٤) المخبر : أي الذات . (٥) استعبر : جرت عبرته اي دمعته. (٦) استكان: ذل . (٧) حال بينه: اعترض . (٨) الوجد : الهم الشديد.

إشفاقاً [١] من ان يلتطخ بشيء من أمر أخيه وحذراً عليه ، وكان به مرض فهاج به مرضه ومات . فانطلق هذا الشعهر الى دمنة فأخبره بموت كليلة فبكى وحزن وقال : مـا أصنع بالدنيا بعد مفارقة الأخ الصفي [٢] ؟ واحر قلباه [٣] ، إن الإنسان إذا ابتلي ببلية أتاه الشر من كل جانب واكتنفه [٤] الهم والحزن من كل مكان . ولكن أحمد الله تعالى إذ لم يمت كليلة حتى ابقى لي من ذوي قرابتي [٥] أخاً مثلك . فإني وثقت بنعمة الله تعالى وإحسانه إليّ فيما رأيت من اهـتمامك بي ومراعاتك لي ، وقد علمت أنك رجائي وركني [٦] فيما انا فيه ؛ فأريد من إنعامك ان تنطلق الى مكان كذا فتنظر الى ما جمعته انا واخي بحيلتنا وسعينا ومشيئة الله تعالى فتأتيني به . ففعل الشعهر ما امره به دمنة :

فلمـا وضع المال بين يديه أعطاه شطره [٧] وقال له : إنك على الدخول والخروج على الأسد أقدر من غيرك ، فتفرغ لشأني [٨] واصرف اهتمامك إليّ واسمع ما اذكر به عند الأسد إذا رفع إليه ما يجري بيني وبين الخصوم وما يبدو من أم الأسد في حقي ، ومـا ترى من متابعة الأسد لهـا ومخالفته إياهـا في أمري ، واحفظ ذلك كله . فأخذ الشعهر مـا اعطاه دمنة وانصرف عنه على هذا العهد فانطلق إلى منزله فوضع المال فيه .

ثم إن الأسد بكر من الغد ، فجلس حتى إذا مضى من النهـار ساعتان استأذن عليه اصحـابه في الدخول فأذن لهم ، فدخلوا عليه ووضعوا الكتاب بين يديه . فلمـا عرف قولهم وقول دمنة دعـا بأمه فقرأ عليها ذلك ، فلما سمعت ما في الكتاب نادت بأعلى صوتها : إن

---

(١) اشفاقاً : خوفاً . (٢) الصفي : الصادق المودة .
(٣) واحر قلباه : كلمة شكوى . (٤) اكتنفه : احاط به .
(٥) ذوي قرابتي : اقاربي . (٦) ركني : سندي وعمدتي .
(٧) شطره : نصفه . (٨) لشأني : لأمري .

انا أغلظت في القول فـــلا تلمني فإنك لست تعرف ضرك من نفعك . اليس هذا مما كنت أنهاك عن سماعه لأنه كلام هذا المجرم المسيء إلينا الغادر بذمتنا ؟ ثم إنها خرجت مغضبة وذلك بعين الشعهر الذي آخاه دمنة وبسمعه ، فيخرج في إثرهـــا [1] مسرعاً حتى أتى دمنة فحدثه بالحديث . فبينما هو عنده إذ جـــاء فيج [2] الأسد فانطلق بدمنة إلى المجمع عند القاضي .

فلما مثل بين يدي القاضي استفتح سيد المجلس فقال : يا دمنة ، قد أنبأني عن خبرك الأمين الصـــادق ، وليس ينبغي لنا ان نفحص عن شأنك أكثر من هـــذا ، لأن العلماء قالوا : إن الله تعالى جعل الدنيا سبباً إلى الآخرة ومصداقاً [3] لها ، لأنهـا دار الرسل والأنبياء الدالين على الخير ، الهادين إلى الجنة ، الداعين إلى معرفة الله تعالى . وقـــد ثبت شأنك عندنا وأخبرنا عنك من وثقنا بقوله . إلا ان سيدنا أمرنـا بالعود إلى أمرك والفحص عن شأنك وإن كان عنده ظاهراً بيناً .

قال دمنة : أراك أيها القاضي لم تتعود العدل في القضاء ، وليس في عدل الملوك دفع المظلومين ومن لا ذنب له ، إلى قاض غير عادل ، بل المخـــاصمة والذود [4] عن حقوقهم . فكيف كنت ترى ان أقتل ولم أخـــاصم ، وتعجل ذلك موافقة لهواك ولم تمض بعد ثلاثة أيام ؟ ولكن صدق الذي قال إن الذي تعود عمل البر هين عليه عمله وإن أضر به .

قال القاضي : إنا نجد في كتب الأولين ان القاضي العدل [5] ينبغي له ان يعرف عمل المحسن والمسيء ليجـــازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، ، فإذا ذهب الى هـــذا ازداد المحسنون حرصاً على الإحسان

---

(١) خرج في أثره : وراءه ، بمعنى تبعه . (٢) فيج : رسول السلطان القادم على رجليه .
(٣) مصداقاً : تحقيقاً . (٤) الذود : الدفاع . (٥) العدل : مصدر عدل بمعنى العادل .

والمسيئون اجتناباً للذنوب . والرأي اليك[1] يا دمنة أن تنظر الذي وقعت فيه وتعترف بذنبك وتقر بـه وتتوب ، فلأن يعاقب المرء في الدنيا خير من عقاب الآخرة ، فأجابه دمنة : إن صالحي القضاة لا يقطعون[2] بالظن ولا يعملون بـه لا في الخاصة ولا في العامة لعلمهم أن الظن لا يغني من الحق[3] شيئاً . وانتم ان ظننتم أني مجرم فيما فعلت فإني أعلم بنفسي منكم ، وعلمي بنفسي يقين لا شك فيه ، وعلمكم بي غاية الشك . وإنما قبح أمري عندكم أني سعيت بغيري[4] فما عذري عندكم إذا سعيت بنفسي كاذباً عليها فأسلمتها إلى القتل والعطب على معرفة مني ببراءتي وسلامتي مما قُرِّفت[5] به ، ونفسي أعظم الأنفس عليَّ حرمة[6] وأوجبها حقاً ؟ فلو فعلت هذا بأقصاكم وأدناكم لما وسعني[7] في ديني ولا حسن بي في مروءتي ولا حق لي[8] أن أفعله فكيف أفعله بنفسي ؟ فاكفف ، أيها القاضي ، عن هذه المقالة فإنها إن كانت نصيحة فقد أخطأت موضعها ، وإن كانت خديعة فإن أقبح الخداع ما كان من غير أهله ، مع ان الخداع والمكر ليسا من أعمال صالحي القضاة ولا ثقات[9] الولاة . واعلم أن قولك مما يتخذه الجهال والأشرار سنة[10] يقتدون بها لأن امور القضاء يأخذ بصوابها أهل الصواب وبخطإها أهل الخطإ والباطل والقليلو الورع . وأنا خائف عليك ، أيها القاضي ، من مقالتك هذه أعظم الرزايا والبلايا ، وليس من البلاء والمصيبة أنك لم تزل في نفس الملك والجند والخاصة والعامة ، فاضلاً في رأيك ، مقنعاً في عقلك ، مرضياً في حكمك وعفافك وفضلك

---

(١) الرأي اليك : مفوض اليك . (٢) قطع بكذا : تأكد ، تحقق .
(٣) لا يغني من الحق : لا يؤثر فيه ولا يدفعه . (٤) سعيت بغيري : بلغت عنه بالفساد .
(٥) قرفت به: اتهمت . (٦) حرمة : عهد ورعاية . (٧) لما وسعني : لما جاز لي
(٨) حق لي : كنت حقيقاً أي اهلا . (٩) ثقات : جمع ثقة : موثوق ، مؤتمن .
(١٠) سنة : طريقة ، خطة ، شريعة .

وإنما البلاء كيف انسيت ذلك في أمري أو ما بلغك عن العلماء أنهم قالوا : من ادعى علم مـــا لا يعلم وشهد على الغيب أصابه ما أصاب البازيار [1] . قال القاضي وكيف كان ذلك ؟

قال دمنة : زعموا أنــه كان في بعض المدن رجل من المرازبة [2] مذكور ، وكانت له امرأة ذات جمال وعفاف . وكان للرجل بازيارماهر خبير بعلاج البزاة وسياستها ؛ وكان هذا البازيار عند هذا الرجل بمكان خليل بحيث أدخله داره وجعله كواحد من أهلهــا . فاتفق أن وقعت كلمة من البازيار فتسخطت لهـــا زوجة مولاه ونفرت فغضب وعمل على [3] أن يكيدها بمكيدة . فخرج يوماً إلى الصيد على عادته فأصاب فرخي ببغاء فأخذهما وجــاء بهما إلى منزله ورباهما . فلما كبرا فرق بينهما وجعلهما في قفصين وعلم أحدهما ان يقول رأيت ريبة في بيت مولاي ؛ وعلم الآخر أن يقول : اما انا فلا أقول شيئاً . ثم أدبهما على ذلك حتى اتقناه وحذقاه [4] في ستة أشهر . فلما بلغ الذي أراد منهما حملهما إلى مولاه ، فلما رآهما أعجباه ونطقا بين يديه فأطرباه إلا انه لم يعلم مــا يقولان لان البازيار كان قد علمها بلغة البلخيين . وإن المرزبان أعجب بهما إعجاباً شديداً وحظي البازيار عنده بذلك حظوة [5] كريمة فأمر امرأته بالاحتياط عليهما والاحتفاظ بهما ففعلت المرأة ذلك . فاتفق أنه بعد مدة قدم على الرجل قوم من عظماء بلخ [6] فتأنق لهم في الطعام والشراب وجمع من أصناف الفواكه والتحف شيئاً كثيراً ، وحضر القوم ؛ فلما فرغوا من الطعام وشرعوا في الحديث أشار المرزبان إلى البازيار أن يأتي بالببغاءين فأحضرهما . فلما وضعتا بين يديه صاحتا بما كانتا علمتاه ،

---

(١) البازيار كلمة فارسية معربة ، ومعناها مربي البازي .
(٢) المرازبة : جمع مرزبان وهو رئيس الفرس . (٣) عمل على كذا : سعى فيه .
(٤) حذقاه : مهرا فيه . (٥) حظي عنده حظوة : وجد عنده كرامة ومكانة .
(٦) بلخ: بلد من أعمال خراسان .

فعرف أولئك العظماء ما قالتا ، فنظر بعضهم إلى بعض ونكسوا رؤوسهم حياء وخجلا وجعل يغمز بعضهم بعضاً . فقال الرجل : ما أعلم مـــا تقولان ولكني يعجبني ذلك منهما وسألهم عما تقولان فامتنعوا ان يقولوا ما قالتا فألح عليهم وأكثر السؤال عما قالتا فأجابوا : إنما تقولان كذا وكذا ، وليس من شأننا أن نأكل من بيت يعمل فيـه الفجور . فلما قالوا ذلك سألهم الرجل أن يكلموهما بلسان البلخية بغير ما نطقتا به ، وبان لهم وللجماعة براءة البيت ممـــا رمي به ووضح كذب البازيار . فأمر بالبازيار ان يـدخل عليه وكان على يده باز أشهب (١) فصاحت به امرأة المرزبان من داخل البيت : أيهـا العدو لنفسه ، أنت رأيت في البيت مـــا ذكرت وعلمت به الببغاءين . قال : نعم ، أنا رأيت فيه مثل مـــا تقولان ، فوثب البازي إلى وجهه ففقأ عينه بمخالبه . فقالت المرأة : بحق أصابك إنه لجزاء من الله تعالى لشهادتك بمـــا لم تره عينك .

وإنما ضربت لك هذا المثل ، أيها القاضي ، لتزداد علماً بوخامة (٢) عـاقبة الشهادة بالكذب في الدنيا والآخرة . فلما سمع القاضي ذلك من لفظ دمنة نهض فرفعه إلى الأسد على وجهه (٣) ، فنظر فيـــه الأسد فدعا أمه فعرضه عليها . فقالت حين تدبرت (٤) كلام دمنة : لقــد صار اهتمامي بما أتخوف من احتيال دمنة لك بمكره ودهائه حتى يقتلك او يفسد عليك أمرك ، أعظم من اهتمامي بما سلف من ذنبه إليك في الغش والسعاية (٥) حتى قتلت صـديقك بغير ذنب فوقـع قولهـــا في

---

(١) أشهب : أبيض في سواد . (٢) وخامة : سوء .
(٣) على وجهه : على حكمه ، كما سمعه . (٤) تدبرت : اعتبرت وتأملت .
(٥) السعاية : النميمة والفساد

نفسه (١) فقال لها : أخبريني عن الذي أخبرك عن دمنة بما أخبرك فيكون حجة لي في قتلي دمنة . فقالت : لأكره إفشاء سر من اسكتمنيه (٢) فلا يهنئني سروري (٣) بقتل دمنة إذا تذكرت أني استظهرت (٤) عليه بركوب (٥) ما نهت عنه العلماء من كشف السر ، ولكني أطالب الذي استودعنيه أن يحلني[٦] من ذكره ويقوم هو بعمله وما سمع منه . ثم انصرفت وأرسلت إلى النمر وذكرت له ما يحق عليه من التزيين للأسد وحسن معاونته على الحق وإخراج نفسه من الشهادة التي لا يكتمها مثله مع ما يحق عليه من نصر المظلومين وتثبيت حجة الحق في الحياة والمات . فإن العلماء قد قالت : من كتم حجة ميت ، أخطأه حجته يوم القيامة . فلم تزل به حتى قام فدخل على الأسد فشهد عنده بما سمع من إقرار دمنة .

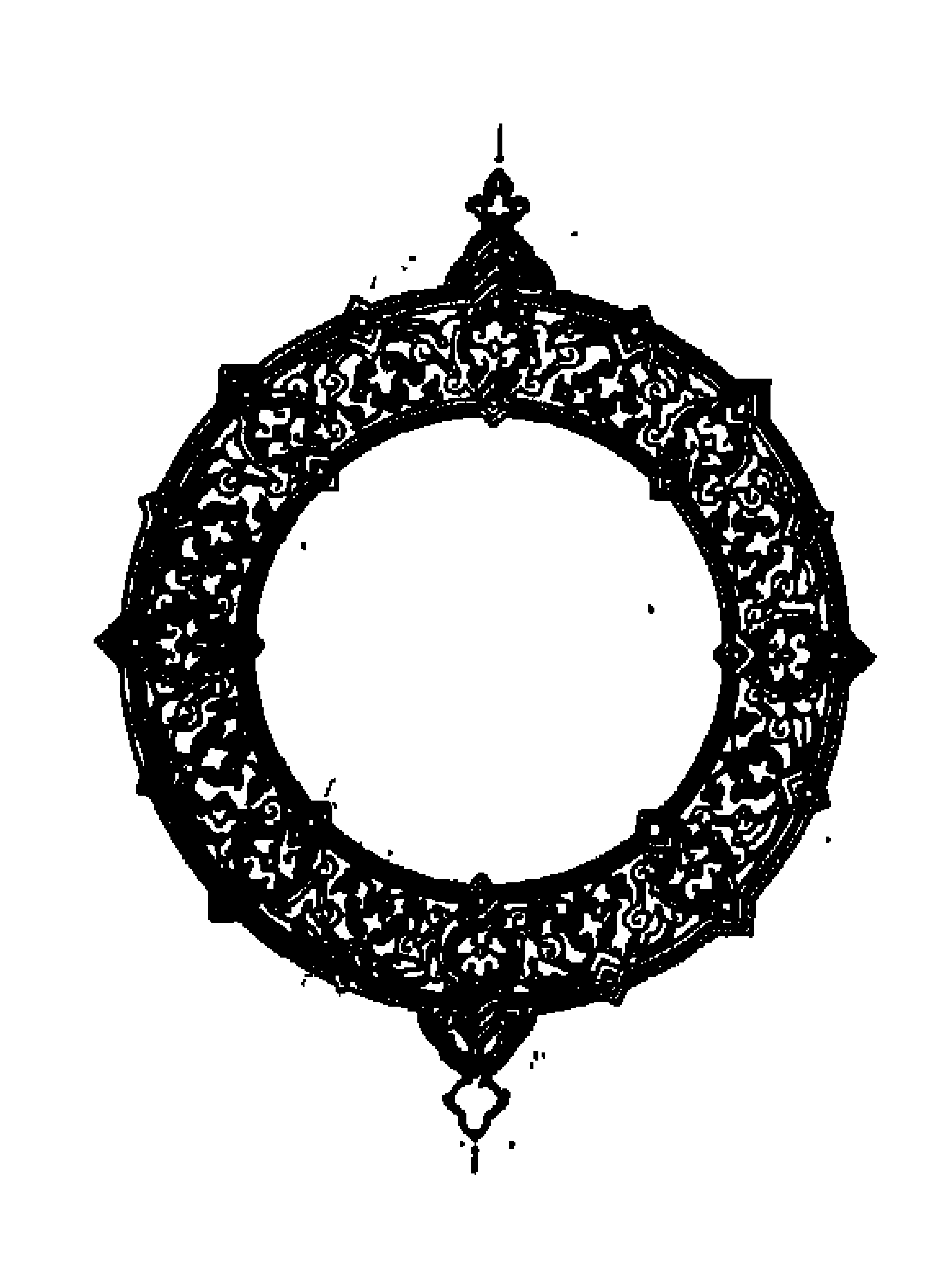
فلما شهد النمر بذلك أرسل الفهد المسجون الذي سمع إقرار دمنة وحفظه إلى الأسد فقال : إن عندي شهادة فاخرجوه فشهد بما سمع من إقراره ، فقال لهما الأسد : ما منعكما أن تقوما بشهادتكما وقد علمتما أمرنا واهتمامنا بالفحص عن أمر دمنة ؟ فقال كل واحد منهما : قد علمت أن شهادة الواحد لا توجب حكماً فكرهت التعرض لغير ما يمضي به الحكم ، حتى إذا شهد احدنا قام الآخر . فقبل الأسد قولهما وأمر بدمنة أن يقتل ويصلب على رؤوس الأشهاد . ونادى

---

(١) فوقع قولها في نفسه : اثر فيها . (٢) اسكتمنيه : سألني كتمانه .
(٣) يهنئني سروري : أهنأ به . (٤) استظهرت : استعنت .
(٥) بركوب : بارتكاب . (٦) يحلني من : أي يعفيني .

المنادي : هذا جزاء من يسعى بين الملوك وبين أجنادهم وبطانتهم (١) بالكذب والبهتان .

فمن نظر في هـذا ، فليعلم أن من أراد منفعة نفسه بضير غيره بالخلابة (٢) والمكر فإنه سيجزى على خلابته ومكره .



(١) بطانتهم : حاشيتهم واتباعهم . (٢) الخلابة : الخديعة .

الفصل الثالث

الحمامة المطوقة

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت مثل المتحابين كيف قطع بينهما الكذوب والى ما صار عاقبة أمره من بعد ذلك . فحدثني ، إن رأيت ، عن إخوان الصفاء كيف يبتدىء تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض .

قال الفيلسوف : إن العاقل لا يعدل بالإخوان شيئاً ، فالإخوان هم الأعوان على الخير كله والمؤاسون[1] عندما ينوب[2] من المكروه . ومن أمثال ذلك مثل الحمامة المطوقة والجرذ والظبي والغراب . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

مثل الحمامة المطوقة والجرذ والظبي والغراب

قال بيدبا : زعموا أنه كان بأرض سكاوندجين عند مدينة داهر مكان كثير الصيد ينتابه[3] الصيادون ، وكان في ذلك المكان شجرة كثيرة الاغصان ملتفة الورق فيها وكر غراب ، فبينما هو ذات يوم ساقط

---

(١) المواسون : المعينون . (٢) ينوب : يصيب . (٣) ينتابه : يتردد عليه .

في وكره إذ بصياد قبيح المنظر ، سيء الخلق ؛ وقبح منظره يدل على سوء مخبره [١] على عـاتقه [٢] شبكة وفي يده عصا مقبلا نحو الشجرة فذعر منه الغراب وقال : لقد ساق هذا الرجل إلى هذا المكان اما حيني [٣] وإما حين غيري فلأثبتن في مكاني حتى أنظر ماذا يصنع ؟ ثم إن الصياد نصب شبكته ونثر عليهـا الحب وكمن قريباً منهـا . فلم يلبث إلا قليلا حتى مرت به حمـامة يقال لهـا المطوقة وكانت سيدة الحمام ومعها حمام كثير ، فعميت هي وصاحبتها عن الشرك فوقعن على الحب يلتقطنه فعلقن في الشبكة كلهن وأقبل الصياد فرحـاً مسروراً . فجعلت كل حمامة تتلجلج [٤] في حبائلها [٥] وتلتمس الخلاص لنفسها ، قالت المطوقة : لا تخاذلن [٦] في المعالجة [٧] ولا تكن نفس إحداكن أهم اليهـا من نفس صاحبتهـا ، ولكن نتعاون جميعنا ونطير كطائر واحـد فينجو بعضنا ببعض فجمعن أنفسهن ووثبن وثبة واحدة فقلعن الشبكة جميعهن بتعـاونهن وعلون بهـا في الجو . ولم يقطع الصياد رجاءه منهن وظن أنهن لا يجاوزن الا [٨] قريباً حتى يقعن .

فقال الغراب : لأتبعهن وأنظر مـا يكون منهن . فالتفتت المطوقـة فرأت الصياد يتبعهن فقالت للحـمام : هذا الصياد جـاد في طلبكن ، فإن نحن أخذنا في الفضـاء لم يخف عليه أمرنا ولم يزل يتبعنا ، وان نحن توجهنـا الى العمران خفي عليه أمرنـا وانصرف . وبمكان كذا جرذ هو لي أخ فلو انتهينا اليه قطع عنا هذا الشرك ففعلن ذلك وأيس [٩] الصيـاد منهن وانصرف . وتبعهن الغراب لينظر اليهن لعله

---

(١) مخبره : ما يختبر منه أي ذاته . (٢) العاتق : ما بين الكتف والعنق .
(٣) حيني : هلاكي . (٤) تتلجلج : ترتبك . (٥) حبائلها : أشراكها .
(٦) لا تخاذلن : لا تتركن التعاون . (٧) المعالجة : المحاولة (٨) يجاوزن : يقطعن .
(٩) أيس : يئس .

يتعلم منهن حيلة تكون له عدة[1] عند الحاجة . فلما انتهت الحمامة المطوقة الى الجرذ أمرت الحمام أن يقعن فوقمن .

وكان للجرذ مئة جحر أعدها للمخاوف . فنادته المطوقة باسمه ، وكان اسمه زيرك ، فأجابها الجرذ من جحره : من أنت ؟ قالت : أنا خليلتك المطوقة فأقبل اليها الجرذ يسعى فقال لها : ما أوقعك في هذه الورطة ؟ قالت له : ألم تعلم أنه ليس من الخير والشر شيء إلا وهو مقدر على من تصيبه المقادير ، وهي التي أوقعتني في هذه الورطة . فقد لا يمتنع من القدر من هو أقوى مني وأعظم أمراً . وقد تنكسف الشمس وينخسف القمر إذا قضي ذلك عليهما . ثم إن الجرذ أخذ في قرض العقد[2] الذي فيه المطوقة .

فقالت له المطوقة ابدأ بقطع سائر عقد الحمام وبعد ذلك أقبل على عقدي ، فأعادت عليه ذلك مراراً وهو لا يلتفت إلى قولها فلما اكثرت عليه القول وكررت قال لها : لقد كررت القول عليّ كأنك ليس لك في نفسك حاجة ولا لك عليها شفقة ولا ترعين لها حقاً . قالت إني أخاف إن أنت بدأت بقطع عقدي ان تمل وتكسل عن قطع ما بقي ، وعرفت أنك بدأت بهن قبلي وكنت انا الأخيرة لم ترض ، وان أدركك الفتور ، ان ابقى في الشرك . قال الجرذ هذا مما يزيد الرغبة فيك والمودة لك ثم إن الجرذ أخذ في قرض الشبكة حتى فرغ منها ، فانطلقت المطوقة وحمامها معها .

فلما رأى الغراب صنع الجرذ رغب في مصادقته وناداه باسمه فأخرج الجرذ رأسه فقال له : ما حاجتك ؟ قال : إني أريد مصادقتك ، قال الجرذ : ليس بيني وبينك تواصل ، وإنما العاقل ينبغي له أن يلتمس

---

(١) عدة الشيء : ما تحتاج اليه فيه ، وقد مر . (٢) العقد : حبل الشرك .

مـا يجد إليه سبيلاً ويترك التماس مـا ليس اليه سبيل ، كمن أراد ان يجري السفن في البر والعجل [1] في البحر ، فإن [2] أنت إلا آكل وأنا طعام لك . قال الغراب : إن أكلي إياك وإن كنت لي طعاماً لا يغني عني [3] شيئاً ، وإن مودتك آنس [4] لي ممـا ذكرت ولست بحقيق إذا جئت ان اطلب مودتك ان تردني خائباً . فإنه قـد ظهر لي منك من حسن الخلق مـا رغبني فيك وان لم تكن تلتمس إظهار ذلك ، فإن العـاقل لا يخفى فضله ، وإن هو أخفاه كالمسك الذي يكتم ثم لا يمنعه ذلك من النشر [5] الطيب والأرج [6] الفائح .

قال الجرذ : إن أشد العداوة عداوة الجوهر وهي عداوتان : منهـا ما هو متكافىء [7] كعداوة الفيل والأسد . فإنه ربما قتل الأسد الفيل أو الفيل الأسد . ومنها ما قوته من أحد الجانبين على الآخر كالتي بيني وبين السنور [8] وبينك وبيني . فإن العـداوة التي بيننا ليست تضرك وإنما ضررها عليّ فإن الماء لو أطيل إسخانه لم يمنعه ذلك من إطفائه النار إذا صب عليها .

وإنما مصاحب العدو ومصالحه كصاحب الحية يحملها في كمه ، والعاقل لا يستأنس إلى العدو الأريب [9] قال الغراب : قد فهمت مـا تقول وأنت خليق [10] ان تأخذ [11] بفضل خليقتك [12] وتعرف صدق مقالي ولا تصعب عليّ الأمر بقولك ليس إلى التواصل بيننا سبيل . فـإن العقلاء الكرام لا يبتغون على معروف جزاء ، والمودة بين الصـالحين

---

(١) العجل : الدواليب والعربات . (٢) فان : حرف نفي بمعنى ما .
(٣) يغني عني : يفيدني ويدفع عني . (٤) آنس : تفضيل من الانس .
(٥) النشر : الرائحة المطرقة (٦) الارج : ذكاء الرائحة .
(٧) متكافىء : متماثل . (٨) السنور : الهر . (٩) الاريب : العاقل .
(١٠) خليق : أهل . (١١) تأخذ : تعمل . (١٢) خليقتك طبيعتك .

سريع اتصالها ، بطيء انقطاعها . ومثل ذلك الكوز الذهب بطيء الانكسار سريع الإعادة ، هين الاصلاح إن أصابه ثلم أو كسر . والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها ، بطيء اتصالها ، ومثل ذلك مثل الكوز الفخار سريع الانكسار ينكسر من أدنى شيء ولا وصل له أبداً . والكريم يود الكريم واللئيم لا يود أحداً إلا عن رغبة أو رهبة [1] . وأنا إلى ودك ومعروفك محتاج لأنك كريم وأنا ملازم لبابك غير ذائق طعاماً حتى تؤاخيني [2] . واعلم أني لو كنت أشاء ضرك لفعلت حين كنت محلقاً [3] فوق رأسك عندما كنت تقطع حبائل الحمام .

قال الجرذ : قد قبلت إخاءك فإني لم أرْدُدْ أحداً عن حاجة قط ، وإنما بلوتك [4] بما بلوتك به إرادة التوثق [5] لنفسي . فإن غدرت بي لم تقل إني وجدت الجرذ ضعيف الرأي سريع الانخداع . ثم خرج من جحره فوقف عند الباب ، فقال له الغراب : ما يمنعك من الخروج إليّ والاستئناس بي أو في نفسك بعد مني ريبة ؟ قال الجرذ : ان أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ويتواصلون عليهما وهما ذات النفس [6] وذات اليد [7] فالمتبادلون ذات النفس هم الأصفياء [8] ، وأما المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض . ومن كان يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا فإنما مثله فيما يبذل ويعطي كمثل الصياد وإلقائه الحب للطير لا يريد بذلك نفع الطير وإنما نفع نفسه . فتعاطي ذات النفس أفضل من تعاطي ذات اليد ، وإني واثق منك

---

(١) رهبة : خوف . (٢) تؤاخيني : تصادقني . (٣) محلقاً : مرتفعاً .
(٤) بلوتك : امتحنتك واختبرتك (٥) التوثق: اخذ الوثيقة اي الاحتياط والتحفظ.
(٦) ذات النفس : السريرة المضمرة والعاطفة . (٧) ذات اليد : المال .
(٨) الاصفياء : الاصدقاء .

بذات نفسك ومنحتك من نفسي مثل ذلك . وليس يمنعني من الخروج إليك سوء ظن بك ، ولكن قد عرفت أن لك أصحاباً جوهرهم كجوهرك وليس رأيهم فيَّ كرأيك .

قال الغراب : إن من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ولعدو صديقه عدواً ، وليس لي بصاحب ولا صديق من لا يكون لك محباً . وإنه يهون علي قطيعة [1] من كان كذلك من جوهري ، فإن زراع الريحان إذا رأى بينه عشباً يفسده قلعه ورمى به ، ثم إن الجرذ خرج إلى الغراب فتصافحا [2] وتصافيا وأنس كل واحد منهما بصاحبه حتى إذا مضت لهم أيام قال الغراب للجرذ . إن جحرك قريب من طريق الناس وأخاف ان يرميك بعض الصبيان بحجر ، ولي مكان في عزلة [3] ولي فيه صديق من السلاحف وهو مخصب من السمك ، ونحن واجدون هناك ما نأكل فأريد ان انطلق بك إلى هناك لنعيش آمنين .

قال الجرذ وإني أيضاً كاره لمكاني هذا ولي أخبار وقصص سأقصها عليك ، وإذا انتهينا حيث تريد فافعل ما تشاء . فأخذ الغراب بذنب الجرذ وطار به حتى بلغ حيث أراد . فلما دنا من العين التي فيها السلحفاة بصرت السلحفاة بغراب ومعه جرذ فذعرت منه ولم تعلم أنه صاحبها . فناداها فخرجت إليه وسألته من اين أقبلت فأخبرها بقصته حين تبع الحمام وما كان من أمره وأمر الجرذ حتى انتهى إليها . فلما سمعت السلحفاة شأن الجرذ عجبت من عقله ووفائه ورحبت به وقالت له ما ساقك إلى هذه الأرض ؟ قال الغراب للجرذ اقصص علي الاخبار التي قلت إنك تحدثني بها فأخبرني بها ، مع جواب ما سألت السلحفاة فإنها عندك بمنزلتي . فبدأ الجرذ وقال :

---

(١) قطيعة : مقاطعة ومعاداة . (٢) تصافحا تماسا . (٣) عزلة : تنح وانفراد .

الجرذ والناسك

كان منزلي أول أمري بمدينة ماروت في بيت رجل ناسك وكان خالياً من الأهل والعيال ، وكان يؤتى في كل يوم بجونة [1] من الطعام فيأكل منها حاجته ويعلق الباقي . كنت أرصد [2] الناسك حتى يخرج وأثب الى الجونة فلا أدع فيها طعاماً إلا ورميت منه الى الجرذان . فجهد الناسك مراراً ان يعلق الجونة في مكان لا أناله فلم يقدر على ذلك حتى نزل به ذات ليلة [3] ضيف فأكلا جميعاً ثم أخذا في الحديث ، فقال الناسك للضيف : من أي أرض أقبلت وأين تريد الآن ؟ وكان الرجل قد جاب [4] الآفاق [5] ورأى عجائب فأنشأ [6] يحدث الناسك عما وطىء [7] من البلاد ورأى من العجائب وجعل الناسك خلال [8] هذا يصفق بيديه لينفرني عن الجونة ، فغضب الضيف وقال : أنا احدثك وانت تهزأ بحديثي ، فما حملك على ان سألتني ؟ فاعتذر اليه الناسك وقال : إنما اصفق بيدي لأنفر جرذاً قد تحيرت في أمره ولست أضع في البيت شيئاً إلا أكله . فقال : جرذ واحد يفعل ذلك أم جرذان كثيرة ؟ فقال الناسك : جرذان البيت كثيرة ، لكن فيها جرذاً واحداً هو الذي غلبني فما أستطيع له حيلة . قال الضيف : لقد ذكرتني قول الذي قال : لأمر مـــا باعت هذه المرأة سمسماً مقشوراً بغير مقشور . قال الناسك وكيف كان ذلك ؟

---

(١) جونة : سلة كبيرة مغطاة بجلد . (٢) ارصد : انتظر ، اراقب .
(٣) ذات ليلة : في احدى الليالي . (٤) جاب : قطع المسافات .
(٥) الآفاق : النواحي . (٦) انشأ : شرع . (٧) وطىء : داس .
(٨) خلال هذا : في تلك الفترة .

المرأة والسمسم

قال الضيف : نزلت مرة على رجل بمكان كذا فتعشينا ثم فرش لي وانقلب على فراشه . فسمعته يقول في آخر الليل لامرأتـه : إني أريد أن أدعو غداً رهطاً [١] ليأكلوا عندنا فاصنعي لهم طعاماً . فقالت : المرأة : كيف تدعو الناس الى طعـــامك وليس في بيتك فضل عن عيالك ، وأنت رجل لا تبقي شيئـاً ولا تدخره [٢] قال الرجل : لا تندمي على شيء أطعمناه وأنفقناه فإن الجمع والادخار ربما كانت عاقبته كعاقبة الذئب . قالت المرأة : وكيف كان ذلك ؟

الذئب ووتر القوس

قال الرجل : زعموا أنه خرج ذات يوم رجل قانص [٣] ومعـه قوسه ونشابه ، فلم يجـــاوز غير بعيد حتى رمى ظبياً فحمله ورجع طالباً منزله . فاعترضه خنزير بري فرماه بنشابة نفذت فيه ، فأدركه الخنزير وضربه بأنيابه ضربة أطـــارت من يده القوس ووقعا ميتين . فأتى عليهم ذئب فقال : هذا الرجل والظبي والخنزير يكفيني أكلهم مدة ، ولكن أبدأ بهذا الوتر فآكله فيكون قوت يومي وأدخر الباقي إلى غد فما وراءه . فعالج الوتر حتى قطعه . فلما انقطع طارت سية [٤] القوس فضربت حلقه فمات .

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلمي ان الجمع والادخار وخيم العاقبة .

---

(١) رهطاً : جماعة . (٢) تدخره : تخبئه . (٣) قانص : صياد .
(٤) سية القوس : طرفه

فقالت المرأة : نعما قلت وعندنا من الأرز والسمسم ما يكفي ستة نفر [١] أو أكثر ، فأنا غادية [٢] على صنع الطعام ، فادع من أحببت . وأخذت المرأة ، حين أصبحت سمسماً وقشرته وبسطته في الشمس ليجف ، وقالت لغلام لهم : اطرد عنه الطير والكلاب وتفرغت المرأة لصنعها . وتغافل الغلام عن السمسم فجاء كلب فعاث [٣] فيه فاستقذرته المرأة وكرهت أن تصنع منه طعاماً . فذهبت به إلى السوق فأخذت به مقايضة [٤] سمسماً غير مقشور مثلاً بمثل وانا واقف في السوق . فقال رجل : لأمر ما باعت هذه المرأة سمسماً مقشوراً بغير مقشور ؟

وكذلك قولي في هذا الجرذ الذي ذكرت . إنه على غير علة ما يقدر على ما شكوت منه ، فالتمس لي فأساً [٥] لعلي اختفر جحره فأطلع على بعض شأنه . فاستعار الناسك من بعض جيرانه فأساً ، فأتى بها الضيف وأنا حينئذ في جحر غير جحري اسمع كلامهما ، وفي جحري كيس فيه مئة دينار لا أدري من وضعها . فاحتفر الضيف حتى انتهى إلى الدنانير فأخذها وقال للناسك : ما كان هذا الجرذ يقوى على الوثوب حيث كان يثب إلا بهذه الدنانير ، فان المال جعل قوة وزيادة في الرأي و التمكن . وسترى بعد هذا أنه لا يقدر على الوثوب حيث كان يثب . فلما كان من الغد اجتمعت الجرذان التي كانت معي فقالت : قد أصابنا الجوع وأنت رجاؤنا ، فانطلقت ومعي الجرذان الى المكان الذي كنت أثب منه إلى الجونة فحاولت ذلك مراراً فلم اقدر عليه فاستبان للجرذان نقص حالي فسمعتهن يقلن انصرفن عنه ولا تطمعن

---

(١) النفر : جماعة من الناس من الثلاثة الى العشرة . (٢) غادية : مبكرة : .
(٣) عاث يعيث : افسد . (٤) مقايضة : مبادلة . (٥) فأس : آلة يحفر بها .

فيا عنده ، فانا نرى له حالا نحسبه إلا قد احتاج معها إلى من يعوله[1] فتركنني ولحقن بأعدائي وجفونني واخذن في غيبتي[2] عند من يعاديني ويحسدني ، واصبحن كأنهن لم يعرفنني وكأني لم أكن عليهن رئيساً قط .

فقلت في نفسي : ما الاخوان ولا الاعوان ولا الاصدقاء الا بالمال ، ووجدت من لا مال له اذا اراد امراً قعد به العدم[3] عما يريده كالماء الذي يبقى في الأودية من مطر الشتاء لا يمر الى نهر ولا يجري الى مكان الى ان يفسد وينشف ولا ينتفع به . ووجدت من لا إخوان له لا اهل له ، ومن لا ولد له لا ذكر له ، ومن لا مال له لا عقل له ولا دنيا ، ولا يجد بدأ من ترك الحياء ، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ومن ذهب سروره مقت نفسه ومن مقت نفسه كثر حزنه ومن كثر حزنه قل عقله وارتبك في امره ، ومن قل عقله كان اكثر قوله وعمله عليه لا له . ومن كان كذلك فأحر به[4] ان يكون انكد الناس حظاً في الدنيا والآخرة . ثم إن الرجل إذا افتقر قطعه[5] اقاربه واخوانه وأهل وده ومقتوه ورفضوه وأهانوه واضطره ذلك الى ان يلتمس من الرزق ما يغرر فيه بنفسه[6] ويفسد فيه آخرته فيخسر الدارين جميعاً . وإن الشجرة الثابتة في السباخ[7] المأكولة من كل جانب كحال الفقير المحتاج الى ما في أيدي الناس .

ووجدت الفقر رأس كل بلاء وجالباً الى صاحبه كل مقت ، ومعدن النميمة ؛ ووجدت الرجل إذا افتقر أتهمه من كان له مؤتمناً وأساء به الظن من كان يظن به حسناً ، فإن أذنب غيره كان هو للتهمة موضعاً .

---

(١) يعوله : يمونه ، يكفيه . (٢) غيبتي : ذمي في غيابي . (٣) العدم : الفقر .
(٤) أحر به : احراه اي ما اجدره واحقه . (٥) قطعه : ضد وصله .
(٦) يغرر بنفسه : يعرضها للهلكة (٧) السباخ : الاراضي المالحة .

وليس من خلة [1] هي للغني مـدح إلا وهي للفقير ذم ، فـإن كان شجاعاً قيل أهوج ، وإن كان جواداً [2] سمي مبذراً ، وإن كان حليماً سمي ضعيفاً ، وإن كان وقوراً سمي بليداً ، وإن كان صموتاً [3] سمي عيياً [4] وإن كان لسناً [5] سمي مهذاراً [6] . فالموت أهون من الحاجة التي تحوج صاحبها إلى المسألة ولا سيما مسألة الأشحاء [7] واللئام . فإن الكريم لو كلف أن يـدخل يده في فم الأفعى فيخرج منه سماً فيبتعله كان ذلك أهون عليه وأحب إليه من مسألة البخيل اللئيم ، حتى لقد جـاء في قديم الأقاويل : إن من ابتلي بمرض في جسده لا يفارقه حتى يتسلط عليه ما هو اشد منه من الحاجة والفقر .

وقد كنت رأيت الضيف حين أخذ الدنانير فقاسمهـا الناسك وجعل الناسك نصيبه في خريطة [8] عند رأسه لما جُن [9] الليل . فطمعت ان أصيب منها شيئاً فأرده إلى جحري ، ورجوت ان يزيد ذلك في قوتي او يراجعني بسببه بعد أصدقائي . فانطلقت إلى الناسك وهو نائم حتى انتهيت عند رأسه فوجدت الضيف يقظان وبيده قضيب فضربني على رأسي ضربة موجعة فانقلبت راجعاً الى جحري . فلما سكن عني الألم هيجني الحرص والشره فخرجت طمعـاً كطمعي الأول ، وإذا الضيف يرصدني فضربني بالقضيب ضربة أسالت مني الدم فتحاملت على نفسي [10] وتقلبت ظهراً لبطن الى جحري فخررت [11] مغشياً علي فأصابني من الوجع مـا بغض إليّ المال حتى لا اسمع بذكره إلا تداخلني من

---

(1) خلة : خصلة . (2) جواداً كريماً . (3) صموت : كثير الصمت .

(4) عيياً : بليداً عاجزاً . (5) لسناً : فصيح اللسان .

(6) مهذاراً : كثير الكلام في الخطأ والباطل . (7) الاشحاء : جمع شحيح: البخلاء

(8) خريطة : وعاء من الجلد . (9) جن : اظلم .

(10) تحاملت على نفسي : تكلفت مشقة . (11) خررت : سقطت .

ذكر المـــال رعدة [1] وهيبة . ثم تذكرت فوجدت البلاء في الدنيا إنما يسوقه الحرص والشره لأنهما لا يزالان يدخلان صاحبهما من شيء إلى شيء ، والأشياء لا تنفذ [2] ولا تنتهي ، ولا يزال صـاحب الدنيا في بلية وتعب ونصب [3] . ووجدت ركوب الأهوال وتجشم [4] الأسفار البعيدة في طلب الدنيا أهون عليّ من بسط اليد الى السخي بالمال فكيف بالشحيح بـــه ، ولم أر كالرّضى شيئاً . ووجدت العلماء قد قالوا : لا عقل كالتدبير ، ولا ورع ككف الأذى ، ولا حسب [5] كحسن الخلق ، ولا غنى كالرضى . وأحق ما صبر الإنسان على الشيء نفسه [6] وأفضل البر الرحمة . ورأس المودة الاسترسال [7] ورأس العقل معرفة ما يكون مما لا يكون . وقالوا : الخرس خير من اللسان الكذوب ، والضر [8] والفقر خير من النعمة [9] والسعة من اموال الناس . فصار امري إلى ان رضيت وقنعت وانتقلت من بيت النـاسك الى البرية . وكان لي صديق من الحـــمام فسيقت [10] إليّ بصداقته صـداقة الغراب . والتفت إلى السلحفاة فقال ثم ذكر لي الغراب مـا بينك وبينه من المودّة وإخبرني انه يريد إتيانك فأحببت ان آتيك معه . وكرهت الوحدة ، فإنه لا شيء من سرور الدنيا يعدل صحبة الإخوان ، ولا غمّ فيها يعدل البعد عنهم . وجربت فعلمت أنـــه لا ينبغي للملتمس [11] من الدنيـا غير الكفاف [12] الذي يـــدفع به الأذى عن نفسه وهو يسير من المطعم والمشرب إذا أعين بصحة وسعة . ولو أن رجلا وهبت له الدنيا بمـا

---

(١) رعدة: رجفة.. الاسم من الارتعاد وهو الخوف. (٢) تنفذ : تفرغ . (٣) نصب: تعب . (٤) تجشم : تكلف . (٥) الحسب : ما ينشئه الرجل لنفسه من المفاخر .
(٦) صبر نفسه على الشيء: حبسها عليه واقنعها به . (٧) الاسترسال : حسن الثقة بالصديق والاطمئنان اليه والدلالة عليه . (٨) الضر : بمعنى الفقر . (٩) النعمة : التنعم .
(١٠) سيقت : مجهول من ساق اليه كذا : وجهه اليه . (١١) الملتمس : الطالب .
(١٢) الكفاف : مقدار الحاجه فقط .

فيهـا لم يكن ينتفع من ذلك إلا بالقليل الذي يدفع بـه عن نفسه الحاجة ، ومـا سوى ذلك فليس له منه إلا ما لغيره من النظر إليه فحسب [1] .

فلما فرغ الجرذ من كلامه أجابته السلحفاة بكلام رقيق وقالت : قد سمعت كلامك ، وما أحسن ما تكلمت به ! إلا أني رأيتك تذكر بقايا أمور هي في نفسك من حيث قلة مـالك وسوء حالك واغترابك عن موطنك . فاطرح ذلك عن قلبك واعلم ان حسن الكلام لا يتم إلا بحسن العمل ، وأن المريض الذي قد علم دواء مرضـه إن لم يتداو به لم يغن علمه به شيئاً ولم يجـد لدائه راحة ولا خفة . فاستعمل رأيك ولا تحزن لقلة المال ، فإن الرجل ذا المروءة قد يكرم على غير مال كالأسد الذي يُهاب وان كان رابضاً [2] ، والغني الذي لا مروءة له يهان وإن كان كثير المـال كالكلب لا يحفل [3] به وإن طوّق وخلخل بالذهب . فلا تكبرن عليك غربتك ، فإن العـاقل لا غربة له كالأسد الذي لا ينقلب [4] الا معه قوته . فلتحسن تعهدك [5] لنفسك فانك إذا فعلت ذلك جاءك الخير يطلبك من كل مكان كما يطلب الماء انحـداره ، وإنما جعل الفضل للحازم البصـير ، وأما الكسلان المتردد فان الفضل لا يصحبه .

وقد قيل في أشياء ليس لها ثبـات ولا بقاء : ظل الغمامة [6] في الصيف ، وخلة [7] الأشرار ، وعشق النساء ، والنبإ الكاذب ، والمـال الكثير . فالعاقل لا يحزن لقلته ، ولكن ماله عقله وما قدم من صالح عمله فهو واثق أنه لا يُسلب ما عمل ولا يؤاخذ بشيء لم يعمله ، وهو خليق ألا يغفل عن أمر آخرته ، فإن الموت لا يأتي إلا بغتة وليس

---

(١) حسب : فقط . (٢) رابضاً : قاعداً . (٣) يحفل: يبالي . (٤) ينقلب: يتحول
(٥) تعهدك : تفقدك . (٦) الغمامة : الغيمة . (٧) خلة: مصادقة .

بينه وبين أحد أجل [1] معلوم . وأنت عن موعظتي غني بما عندك من العلم ، ولكن رأيت ان أقضي من حقك ، فأنت أخونا وما قبلنا [2] مبذول لك .

فلما سمع الغراب كلام السلحفاة للجرذ ومردودها عليه وإلطافها إياه [3] فرح بذلك وقال : لقد سررتني وأنعمت عليَّ وأنت جديرة أن تسري نفسك بمثل ما سررتني . وإن أولى أهل الدنيا بشدة السرور من لا يزال ربعه [4] من إخوانه وأصدقائه من الصالحين معمورا ، ولا يزال عنده منهم جماعة يسرهم ويسرونه ويكون من وراء أمورهم وحاجاتهم بالمرصاد [5] فإن حسن الثناء لا يزال صاحبه في عاقبته حيثما توجه . فإن الكريم إذا عثر لا يقيل عثرته [6] ويأخذ بيده إلا الكرام كالفيل إذا وحل لا تخرجه إلا الفيلة .

فبينما الغراب في كلامه والثلاثة مستأنسون بعضهم ببعض إذ أقبل نحوهم ظبي يسعى مذعوراً [7] ، فذعرت منه السلحفاة فغاصت في الماء ودخل الجرذ بعض الاجحار ، وطار الغراب فوقع على شجرة ، وانتهى الى المـاء فشرب منه يسيراً ثم وقف خائفاً يلتفت يميناً وشمالاً . ثم ان الغراب حلق في السماء لينظر هل للظبي طالب ، فنظر فلم ير شيئاً ، فنادى الجرذ والسلحفاة فخرجا . فقالت السلحفاة للظبي حين رأته ينظر إلى الماء ولا يقربه : اشرب إن كان بك عطشاً ولا تخف ، فإنه لا خوف عليك ، فدنا الظبي فرحبت به السلحفاة وحيته وقالت له : من أين أقبلت ؟ قال : كنت بهذه الصحاري [8] راتعاً [9] ، فلم يزل

---

(١) أجل : ميعاد . (٢) قبلنا : عندنا . (٣) الطافها : ملاطفتها له . (٤) ربعه : منزله . (٥) وقف . او كان له بالمرصاد : راقبه ، تتبعه بملاحظته . (٦) يقيل عثرته : ينهضه من سقطته . (٧) مذعوراً: خائفاً . (٨) الصحاري : جمع صحراء وهي الارض الرملية الواسعة . (٩) راتعاً : آكلا وشارباً في خصب وسعة .

الأساورة [١] تطردني من مكان إلى مكان حتى رأيت اليوم شبحاً فخفت ان يكون قانصاً . قالت : لا تخف ، فإنا لم نر ههنا قانصاً قط ، ونحن في هذا المكان مجتمعون نتحدث ونتآنس ، ونحن نبذل لك ودنا ومكاننا ، والماء والمرعى كثير عندنا فارغب في صحبتنا . فأقام الظبي معهم ، وكان لهم عريش [٢] يجتمعون فيه ويتساقطون [٣] الأحاديث والأخبار . فبينا الغراب والجرذ والسلحفاة ذات يوم في العريش إذ غاب الظبي فتوقعوه [٤] ساعة فلم يأت . فلما أبطأ أشفقوا [٥] أن يكون قد أصابه عنت [٦] . فقال الجرذ والسلحفاة للغراب : انظر هل ترى مما يلينا [٧] شيئاً ، فحلق الغراب في السماء فإذا الظبي في الحبائل [٨] مقتنصاً [٩] فانقض [١٠] مسرعاً فأخبرهما بذلك . فقالت السلحفاة والغراب للجرذ : هذا أمر لا يرجى فيه غيرك فأغث [١١] أخاك . فسعى الجرذ مسرعاً فأتى الظبي فقال له : كيف وقعت في هذه الورطة وأنت من الأكياس [١٢] ؟ قال الظبي : ما يغني [١٣] حذر من قدر [١٤] ولا يجدي [١٥] الكيس مع المقادير شيئاً .

فبينا هما في الحديث وافتها السلحفاة فقال لها الظبي : ما أصبت بمجيئك فإن القانص لو انتهى إلينا وقد قطع الجرذ الحبائل سبقته عدواً [١٦] وللجرذ أجحار كثيرة والغراب يطير ، وأنت ثقيلة لا سعي لك ولا حركة ، وأخاف عليك القانص . قالت : لا عيش

---

(١) الاساورة : جمع اسوار وهو الرامي بالسهام . (٢) عريش مكان يستظل به .
(٣) يتساقطون الاحاديث : يتبادلونها ويتناولونها . (٤) توقعوه : انتظروا مجيئه .
(٥) اشفق: خاف . (٦) اصابه عنت: وقع في أمر شاق . (٧) مما يلينا : مما حوالينا،
(٨) الحبائل : الاشراك . (٩) مقتنصاً : مصطاداً . (١٠) انقض : وقع بسرعة
(١١) أغث : اعن . (١٢) الاكياس : جمع كيس وهو الظريف الفطن .
(١٣) يغني : يدفع ويمنع . (١٤) قدر : قضاء الله . (١٥) يجدي : ينفع
(١٦) عدواً : ركضاً .

بعـــد فراق الأحبة ، وإذا فارق الأليف أليفه ، فقد سلب فؤاده ، وحرم سروره ، وغشي على بصره . فلم ينته كلامها حتى وافى (١) القانص ووافق ذلك فراغ الجرذ من قطع الشرك ، فنجا الظبي بنفسه وطار الغراب محلقاً ودخل الجرذ بعض الأجحار ، ولم يبق غير السلحفاة ودنا الصياد فوجـــد حبائله مقطعة ، فنظر يميناً وشمالاً فلم يجـــد غير السلحفاة تدب فأخذها وربطها .

فلم يلبث [٢] الغراب والجرذ والظبي ان اجتمعوا فنظروا القانص قد ربط السلحفاة فاشتد حزنهم وقال الجرذ : ما أرانا [٣] نجاوز عقبة [٤] من البلاء إلا صرنا الى أشد منهـا . ولقد صدق الذي قال : لا يزال الإنسان مستمراً في إقباله ما لم يعثر ، فإذا عثر لج [٥] به العثـار .. وإن مشى في جدد [٦] الأرض . وحذري على السلحفاة خير الاصدقاء التي خلتهـــا ليست للمجازاة ولا لالتماس مكافأة ، ولكنها خلة الكرم والشرف ، خلة هي أفضل من خلة الوالد لولده ، خلة لا يزيلهـــا إلا الموت ويح [٧] لهذا الجسد الموكل [٨] به البلاء الذي لا يزال في تصرف وتقلب ، ولا يدوم له شيء ، ولا يلبث معه امر كما لا يدوم للطالع من النجوم طلوع ولا للآفل [٩] منها أفول ، لكن لا يزال الطالع منها افلاً والآفل طالعـــاً . وكما تكون الام الكلوم (١٠) وانتقاض (١١) الجراحـات ، كذلك حـالي انا الذي ذكرني هذا البلاء سابق أحوالي ، كالجرح المندمل (١٢) تصيبه الضربة فيجتمع عليه ألمان ، ألم الضربة وألم

---

(١) وافى : اتى ، جاء . (٢) لم يلبث : لم يتأخر ، لم يبطىء . (٣) ارانا : ارى انفسنا . (٤) عقبة : الاصل فيها الطريق الصعبة في الجبل والمراد بها هنا الورطة .
(٥) لج : تمادى . (٦) جدد الأرض : الغليظ المستوي من الارض . (٧) ويح : ويل
(٨) الموكل بـــه : المنوط ، المتعلق بـــه . (٩) أفلت الشمس تأفل : غابت ، والآفل : الغارب . (١٠) الكلوم : الجراح . (١١) انتقاض : انتكاس . (١٢) المندمل : الذي برىء .

الجرح . وأخلق بمن [١] فقد إخوانه بعد اجتماعه بهم ألا يزال منقصم [٢] الظهر حزين النفس .

فقال الظبي والغراب للجرذ : إن حذرنا وحذرك وكلامك وإن كان بليغاً لا يغني عن السلحفاة شيئاً ، وإنه كما يقال : إنما الناس عند البلاء وذو الأمانة عند الأخذ والعطاء ، والأهل والولد عند الفاقة ، والإخوان عند النوائب [٣] .

قال الجرذ : أرى من الحيلة أن تذهب ايها الظبي فتقع بمنظر من القانص [٤] كأنك جريح ويقع الغراب عليك كأنه يأكل منك . وأسعى انا فأكون قريباً من القانص مراقباً لعله يرمي ما معه من الآلة ويدع السلحفاة ويقصدك طامعاً فيك راجياً تحصيلك ، فإذا دنا منك ففر عنه رويداً بحيث لا ينقطع طمعه فيك وأمكنه [٥] من أخذك مرة بعد مرة حتى يبعد عنا . وانح منه هذا النحو [٦] ما استطعت فإني ارجو الا ينصرف إلا وقد قطعت الحبائل عن السلحفاة وأنجو بها . ففعل الظبي والغراب ما أمرهما به الجرذ وتبعهما القانص ، فاستطرد له [٧] الظبي حتى أبعده عن الجرذ والسلحفاة ، والجرذ مقبل على قطع الحبائل حتى قطعها ونجا بالسلحفاة . وعاد القانص مجهوداً لاغباً [٨] فوجد حبائله مقطعة . ففكر في أمره مع الظبي فظن أنه خولط في عقله [٩] ، وفكر في الظبي والغراب الذي كان كأنه يأكل منه وتقريض حبائله ، فاستوحش من الأرض وقال : هذه أرض جن أو سحرة .

(١) اخلق به : ما اخلقه اي ما احقه . (٢) منقصم الظهر : منكسر. (٣) النوائب : المصائب . (٤) وقع بمنظر منه : قريباً منه بحيث ينظره (٥) امكنه : اجعله يتمكن . (٦) انح منه هذا النحو : اي اجر منه هذا المجرى . (٧) استطرد له : اظهر له الانهزام مكيدة . (٨) لغب يلغب لغباً : تعب جداً ، واللاغب اسم فاعل اي التعب جداً .
(٩) خولط في عقله : اختل عقله .

فرجع موليـــاً لا يلتمس شيئاً ولا يلتفت اليه ، واجتمع الغراب والظبي والجرذ والسلحفاة الى عريشهم سالمين آمنين كأحسن ما كانوا عليه .

فإذا كان هذا الخلق مع صغره وضعفه قدر على التخلص من مرابط الهلكة مرة بعـــد أخرى بمودته وخلوصها وثبات قلبه واستمتاع بعضه ببعض ، فالإنسان الذي قد أعطي العقل والفهم ، وألهم الخير والشر ، ومنح التمييز والمعرفة ، أولى وأحرى بالتواصل والتعاضد [1] .

فهذا مثل إخوان الصفاء وائتلافهم في الصحبة ..

---

(١) التعاضد : التعاون .

الفصل الرابع

البوم والغربان

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت مثل إخوان الصفاء وتعاونهم . فاضرب لي مثل العدو الذى لا ينبغي أن يغتر به وإن أظهر تضرعاً وملقاً . وأخبرني عن العدو ، هل يصير صديقاً ؟ وهل يوثق من أمره بشيء ؟ وكيف العداوة وما ضررها ؟ وكيف ينبغي للملك أن يصنع إذا طلب عدوه مصالحته ؟ .

قال الفيلسوف : من اغتر بالعدو الذي لا يزال عدوا أصابه ما أصاب البوم من الغربان . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

قال بيدبا : زعموا أنه كان في جبل من الجبال شجرة من شجر الدوح [1] فيها وكر ألف غراب وعليهن وال من أنفسهن . وكان عند هذه الشجرة كهف فيه ألف بومة وعليهن وال منهن . فخرج ملك البوم لبعض غدواته [2] وروحاته [3] وفي نفسه العداوة لملك الغربان وفي نفس الغربان وملكها مثل ذلك للبوم . فأغار ملك البوم في أصحابه على الغربان في أوكارها فقتل وسبى منها خلقاً كثيراً وكانت الغارة ليلاً

---

(١) الدوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة . (٢) غداوته : خروجه صباحاً .
(٣) روحاته : خروجه مساء .

فلما أصبحت الغربان اجتمعت الى ملكها فقلن له : قد علمت ما لقينا الليلة من ملك البوم وما منا إلا من أصبح قتيلاً او جريحاً او مكسور الجناح او منتوف الريش أو مهلوب (١) الذنب . وأشد ما أصابنا ضراً جرأتهن علينا وعلمهن بمكاننا وهن عائدات الينا غير منقطعات عنا لعلمهن بمكاننا فإنما نحن لك ايها الملك فانظر لنا ولنفسك . وكان في الغربان خمسة معترف لهن بحسن الرأي يسند اليهن [٢] في الأمور وتلقى اليهن مقاليد [٣] الأحوال . وكان الملك كثيراً ما يشاورهن في الأمور ويأخذ آراءهن في الحوادث والنوازل [٤] .

فقال الملك للأول من الخمسة : ما رأيك في هذا الأمر ؟ قال : رأيي قد سبقتنا اليه العلماء ، وذلك أنهم قالوا : ليس للعدو الحنق [٥] الذي لا طاقة لك به إلا الهرب منه .

قال الملك للثاني : ما رأيك أنت في هذا الأمر ؟ قال : ما رأى هذا من الهرب . قال الملك : لا أرى لكما ذلك رأياً أن نرحل عن أوطاننا ونخليها لعدونا من أول نكبة اصابتنا منه ، ولا ينبغي لنا ذلك فنكون به لهم عوناً علينا ، ولكن نجمع أمرنا ونستعد لعدونا ونذكي [٦] نار الحرب فيما بيننا وبين عدونا ونحترس من الغرة [٧] إذا أقبل الينا فنلقاه مستعدين ونقاتله قتالاً غير مراجعين فيه ولا حامين منه [٨] وتلقى أطراف العدو ونتحرر بحصوننا وندافع عدونا بالأناة [٩] مرة وبالجلاد [١٠] أخرى حيث نصيب فرصتنا وبغيتنا وقد ثنينا (١١) عدوناً عنا .

ثم قال الملك للثالث . ما رأيك أنت ؟ قال : لا أرى ما قالا

(١) مهلوب : منتوف . (٢) يسند اليهن : يعتمد عليهن . (٣) مقاليد : مفاتيح . (٤) النوازل : الشدائد . (٥) الحنق : ذي الحنق اي الغضب . (٦) نذكي : نوقد . (٧) الغرة: الغفلة . (٨) حامين منه : آنفين اي متكرهين . (٩) الاناة : التأني. (١٠) الجلاد : الحرب . (١١) ثنينا : رددنا.

رأياً ، ولكن نبث [١] العيون [٢] ونبعث الجواسيس ونرسل الطلائع [٣] بيننا وبين عدونا فنعلم هل يريد صلحنا ، ام يريد الفدية ؟ فإن رأينا أمره أمر طامع في المال لم نكره الصلح على خراج نؤديه اليه في كل سنة ندفع به عن أنفسنا ونطمئن في أوطاننا . فإن من آراء الملوك إذا اشتدت شوكة [٤] عدوهم فخافوا على أنفسهم وبلادهم ان يجعلوا الأموال جنة [٥] البلاد والملك والرعية .

قال الملك للرابع : فما رأيك في هذا الصلح ؟ قال لا أراه رأياً بل ان نفارق أوطاننا ونصبر على الغربة وشدة المعيشة خير من ان نضيع أحسابنا [٦] ونخضع للعدو الذي نحن أشرف منه ، مع ان البوم لو عرضنا ذلك عليهن لما رضين منا إلا بالشطط [٧] . ويقال في الامثال : قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك ، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترىء عليك ويضعف جندك وتذل نفسك . ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة في الشمس إذا أملتها قليلاً زاد ظلها وإذا جاوزت بها الحد في إمالتكها [٨] نقص الظل . وليس عدونا راضياً منا بالدون في المقاربة فالرأي لنا ولك المحاربة .

قال الملك للخامس : ما تقول أنت وماذا ترى ؟ القتال أم الصلح ، أم الجلاء عن الوطن ؟ قال : أما القتال فلا سبيل للمرء الى قتال من لا يقوى عليه . وقد يقال : إنه من لا يعرف نفسه وعدوه وقاتل من لا يقوى عليه حمل نفسه على حتفها ، مع أن العاقل لا يستصغر عدواً ، فإن من استصغر عدوه اغتر به ، ومن اغتر بعدوه لم يسلم منه . وأنا

---

(١) بث: تفرق . (٢) العيون : الرقباء . (٣) الطلائع : جماعات من الجيش ترسل لتجسس احوال العدو . (٤) شوكة : اي قدرة . (٥) جنة : ترس .
(٦) احسابنا : مفاخرنا . (٧) الشطط : مجاوزة الحد . (٨) امالتكها : امالتك اياها .

للبوم شديد الهيبة وإن أضربن عن قتالنا [1] وقد كنت أهابهـــا قبل ذلك . فإن الحازم [2] لا يأمن عدوه على كل حال ، فإن كان بعيداً لم يـــأمن سطوته وإن كان مكثباً [3] لم يأمن وثبته [4] ، وإن كان وحيداً لم يأمن مكره . وأحزم الاقوام وأكيسهم [5] من كره القتال لأجل النفقة فيه ، فإن مـا دون القتال النفقة فيه من الأموال والقول والعمل . والقتال النفقة فيه من الأنفس والابدان وربما اكتفي عنه بالنفقة اليسيرة والكـلام اللين . فلا يكونن القتال للبوم من رأيك ايها الملك فإن من قاتـل من لا يقوى عليه فقـد غرر بنفسه . فاذا كان الملك محصناً [6] للأسرار متخيراً [7] للوزراء ، مهيبـاً في أعين الناس ، بعيداً من ان يقدر عليه كان خليقاً أن لا يسلب صحيح مـا أوتي [8] من الخير . وأنت ايها الملك كذلك . والملك يزداد برأي وزرائه بصيرة كما يزيد البحر بمجـاوره من الأنهار . وقد استشرتني في امر جوابك مني عنه في بعضه علني وقد أجبتك به وفي بعضه سري . وللأسرار منازل ، منها ما يدخل فيه الرهط [9] ، ومنها ما يستعان فيه بالقوم ، ومنها مـا يدخل فيه الرجلان ، ولست أرى لهذا السر على قدر منزلته ان يشارك فيه إلا أربعة آذان ولسانان . فنهض الملك من ســاعته وخلا بـه فاستشاره ، فكان أول مـا سأله عنه الملك انه قال : هل تعلم ابتداء ما بيننا وبين البوم ؟ قال : نعم ، كلمة تكلم بها غراب . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

---

(١) اضربن عن قتالنا : اعرضن عنه . (٢) الحازم : السديد الرأي .
(٣) مكثباً : قريباً . (٤) وثبته : هجمته .
(٥) اكيسهم : من الكيس بمعنى العقل . (٦) محصناً : كاتماً .
(٧) متخيراً : منتقياً . (٨) أوتي : اعطي . (٩) الرهط : قوم الرجل وقبيلته .

الغراب والكراكي

قال الغُراب : زعموا ان جماعة من الكراكي[1] لم يكن لها ملك فأجمعت أمرها على أن تُملك عليها ملك البوم . فبينا هي في مجمعها إذ وقع لها لها غراب . فقالت : لو جاءنا هذا الغراب لاستشرناه في أمرنا . فلم يلبثن دون أن جاءهن الغراب فاستشرنه . فقال : لو أن الطير بادت[2] من الأقاليم[3] وفقد الطاووس والبط والنعام والحمام من العالم لما اضطررتن إلى أن تملكن عليكن البوم التي هي أقبح الطير منظراً ، وأسوأها خلقاً ، وأقلها عقلاً ، وأشدها غضباً ، وأبعدها من كل رحمة مع عماها وما العشا[4] في النهار ، ونتن رائحتها حتى لا يطيق طائر أن يتقرب منها ، وأشدُّ من ذلك وأقبح أمورها سفهها[5] وسوء أخلاقها . إلا أن ترين أن تملكنها وتكن أنتن تدبرن الأمور دونها برأيكن وعقولكن ؟ فان وزراء الملك إذا كانوا صالحين وكان يطيعهم في آرائهم لم يضر في ملكه كونه جاهلاً واستقام أمره كما فعلت الأرنب التي زعمت أن القمر ملكها وعملت برأيها . قالت الطير : وكيف كان ذلك ؟

الأرنب وملك الفيلة

قال الغُراب : زعموا أن أرضاً من أراضي الفيلة تتابعت عليها السنون[6] وأجدبت وقل ماؤها وغارت عيونها وذوى[7] نبتها ويبس شجرها فأصاب الفيلة عطش شديد . فشكون ذلك إلى ملكهن فأرسل

---

(١) الكراكي : جمع كركي وهو ضرب من الطير . (٢) بادت : فنيت وانقطعت .
(٣) اقاليم : جمع اقليم وهو من البلاد ما اختص باسم وتميز به . فمصر اقليم ، والشام اقليم ، وقس عليه . (٤) العشا : ضعف البصر . (٥) سفهها : جهلها وخفتها .
(٦) السنون : جمع سنة بمعنى الجدب والمحل . (٧) ذوى : ذبل .

الملك رسله وروّاده[1] في طلب الماء في كل ناحية فرجع إليــه بعض الرسل فقال له : إني قد وجدت بمكان كذا عيناً يقــال لها عين القمر كثيرة الماء . فتوجه ملك الفيلة بأصحابه إلى تلك العين ليشرب منها هو وفيلته ، وكانت العين في أرض للأرانب فوطئن الأرانب في اجحارهن فاهلكـــن منهن كثيراً فاجتمعت الارانب إلى ملكهـــا فقلن له : قد علمت مـــا أصابنا من الفيلة ؟ فقال : ليحضر منكن كل ذي رأي رأيه . فتقدمت أرنبٌ من الأرانب يقال لهـــا فيروز ، وكان الملك يعرفها بحسن الرأي والأدب ، فقــالت : إن رأى الملك أن يبعثني إلى الفيلة ويرسل معي أميناً ليسمع ويرى ما أقول ويرفعه إلى الملك . فقال لها الملك : أنتِ أمينة ونرضى بقولك ، فانطلقي إلى الفيلة وبلغي عني ما تريدين ، واعلمي ان الرسول برأيه وعقله ولينه وفضله يخبر عن عقل المرسل ، فعليك باللين والرفق والحلم والتأني فإن الرسول هو الذي يلين الصدور إذا رفق[2] ، ويخشن الصدور إذا خرق[3] .

ثم إن الأرنب انطلقت في ليلة قمراء[4] حتى انتهت إلى الفيـــلة ، وكرهت أن تدنو منهن مخافة أن يطأنها بأرجلهن فيقتلنها وإن كن غير متعمدات[5] ، فأشرفت[6] على الجبل ونادت ملك الفيلة وقالت له : إن القمر أرسلني إليك والرسول غير ملوم فيما يبلغ وإن أغلـظ في القول . قال ملك الفيلة . فما الرسالة ؟ قالت : يقول لك إنــه من عرف فضل قوته على الضعفاء فاغتر في ذلك بالأقوياء قياساً لهم على الضعفــاء كانت قوته وبالا[7] عليه . وأنت قد عرفت فضل قوتــك على الدواب فغرك ذلك فعمدت إلى العين التي تسمى باسمي فشربت منها ورنقتهـــا[8] ، فأرسلني إليك أنذرك أن لا تعود إلى مثل ذلك ، وأنــه إن فعلت

---

(١) رواد : جمع رائد وهو الرجل يرسله القوم ليختبر لهم مكاناً (٢) رفق : لطف ولان . (٣) خرق : ضد رفق . (٤) قمراء : مقمرة . (٥) متعمدات : قاصدات . (٦) اشرفت : اطلت . (٧) وبالا : سوء عقبى .
(٨) رنقتها : كدرتها .

يغشى[1] على بصرك ويتلف نفسك . وإن كنت في شك من رسالتي فهلم الى العين من ساعتك فإنه موافيك[2] بها . فعجب ملك الفيلة من قول الأرنب فانطلق إلى العين مع فيروز الرسول . فلما نظر اليها رأى ضوء القمر فيها ، فقالت له فيروز الرسول : خذ بخرطومك من الماء فاغسل به وجهك واسجد للقمر . فادخل الفيل خرطومه في الماء ، فتحرك فخيل إلى الفيل[3] أن القمر ارتعد . فقال : ما شأن القمر ارتعد ؟ أترينه غضب من إدخال خرطومي في الماء ؟ قالت فيروز الأرنب : نعم . فسجد الفيل للقمر مرة أخرى وتاب اليه مما صنع وشرط ألا يعود الى مثل ذلك هو ولا احد من فيلته .

قال الغراب : ومع ما ذكرت من أمر البوم فإن فيها الخب[4] والمكر والخديعة ، وشر الملوك المخادع . ومن ابتلي بسلطان مخادع وخدمه أصابه ما أصاب الأرنب والصفرد[5] حين احتكما إلى السنور .
قالت الكراكي : وكيف كان ذلك ؟

مثل الصفرد والارنب والسنور

قال الغراب : كان لي جار من الصفاردة في أصل شجرة قريبة من وكري وكان يكثر مواصلتي ، ثم فقدته فلم أعلم أين غاب وطالت غيبته عني . فجاءت أرنب الى مكان الصفرد فسكنته ، فكرهت ان إن اخاصم الأرنب فلبثت فيه زماناً . ثم إن الصفرد عاد بعد زمان فأتى منزله فوجد فيه الأرنب فقال لها : هذا المكان لي فانطلقي منه ، قالت الأرنب : المسكن لي وتحت يدي وأنت مدع له ، فإن كان لك

(١) يغشى على : يلقي غشاوة . (٢) موافيك : ملاقيك . (٣) خيل اليه : توهم .
(٤) الخب : بمعنى الخداع . (٥) الصفرد : طائر يكنى ابا المليح .

فاستعدِ [1] عليَّ . قال الصفرد : القاضي منا قريب فهلمي بنا إليه .
قالت الأرنب : ومن القاضي ؟ قال الصفرد : إن بساحل البحر سنوراً متعبداً يصوم النهار ويقوم الليل كله ولا يؤذي دابة ولا يهريق[2] دماً . عيشه من الحشيش ومما يقذفه اليه البحر ، فإن أحببت تحاكمنا اليه ورضينا به .
قالت الأرنب : مـا أرضاني به إذا كان كما وصفت . فانطلقا اليه ، فتبعتهما لأنظر إلى حكومة الصوام القوام [3] . ثم إنهما ذهبا اليه . فلما بصر السنور بالأرنب والصفرد مقبلين نحوه انتصب قائمـاً يصلي وأظهر الخشوع والتنسك . فعجبا لما رأيا من حاله ودنوا منه هائبين له وسلما عليه وسألاه ان يقضي بينهما ، فأمرهمـا ان يقصا عليه القصة ففعلا .
فقال لهما : قد بلغني الكبر وثقلت أذناي [4] فادنوا مني فاسمعاني مـا تقولان . فدنوا منه وأعـادا عليه القصة وسألاه الحكم . فقال : قد فهمت ما قلتما وأنا مبتدئكما بالنصيحة قبل الحكومة . فأنا آمركما بتقوى الله ، وألا تطلبا إلا الحق ، فإن طالب الحق هو الذي يفلح وإن قضي عليه ، وطالب الباطل مخصوم(٥) وإن قضي له ؛ وليس لصاحب الدنيا من دنياه شيء ولا مال ولا صديق سوى العمل الصالح يقدمه .
فذو العقل حقيق ان يكون سعيه في طلب ما يبقى ويعود نفعه عليه غداً وأن يمقت بسعيه ما سوى ذلك من امور الدنيا . فإن منزلة المال عنـد العاقل بمنزلة المدر (٦) ، ومنزلة الناس عنده فيما يحب لهم من الخير ويكره من الشر بمنزلة نفسه .

ثم إن السنور لم يزل يقص عليهـما من جنس هذا وأشباهه حتى أنسا اليه وأقبلا عليه ودنوا منه فوثب عليهما فقتلهما .

---

(١) استعد علي : استعن . (٢) يهريق : يهرق . (٣) الصوام القوام : اي السنور .
(٤) ثقلت أذناي : اي ضعف سمعي . (٥) مخصوم : مغلوب في الخصام .
(٦) المدار : الطين اليابس.

قال الغراب : ثم إن البوم تجمع مع ما وصفت لكن من الشؤم [1] سائر العيوب ، فلا يكونن تمليك البوم من رأيكن . فلما سمع الكراكي ذلك من كلام الغراب أضربن عن تمليك البوم ، وكان هناك بوم حاضر قد سمع ما قالوا ، فقال للغراب : لقد وترتني [2] أعظم الترة [3] ولا أعلم أنــه سلف مني إليك سوء أوجب هذا . وبعد فاعلم ان الفأس يقطع بها الشجرة فيعود ينبت والسيف يقطع اللحم ثم يرجع فيندمل [4] واللسان لا يندمل جرحـه ولا تؤسى [5] مقـاطعه [6] . والنصل [7] من السهم يغيب في اللحم ثم ينزع فيخرج . وأشباه النصل من الكلام إذا وصلت الى القلب لم تنزع ولم تستخرج . ولكل حريق مطفىء ، فللنار الماء وللسم الدواء وللعشق الفرقة ، ونار الحقد لا تخبو [8] أبداً . وقد غرستم معاشر الغربان بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء .

فلما قضى البوم مقالته ولى مغضباً فأخبر ملك البوم بما جرى وبكل ما كان من قول الغراب . ثم ان الغراب ندم على ما فرط منه وقال : والله لقد خرقت [9] في قولي الذي جلبت بـــه العداوة والبغضاء على نفسي وقومي ، وليتني لم أخبر الكراكي بهذه الحـال ولم أعلمهـا بهذا الأمر . ولعل أكثر الطير قد رأى أكثر مما رأيت وعلم أضعاف مـــا علمت فمنعها من الكلام بمثل ما تكلمت إتقاء [10] ما لم أتق ، والنظر فيما لم أنظر فيه من حذار العواقب ، ولا سيما إذا كان الكلام أفظع كلام يلقى منه سامعه وقائله للمكروه مما يورث الحقد والضغينة . فلا ينبغي أن تسمى أشباه هذا الكلام كلاماً ولكن سهاماً . وإن الكلام الرديء هو الذي يرمي صـــاحبه في الحقد والعداوة ؛ والعاقل إن كان واثقاً

(١) الشؤم : خلاف البركة . (٢) وترتني : اصبتني بمكروه . (٣) الترة : مصدر وتر . (٤) يندمل: يلتحم. (٥) تؤسى : تداوى . (٦) مقاطعه : مواضع قطعه . (٧) النصل : حديد السهم ونحوه . (٨) لا تخبو : لا تطفأ . (٩) خرقت : من الخرق وهو عدم احسان التصرف في الأمور . (١٠) اتقاء : توقي .

بقوته وفضله لا ينبغي ان يحمله ذلك على ان يجلب العداوة على نفسه اتكالاً على ما عنده من الرأي والقوة ، كما أنه وإن كان عنده الترياق لا ينبغي له ان يشرب السم اتكالاً على ما عنده . وصاحب العمل وإن قصر به القول في مستقبل الأمر كان فضله بيناً واضحاً في العاقبة والاختبار ، وصاحب حسن القول وإن أعجب الناس حسن صفته الأمور لم تحمد مغبة [1] أمره ، وأنا صاحب القول الذي لا عاقبة له محمودة . أو ليس من سفهي [2] اجترائي على التكلم في أمر لم أستشر فيه أحداً ولم أعمل فيه رأياً ؟ ومن لم يستشر النصحاء والأولياء [3] وعمل برأيه من غير تكرار النظر والروية [4] لم يغتبط بمواقع رأيه فما كان أغناني عما كسبت يومي هذا وما وقعت فيه من الهم . وعاتب الغراب نفسه بهذا الكلام وأشباهه وذهب .

هذا ما سألتني عنه من ابتداء العداوة بيننا وبين البوم ، وأما القتال فقد علمت رأيي فيه وكراهتي له ، ولكن عندي من الرأي والحيلة غير القتال ما يكون فيه الفرج إن شاء الله تعالى . فإنه رب قوم قد احتالوا بآرائهم حتى ظفروا بما أرادوا ، ومن ذلك حديث الجماعة الذين ظفروا بالناسك وأخذوا غريضه [5] . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

اللصوص والناسك وغريضه

قال الغراب : زعموا أن ناسكاً اشترى غريضاً ضخماً ليجعله قرباناً ،

---

(١) مغبة : عاقبة . (٢) سفهي : جهلي . (٣) الاولياء : الاصدقاء .
(٤) الروية : اطالة الفكرة . (٥) الغريض : ما اتى عليه سنة من المعز .

فانطلق به يقوده . فبصر به قوم من المكرة فائتمروا [١] بينهم ان يأخذوه من الناسك . فعرض له أحدهم فقال له : أيها الناسك ، مـا هذا الكلب الذي معك ؟ ثم عرض له الآخر فقال لصاحبه : مـا هذا ناسكاً لأن الناسك لا يقود كلباً . فلم يزالوا مع الناسك على هذا ومثله حتى لم يشك أن الذي يقوده كلب وأن الذي باعه إياه سحر عينيه ، فأطلقه من يده فأخذه الجماعة المحتالون ومضوا به .

وإنما ضربت لك هذا المثل لما أرجو ان نصيب [٢] من حـاجتنا بالرفق والحيلة ، وإني أريد من الملك ان ينقرني على رؤوس الأشهاد وينتف ريشي وذنبي ثم يطرحني في أصل هـذه الشجرة ويرتحل الملك وجنوده إلى مكان كـذا ، فإني أرجو اني اصبر واطلع على أحوالهم ومواضع تحصينهم وأبوابهم فأخـادعهم وآتي اليكم لنهجم عليهم وننال منهم غرضنا إن شاء الله تعالى . قال الملك : أتطيب نفسك لذلك ؟ قال : نعم ، وكيف لا تطيب نفسي لذلك وفيه أعظم الراحـات للملك وجنوده ؟ ففعل الملك بالغراب ما ذكر ثم ارتحل عنه .

فلما جن الليل أقبل ملك البوم وجنده ليوقع [٣] بالغربان فلم يجدهم وهم بالانصراف . فجعل الغراب يئن ويهمس حتى سمعته البوم ورأينه يئن فأخبرن ملكهن بذلك فقصـد نحوه ليسأله عن الغربان . فلما دنا منه أمر بومـاً ان يسأله فقال له : من أنت وأين الغربان ؟ فقال : أمـا اسمي ففلان ، وأما ما سألتني عنه فإني أحسبك ترى ان حالي حال من لا يعلم الأسرار . فقيل لملك البوم : هذا وزير ملك الغربان وصاحب رأيه فنسأله بأي ذنب صنع به ما صنع ، فسئل الغراب عن أمره . فقـال : إن ملكنا استشار جماعتنا فيكن وكنت يومئذ

---

(١) ائتمروا : تشاوروا . (٢) نصيب : ننال . (٣) يوقع : يبطش .

بمحضر من الأمر [١] . فقال : أيها الغربان مـا ترون في ذلك ؟ فقلت : أيها الملك لا طاقة لنا بقتال البوم لأنهن أشد بطشاً واحدّ قلباً منـا . ولكن أرى ان نلتمس الصلح ثم نبذل الفدية في ذلك ، فإن قبلت البوم ذلك منا وإلا هربنا في البلاد ؛ وإذا كان القتال بيننا وبين البوم كان خيراً لهن وشراً لنا . فالصلح أفضل من الخصومة . وأمرتهن بالرجوع عن الحرب وضربت لهن الأمثـال في ذلك ، وقلت لهن ان العدو الشديد لا يرد بـأسه مثل الخضوع له . ألا ترين إلى الحشيش كيف يسلم من عـاصف الريح للينه وميله معها حيث مالت والشجر العاتي [٢] يتكسر بهـا ويحطم ، فعصينني في ذلك وزعمن انهن يردن القتال واتهمنني فيما قلت وقلن انك قد مالأت البوم [٣] علينا . ورددن قولي ونصيحتي وعذبنني بهذا العذاب وتركني الملك وجنوده وارتحل ، ولا علم لي بهن بعد ذلك .

فلما سمع ملك البوم مقالة الغراب قال لبعض وزرائه : ما تقول في الغراب ومـا ترى فيه ؟ قال : ما أرى إلا المعاجلة له بالقتل ، فإن هـذا أفضل عدد الغربان [٤] وفي قتله لنا راحـة من مكره وفقده على الغربان شديد . فإذا قتل ثل [٥] ملكهم وتقوض [٦] ، ومـا أراه إلا فتحاً [٧] قد أرسله الله إليك . ويقال : من ظفر بالساعة التي فيهـا ينجح العمل ، ثم لا يعاجله بالذي ينبغي له فليس بحكيم ، فإن الأمور مرهونة بأوقاتهـا ، ومن طلب الأمر الجسيم فأمكنه ذلك فأغفله [٨] فاته الأمر . وهو خليق ألا تعود الفرصة ثانية ، ومن وجـد عدوه ضعيفاً ولم ينجز [٩] قتله ندم إذا استقوى ولم يقدر عليه .

---

(١) بمحضر من الأمر : حاضراً له. (٢) العاتي: المتكبر. (٣) مالأت : اعتصبت معهن . (٤) العدد ما : ما يعتمد عليه . (٥) ثل : هدم . (٦) تقوض : نقض وانهد . (٧) اراه فتحاً : نصراً وظفراً . (٨) اغفله : تركه .
(٩) لم ينجز : لم يتم . لم يعجل .

قال الملك لوزير آخر : ما ترى انت في هذا الغراب ؟ قال : أرى الا تقتله لأنه قد لقي من اصحابه ما تراه فهو خليق ان يكون دليلا لك على عوراتهم [١] ومعيناً لك على ما فيه هلاكهم ، وان العدو الذليل الذي لا ناصر له اهل لأن يؤمن ولا سيما المستجير الخائف ، والعدو إذا صدرت منه المنفعة ولو كان غير متعمد لها اهل لأن يصفح عنه بسببها . كالتاجر الذي عطف على سارق لاصطلاحه مع امرأته بسببه . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

التاجر وامرأته والسارق

قال الوزير : زعموا أنه كان تاجر كثير المال والمتاع ، وكان بينه وبين أمرأته وحشة [٢] . وإن سارقاً تسوّر [٣] بيت التاجر فدخل فوجده نائماً ووجد امرأته مستيقظة ، فذعرت من السارق ووثبت إلى التاجر فالتزمته [٤] وأيقظته ، ولم يكن يجري بينهما كلام . فاستيقظ التاجر وتكالما وانحلت الوحشة من بينهما . ثم بصر بالسارق فقال : أيها السارق أنت في حل مما أخذت [٥] من مالي ومتاعي ، ولك الفضل بما أصلحت بيننا .

قال ملك البوم لوزير آخر من وزرائه : ما تقول في أمر الغراب ؟ قال : أرى أن تستبقيه [٦] وتحسن إليه فإنه خليق أن ينصحك ، والعاقل يرى معاداة بعض أعدائه بعضاً ظفراً حسناً ، ويرى اشتغال بعض اعدائه ببعض خلاصاً لنفسه منهم ونجاة كنجاة الناسك من اللص والشيطان حين اختلفا عليه . قال الملك وكيف كان ذلك ؟

---

(١) عوراتهم : مواضع الخلل منهم (٢) وحشة : نفار ومقاطعة . (٣) تسوّر البيت : وثب عن سوره . (٤) التزمته : تمسكت به . (٥) انت في حل مما اخذت : حلال لك ما اخذته . (٦) تستبقيه : تبقيه حياً .

الناسك واللص والشيطان

قال الوزير : زعموا أن ناسكاً أصاب من رجل بقرة حلوباً فانطلق بها يقودها إلى منزله ، فعرض له لص أراد سرقتها وتبعه شيطان يريد اختطافه وقد تزيا له بزي إنسان . فقال الشيطان للص : من أنت ؟ قال اللص : أريد ان أسرق هذه البقرة من الناسك إذا نام . فمن أنت؟ قال : أنا الشيطان أريد اختطافه إذا نام وأذهب به . فانتهيا على هذا إلى المنزل فدخل الناسك منزله ودخلا خلفه ، وأدخل البقرة فربطها في زاوية المنزل وتعشى ونام . فأقبل اللص والشيطان يأتمران فيه واختلفا على من يبدأ بشغله اولاً . فقال الشيطان : إن أنت بدأت بأخذ البقرة ربما استيقظ وصاح واجتمع الناس فلا اقدر على أخذه ، فانتظرني ريثما آخذه وشأنك وما تريد . فأشفق[1] اللص إن بدأ الشيطان باختطافه ان يستيقظ فلا يقدر على أخذ البقرة . فقال : لا بل أنظرني[2] أنت حتى آخذ البقرة وشأنك وما تريد ؟ قال الشيطان رويداً[3] حتى يستغرق الناس في النوم فنظفر بهما جميعاً . فلم يزالا في المجادلة هكذا حتى نادى اللص : أيها الناسك انتبه فهذا الشيطان يريد اختطافك . ونادى الشيطان : يا أيها الناسك انتبه فهذا اللص يريد ان يسرق بقرتك . فانتبه الناسك وجيرانه بأصواتهما . وهرب الخبيثان

فقال الوزير الأول الذي أشار بقتل الغراب : أظن ان الغراب قد خدعكن ووقع كلامه في نفس الغبي منكن موقعه فتردن أن تضعن الرأي غير موضعه . فمهلاً مهلاً أيها الملك عن هذا الرأي ، ولا تكونن لما تسمع أشد تصديقاً منك لما ترى كالرجل الذي كذب بما رأى وصدق بما سمع والخدع بالمحال . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

---

(١) اشفق : خاف . (٢) انظرني : امهلني . (٣) رويداً : مهلاً .

مثل الرجل واللصوص

قال الوزير : زعمـــوا أنه كان رجلٍ نائماً وحده إحدى الليالي في بيته ، وإذا لصوص قد دخلوا عليه البيت وأخذوا في جمع ما فيه من المتاع حتى افضوا [١] إلى حيث هو نائم ، فانتبه عليهم وخاف ان يقوم إليهم حذار أن يبطشوا به . وكان للحجرة التي هو فيها باب آخر إلى الطريـــق . فقال في نفسه : الرأي ألا أشعرهم بانتباهي ولا أذعرهم حتـــى يفرغوا مما يريدون أخذه ويخرجوه إلى حيث يريدون احتماله ، فاخرج من الباب الآخر وأدعوا الجيران فنفجأهم [٢] ونوقع [٣] بهـــم . فلبث على فراشه متناوماً [٤] حتى فرغ اللصوص مما أرادوا جمعـــه وخرجوا يريدون حمله ، فهـــم الرجل بالقيام فشعروا بحركة منه فهمس إليهم رئيسهم [٥] انْ قفوا ولا ترتاعوا وتعالوا نحتل له بحيلة نخدعه بها ولا يذهب تعبنا ضياعـــاً . وأنا الآن رافع صوتي ومخاطبكم بشيء فصوبوا فيه رأيي وأجيبوني إليه . قالوا : نعم . فرفع اللص صوته بحيث يسمع الرجل وقال لأصحابه : اني أرى هذه الاحمال ثقيـــلة شاقة [٦] وما ارى قيمتها تفي بحملها [٧] والمخاطرة فيها . وقد ظهر لي أن هذا الرجل سيء الحال وقد أخذتني عليه الشفقة والرأفة وراجعت رأيي فيه فرأيت ان ندع له متاعه فإنه يحسب علينا سرقة ، وما هو بشيء يستحق العناء ولا لنا فيه كبير فائدة . وقد كنت أسمع من بعض مشاهير اللصوص يقول : من عفّ عن متاع فقير فلم يسرقه وهو قادر عليه غفر له ذلك سرقة مئة غني . وإن أولى السرقة واحلها سرقـــة

---

(١) افضوا : انتهوا . (٢) نفجأهم : نبغتهم . (٣) نوقع : نبطش . (٤) متناوماً : مظهراً انه نائم . (٥) همس اليهم : كلمهم بصوت خفيض . (٦) شاقة : صعبة .
(٧) تفي به : توازيه .

الأغنياء ولا سيما ذوي البخل والحرص منهم الذين ما بيوتهم وخزائنهم إلا مدافن لأموال حبسوها فلا انتفعوا بها ولا تركوها للناس . فهلم بنا إلى احد هؤلاء ودعوا هذا الحطام[1] الذي لا خير فيه واغتنموا أجر هذا الرجل المسكين . فقالوا كلهم : صدقت واحسنت . وتظاهروا أنهم يفكون الاحمال وخرجوا وكمنوا ينتظرون نوم الرجل . وإن الرجل لما سمع كلامهم وثق به وأطمأن إليه واعتقد أنهم خرجوا فسكن ونام . ولبث اللصوص حتى أيقنوا أنه قد نام فثاروا[2] إلى الأحمال فاحتملوها وفازوا بها .

وإنما ضربت لك هذا المثل إرادة الا تكون الرجل الذي كذب بما رأى وصدق بما سمع . فلم يلتفت الملك الى قوله وأمر بالغراب ان يحمل الى منازل البوم ويكرم ويتوصى به خيراً . ثم إن الغراب قال للملك يوماً ، وعنده جماعة من البوم وفيهن الوزير الذي أشار بقتله : أيها الملك ، قد علمت ما جرى علي من الغربان وانه لا يستريح قلبي دون الاخذ بثاري منهن ، واني قد نظرت في ذلك فاذا بي لا أقدر على ما رمت لأني غراب . وقد روي عن العلماء أنهم قالوا : من طابت نفسه بأن يحرقها فقد قرب لله اعظم القربان ، لا يدعو عند ذلك بدعوة ألا استجيب له . فان رأى الملك ان يأمرني فأحرق نفسي وأدعو ربي ان يحولني بوماً فأكون اشد عداوة للغربان وأقوى بأساً عليهن لعلي أنتقم منهن . فقال الوزير الذي اشار بقتله : ما اشبهك ، في خير ما تظهر وشر ما تضمر بالخمرة الطيبة الطعم والريح المنقع[3] فيها السم . أرأيت ، لو احرقنا جسمك بالنار ، ان جوهرك وطبعك متغير ؟ أو ليست أخلاقك تدور معك حيث درت وتصير بعد ذلك إلى أصلك وطينتك ؟ كالفأرة التي خيرت في الازواج بين الشمس والريح

---

(١) الحطام : الشيء الرثيث . (٢) ثاروا : هبوا ونهضوا . (٣) المنقع : المخبوء .

والسحاب والجبل فلم تزل تتخيرهم [1] حتى رجعت إلى اصلها وتزوجت الجرذ . قيل له : وكيف كان ذلك ؟

مثل الناسك والفأرة

قال: زعموا انه كان ناسك مستجاب الدعوة فبينا هو ذات يوم جالس على ساحـــل البحر إذ مرت به حدأة [2] في رجلها درص [3] فأرة ، فوقعت منها عند الناسك وأدركته لها رحمة فأخذها ولفها في ورقـــة وذهب بها الى منزله . ثم خاف ان تشق [4] على أهله تربيتها فدعا ربه أن يحولها جارية فتحولت جارية حسناء . فانطلق بها الى امرأته فقال لها : هذه ابنتي فاصنعي معها صنيعك بولدي . فلما كبرت قـــال لها الناسك : يا بنية أختاري من أحببت حتى أزوجك إياه . فقالت : أما اذا خيرتني فاني اختار زوجاً يكون اقوى الاشياء . فقال الناسك : لعلك تريدين الشمس . ثم انطلق الى الشمس فقال : أيها الخلق العظيم ، لي جارية وقد طلبت زوجاً يكون أقوى الاشياء ، فهـــل أنت متزوجها ؟ فقالت الشمس : أنا أدلك على من هو أقوى مني ، السحاب الذي يغطيني ويرد جرم شعاعي ويكسف أشعة انواري . فذهب الناسك إلى السحاب فقال له ما قال للشمس . فقال السحاب : وأنا ادلك على من هو أقوى مني . فاذهب إلى الريح التي تقبـــل بي وتدبر [5] ، وتذهب بي شرقاً وغرباً . فجاء الناسك إلى الريـــح فقال لها كقوله للسحاب . فقالت : وانا ادلك على من هو اقوى مني وهو الجبـــل الذي لا اقدر على تحريكه . فمضى إلى الجبل فقال له القول . فأجابه الجبل وقال له : أنا ادلك على من هو اقوى مني ، الجرذ الذي لا أستطيع

---

(١) لتخيرهم : لتنتقي منهم . (٢) حدأة : طائر . (٣) درص : ولد الفأرة .
(٤) لشق : لصعب . (٥) لدبر: عكس تقبل أي تمضي بعيداً عني.

الامتناع منه إذا خرقني واتخذني مسكنا . فانطلق الناسك إلى الجرذ فقال له : هل انت متزوج هذه الجارية ؟ فقال : وكيف اتزوجها ومسكني ضيق ، وإنما يتزوج الجرذ الفأرة فدعا الناسك ربه ان يحولها فأرة كما كانت وذلك برضى الجارية . فأعادها إلى عنصرهـا الأول فانطلقت مع الجرد .

فهذا مثلك أيها المخادع . فلم يلتفت ملك البوم إلى ذلك القول ورفق بالغراب ولم يزدد له إلا أكراماً ، حتى إذا طاب عيشه ونبت ريشه واطلع على ما أراد ان يطلع عليه ، راغ [1] روغة فأتى أصحابه بما رأى وسمع . فقال للملك : إني قد فرغت مما كنت أريد ولم يبق إلا ان تسمع وتطيع . قال له : انا والجند تحت أمرك فاحتكم [2] كيف شئت . قال الغراب : إن البوم بمكان كذا ، في جبل كثير الحطب ، وفي ذلك الموضع قطيع من الغنم مع رجل راع ، ونحن مصيبون [3] هناك ناراً ونلقيها في أثقاب [4] البوم ونقذف عليها من يابس الحطب ونتروح عليها [5] ضرباً باجنحتنا حتى تضطرم النار في الحطب فمن خرج منهن احترق ومن لم يخرج مات بالدخان موضعه . ففعل الغربان ذلك فأهلكن البوم قاطبة [6] ورجعن إلى منازلهن سالمات آمنات .

ثم إن ملك الغربان قال لذلك الغراب : كيف صبرت على صحبة البوم ولا صبر للأخيار على صحبة الاشرار .

قال الغراب : إن ما قلته أيها الملك لكذلك ، فإنه يقال : لذع النار أيسر على المرء من صحبة الأشرار والإقامة معهم . ولكن العاقل

---

(١) راغ يروغ : تحيل ، مال بحيلة مكرا وخديعة (٢) احتكم : احكم بما تريد .
(٣) مصيبون : واجدون . (٤) اثقاب : جمع ثقب وهو الخرق النافذ .
(٥) نتروح عليها : نجلب لها الريح . (٦) قاطبة : اي جميعاً .

إذا أتاه الأمر الفظيع العظيم الذي يخاف من عدم تحمله الجائحة[1] على نفسه وقومه لم يجزع[2] من شدة الصبر عليه لما يرجو من أن يعقبه صبره حسن العاقبة وكثير الخير ، فلم يجد لذلك ألماً ولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه حتى يبلغ حاجته فيغتبط[3] بخاتمة أمره وعاقبة صبره .

فقال الملك : اخبرني عن عقول البوم . قال الغراب : لم اجد فيهن عاقلاً إلا الذي كان يحثهن على قتلي وكان حرضهن على ذلك مراراً فكن اضعف شيء رأياً فلم ينظرن في أمري ويذكرن أني قد كنت ذا منزلة في الغربان وأني أعد من ذوي الرأي . ولم يتخوفن مكري وحيلتي ولا قبلن من الناصح الشفيق ولا أخفين دوني اسرارهن .

وقد قالت العلماء : ينبغي للملك ان يحصن اموره من اهل النميمة ولا يطلع احداً منهم على مواضع سره . وقد قيل : ينبغي للمرء ان يتحفظ من عدوه في كل شيء حتى في الماء الذي يشربه ويغتسل به والفراش الذي ينام عليه والحلة[4] التي يلبسها والدابة التي يركبها ، ولا يأمن على نفسه إلا الثقة[5] الأمين السالم الباطن والظاهر ، ويكون بعد ذلك كله على حذر منه لأن عدوه لا يتوصل إليه إلا من جهة ثقاته فربما كان احدهم لعدوه صديقاً فيصل العدو إلى مراده .

فقال الملك : ما اهلك البوم في نفسي[6] إلا البغي[7] وضعف راي الملك وموافقته وزراء السوء . فقال الغراب : صدقت ، ايها الملك ، إنه قلما ظفر احد بغنى ولم يطغ[8] ، وقلما حرص الرجل على النساء ولم

---

(١) الجائحة : الشدة العظيمة تجتاح الناس اى تهلكهم وتستأصلهم (٢) يجزع : خلاف يصبر ، يخاف . (٣) يغتبط : يعد نفسه سعيداً . (٤) الحلة : الثوب . (٥) الثقة : الموثوق به . (٦) في نفسي : في رأي . (٧) البغي : الظلم . (٨) طغى يطغي : بطر يبطر .

نفتضح ، وقل من اكثر من الطعام ولم يمرض ، وقل من وثق بوزراء السوء وسلم من ان يقع في المهالك . وكان يقال : لا يطمعن ذو الكبر [١] في حسن الثناء ، ولا الخب في حسن الصديق ، ولا السيء الآداب في الشرف ، ولا الشحيح في البر ، ولا الحريص في قلة الذنوب ، ولا الملك المختال [٢] المتهاون بالأمور الضعيف الوزراء في ثبات ملكه وصلاح رعيته .

قال الملك : لقد احتملت مشقة شديدة في تصنعك [٣] للبوم وتضرعك اليهن . قال الغراب : إنه من احتمل مشقة يرجو نفعها ونحى [٤] عن نفسه الأنفة [٥] والحمية [٦] ووطنها [٧] على الصبر حمد غب [٨] رأيه . وإنه يقال : لو ان رجل حمل عدوه على عنقه وهو يرجو هلاكه وراحته منه لكان ذلك عنده خفيفاً هيناً . كما صبر الأسود [٩] على حمل ملك الضفادع على ظهره وشبع بذلك وعاش . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

مثل الأسود وملك الضفادع

قال الغراب : زعموا ان اسود من الحيات كبر وضعف بصره وذهبت قوته فلم يستطع صيداً ولم يقدر على طعام . وإنه انساب [١٠] يلتمس شيئاً يعيش به حتى انتهى الى عين كثيرة الضفادع قد كان يأتيها قبل ذلك فيصيب من ضفادعها رزقه ، فرمى نفسه قريباً منهن

---

(١) الكبر : الكبرياء . (٢) المختال : المتكبر . (٣) تصنعك : تكلفك حسن الظاهر . (٤) نحى : ابعد . (٥) الانفة : عزة النفس . (٦) الحمية : بمعنى الانفة (٧) وطنها : ثبتها . (٨) غب : عاقبة . (٩) الاسود : الحية العظيمة . (١٠) انساب : الانسياب سير الحية .

مظهراً للكآبة والحزن . فقال له أحدها : ما لي أراك ، ايها الأسود ، كئيباً حزيناً ؟ قال : ومن احرى[1] بطول الحزن مني ؟ وإنما كان اكثر معيشتي ممـــا كنت أصيب من الضفادع فابتليت[2] ببلاء حرمت عليّ الضفادع من اجله حتى إني إذا التقيت ببعضها لا اقدر على امساكه . فانطلق الضفدع الى ملك الضفادع فبشره بما سمع من الأسود ، فأتى ملك الضفادع الى الأسود فقال له : كيف كان امرك ؟ قال : سعيت منذ ايام في طلب ضفدع وذلك عنـــد المساء فاضطررته[3] الى بيت ناسك ودخلت في اثره في الظلمة وفي البيت ابن للناسك ، فأصبت اصبعه فظننت انها الضفدع فلدغته فمات فخرجت هارباً فتبعني الناسك في اثري ودعا علي ولعنني وقال : كما قتلت ابني البريء ظلماً وتعدياً ادعو عليك ان تذل وتصير مركباً لملك الضفادع فـــلا تستطيع اخذها ولا اكل شيء منها الا مـــا يتصدق به عليك ملكها . فأتيت اليك لتركبني مقراً بذلك راضياً به . فرغب ملك الضفادع في ركوب الأسود . وظن ان ذلك فخر له وشرف ورفعة ، فركبه واستطاب (٤) ذلك . فقال له الأسود : قد علمت ايهـا الملك ، اني محروم ، فاجعل لي رزقاً اعيش به . قال ملك الضفادع : لعمري لا بد لك من رزق يقوم بك إذا كنت مركبي . فأمر له بضفدعين يؤخذان في كل يوم ويدفعان اليه . فعاش بذلك ولم يضره خضوعه للعدو الذليل بل انتفع بذلك وصار له رزقاً ومعيشة .

وكذلك كان صبري على ما صبرت عليه التماساً لهـذا النفع العظيم الذي اجتمع لنا فيه الامن والظفر وهلاك العدو والراحة منه . ووجدت

---

(١) احرى : اولى ، اجدر . (٢) ابتليت : أصبت وامتحنت .

(٣) اضطررته : احوجته . (٤) استطابه : وجده طيباً اي لذيذاً .

صرعة [١] اللين والرفق أسرع وأشد استئصالاً للعدو من صرعة المكابرة والعناد . فإن النار لا تزيد بحدتها وحرها إذا أصابت الشجرة على ان تحرق ما فوق الأرض منها . والماء بلينه وبرده يستأصل ما تحت الأرض منها . ويقال : أربعة أشياء لا يستقل قليلها : النار والمرض والعدو والدين . قال الغراب ، وكل ذلك كان من رأي الملك [٢] وأدبه وسعادة جده [٣] وإنه كان يقال : إذا طلب اثنان أمراً ظفر بـه منهما افضلهما مروءة ، فان اعتدلا في المروءة فأشدهما عزماً ، فان استويا في العزم فاسعدهما جدا . وكان يقال : من حارب الملك الحازم الأريب [٤] المتضرع [٥] الذي لا تبطره السراء ولا تدهشه الضراء ، كان هو داعي الحتف [٦] إلى نفسه ، ولا سيما إذا كان مثلك ، أيها الملك ، العالم بفروض الأعمال ومواضع الشدة واللين والغضب والرضى والمعالجـة والاناة [٧] ، الناظر في أمـر يومه وغده وعواقب أعماله . قال الملك للغراب : بل برأيك وعقلك ونصيحتك ويمن [٨] طالعك [٩] كان ذلك ، فان رأي الرجل الواحد العاقل الحازم ابلغ في هلاك العدو من الجنود الكثيرة من ذوي البأس والنجدة [١٠] والعدد والعدة [١١] . وإن من عجيب امرك عندي طول لبثك [١٢] بـين ظهراني [١٣] البوم تسمع الكلام الغليظ ثم لا تسقط بينهن بكلمة . قال الغراب : لم أزل متمسكاً بأدبك ، ايها الملك ، أصحب البعيد والقريب بالرفق واللـين والمبالغة والمواتاة [١٤] .

---

(١) صرعة : اهلاك . (٢) رأي الملك : أي رأيك . (٣) سعادة جده : حظه وتوفيقه . (٤) الاريب : العاقل . (٥) المتضرع : اسم فاعل من يتضرع منـه ، اي المتقرب في روغان او ملاينة . (٦) الحتف : الهلاك . (٧) الاناة : التأني . (٨) يمن : بركة . (٩) الطالع : ما يتعلق بالسعد والنحس . (١٠) النجدة : الشدة والبطش . (١١) العدة : المراد عدة الحرب وهي ادواتها . (١٢) لبثك : اقامتك . (١٣) ظهراني : في وسط . (١٤) المؤاتاة : الملاينة والموافقة .

قال الملك : اصبحت وقد وجدتك صاحب العمل ووجدت غيرك من الوزراء أصحاب اقاويل ليس لها عاقبة حميدة . فقد منّ الله علينا بك منة عظيمة لم نكن قبلها نجد لذة الطعام والشراب ولا النوم ولا القرار . وكان يقال : لا يجد المريض لذة الطعام والنوم حتى يبرأ ، ولا الرجل الشره الذي قد اطمعه سلطانه في مال وعمل في يده حتى ينجزه له ، ولا الرجل الذي ألح[1] عليه عدوه وهو يخافه صباحاً ومساءً حتى يستريح منه قلبه . ومن وضع الحمل الثقيل عن يده أراح نفسه ، ومن أمن عدوه ثلج[2] صدره .

قال الغراب : أسأل الله الذي اهلك عدوك أن يمتعك بسلطانك وان يجعل في ذلك صلاح رعيتك ويشركهم في قرة العين[3] بملكك ، فان الملك إذا لم يكن في ملكه قرة عيون رعيته فمثله مثل زنمة[4] العنز التي يمصها الجدي وهو يحسبها حلمة الضرع[5] فلا يصادف فيها خيراً .

قال الملك : أيها الوزير الصالح ، كيف كانت سيرة البوم وملكها في حروبها وفيما كانت فيه من أمورها ؟ قال الغراب : كانت سيرته سيرة بطر وأشر[6] وخيلاء[7] وعجز وفخر مع ما فيه من الصفات الذميمة ؛ وكل أصحابه ووزارئه شبيه به إلا الوزير الذي كان يشير عليه بقتلي ، فإنه كان حكيماً أريباً فيلسوفاً حازماً قلما يرى مثله في علو الهمة وكمال العقل وجودة الرأي . قال الملك : وأي خصلة كانت ادل على عقله ؟ قال : خلتان ، احداهما رأيه في قتلي ، والأخرى انه لم يكن يكتم صاحبه نصيحة وان استقلها[8] ولم يكن كلامه كلام عنف

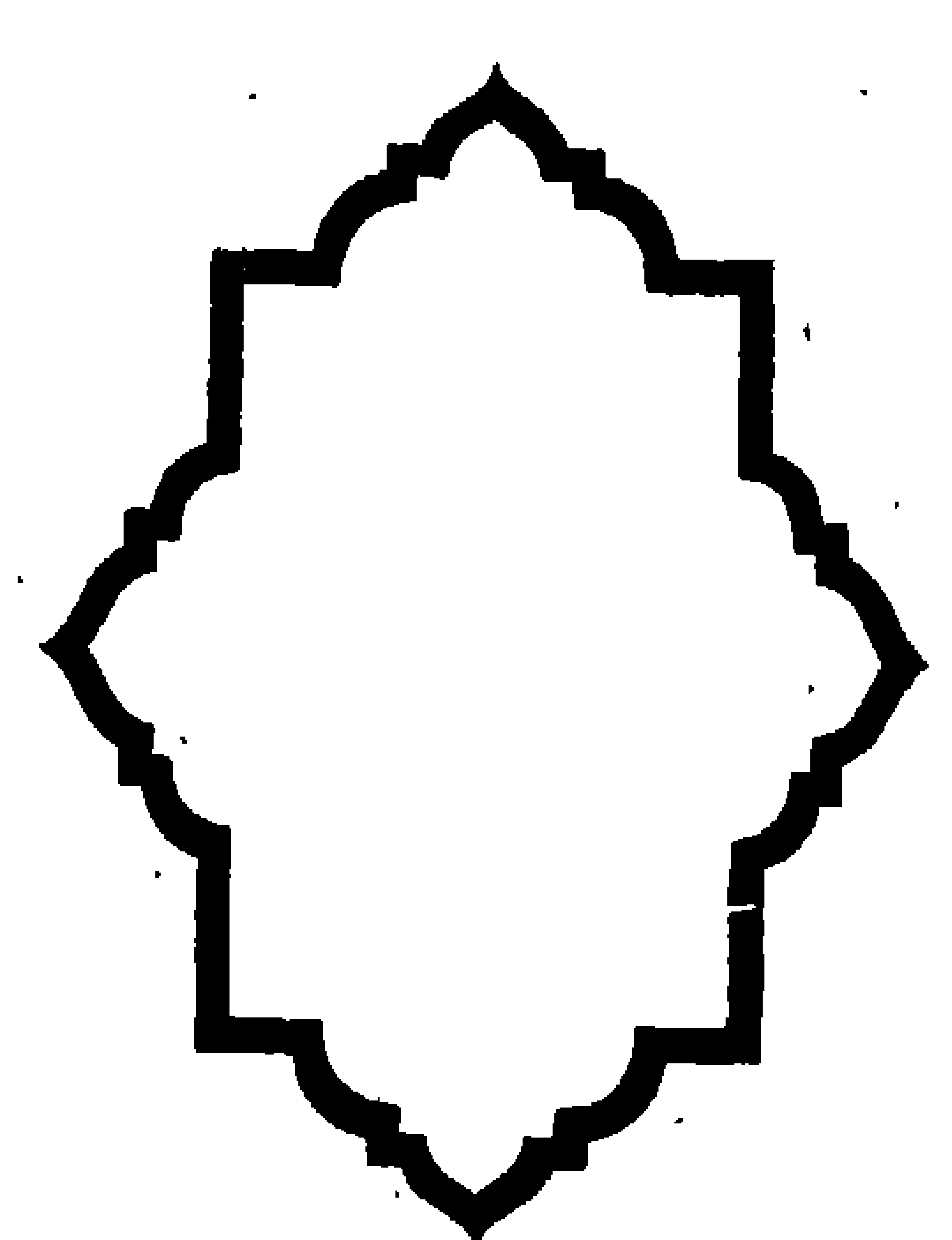
---

(١) ألح : شدد . (٢) ثلج : اطمأن ، وحقيقته برد . (٣) قرة العين : السرور .
(٤) زنمة : قطعة لحم طويلة تتدلى من عنق العنز . (٥) الضرع لذات الظلف : كالثدي للمرأة . (٦) أشر : مرح ، بطر . (٧) خيلاء : زهو ، وكبرياء .
(٨) استقلها : وجدها قليلة .

وقسوة ولكنه كلام رفق ولين حتى إنه ربما اخبره ببعض عيوبه ولا يصرح بحقيقة الحال بل يضرب له الأمثال ويحدثه بعيب غيره فيعرف عيبه فلا يجد ملكه إلى الغضب عليه سبيلاً .

وكان مما سمعته يقول لملكه انه قال : لا ينبغي للملك ان يغفل عن امره فإنه امر جسيم لا يظفر بـه من الناس إلا قليل ولا يدرك الا بالحزم ، فإن الملك عزيز فمن ظفر به فليحسن حفظه وتحصينه . فإنه قد قيل انه في قلة بقائه بمنزلته قلة بقاء الظل عن ورق النيلوفر [1] وهو في خفة زواله وسرعة إقباله وإدباره كالريح ، وفي قلة ثباته كاللبيب [2] مع اللئام ، وفي سرعة اضمحلاله كحباب [3] الماء من وقع المطر .

فهذا مثل أهل العداوة الذين لا ينبغي ان يغتر بهم وإن هم أظهروا توددا وتضرعاً .



(١) النيلوفر : ضرب من الرياحين . (٢) اللبيب : العاقل . (٣) حباب : نفاخات الماء .

الفصل الخامس

القرد والغيلم [1]

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الرجل الذي يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضاعها .

قال الفيلسوف : ان طلب الحاجة أهون من الاحتفاظ بها ، ومن ظفر بالحاجة ثم لم يحسن القيام بها أصابه ما أصاب الغيلم . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

قال بيدبا : زعموا ان قرداً كان ملك القردة يقال له ماهر وكان قد كبر وهرم ؛ فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة فتغلب عليه وأخذ مكانه فخرج هارباً على وجهه حتى انتهى الى الساحل ، فوجد شجرة من شجر التين فارتقى اليها وجعلها مقامه . فبينما هو ، ذات يوم ، يأكل من ذلك التين ، إذ سقطت من يده تينة في الماء فسمع لها صوتاً وإيقاعاً[2] فجعل يأكل ويرمي في الماء فأطربه ذلك فاكثر من تطريح التين في الماء. وثم[3] غيلم ، كلما وقعت تينة اكلها. فلما كثر ذلك ظن ان القرد انما يفعل ذلك لأجله فرغب في مصادقته وأنس اليه وكلمه وألف كل واحد منهما صاحبه .

---

(١) الغيلم: ذكر السلحفاة . (٢) ايقاعاً : من ايقاع الاصوات في الغناء وهو اتفاقها .
(٣) ثم : هناك .

وطـــالت غيبة الغيلم عن زوجته فجزعت[1] عليه وشكت ذلك إلى جارة لهـــا وقالت : قد خفت ان يكون قد عرض له عارض سوء فاغتاله (٢) . فقالت لهـــا : إن زوجك في الساحل قد ألف قرداً وألفه القرد فهو مؤاكله ومشاربه (٣) ، وهو الذي قطعه عنك ولا يقدر ان يقيم عندك حتى تحتالي لهلاك القرد . قـــالت : وكيف أصنع ؟ قالت جارتها : إذا وصل اليك فتمارضي (٤) ، فإذا سألك عن حالك فقولي إن الأطباء وصفوا لي قلب قرد . ثم ان الغيلم انطلق بعد مـــدة إلى منزله فوجد زوجته سيئة الحال مهمومة ، فقال لها : ما لي أراك هكذا ؟ فأجابته جارتها وقالت : ان زوجتك مريضة مسكينة ، وقد وصف لهـــا الأطباء قلب قرد وليس لها دواء سواه . قال الغيلم : هذا امر عسير ، من اين لنا قلب قرد ونحن في الماء ؟ وبقي متحيراً . ثم قال في نفسه : ما لي قدرة على ذلك إلا ان اغدر بخليلي وصاحبي وإثمه[5] عندي شديد ، وأشد من ذلك هلاك زوجتي ، لأن الزوجة الصـــالحة لا يعدلها شيء ، لأنها عون على أمر الدنيا والآخرة .

ثم عـــاد إلى الساحل حزيناً كئيباً مفكراً في نفسه كيف يصنع . فقال له القرد : يا اخي ما حبسك عني ؟ قال له الغيلم : ما حبسني عنك إلا حيائي ، فلم اعرف كيف اكافئك على إحسانك اليّ . واريد ان تتم احسانك الي بزيارتك لي في منزلي فإني ســـاكن في جزيرة طيبة الفاكهة ، فاركب ظهري لأسبح بك ، فان افضل ما يلتمسه المرء من اخلائه ان يغشوا[6] منزله وينالوا من طعـــامه وشرابه ويعرفهم أهله وولده وجيرانه ، وأنت لم تطأ[7] منزلي ولم تذق طعاماً ولا شراباً ، وذلك منقصة وعار علي .

---

(١) جزعت : قلقت . (٢) اغتاله : اهلكه . (٣) مؤاكله ومشاربه : آكل وشارب معه . (٤) تمارضي : اظهري انك مريضة . (٥) اثمه : ذنبه . (٦) يغشوا : يزوروا . (٧) تطأ : تدوس .

قال له القرد : وما يريد المرء من خليله الا ان يبذل له وده ويصفي له قلبه وما سوى ذلك ففضول[1] .

قال الغيلم : نعم ، غير ان الاجتماع على الطعام والشراب آكد[2] للمودة والأنس ، لأنا نرى الدواب اذا اعتلفت معاً ألف بعضها بعضاً . وكان يقال : لا ينبغي للعاقل ان يلج على إخوانه في المسألة ، فإن العجل اذا اكثر مصّ ضرع امه نطحته . فرغب القرد في الذهاب معه حباً وكرامة ، ونزل فركب ظهر الغيلم فسبح به ، حتى اذا تجاوز قليلاً عرض له قبح ما اضمر في نفسه من الغدر .. فنكس رأسه ووقف ، وقال في نفسه : كيف اغدر بخليلي لكلمة قالتها امرأة من الجاهلات ؟ وما ادري ، لعل جارتي قد خدعتني وكذبت بما روت عن الأطباء . فان الذهب يجرب بالنار ، والرجال بالأخذ والعطاء ، والدواب بالحمل والجري ، ولا يقدر احد ان يجرب مكر النساء ولا يقدر على كيدهن وكثرة حيلهن .

فقال له القرد : مالي اراك مهتماً ؟ قال الغيلم إنما همي لأني ذكرت ان زوجتي شديدة المرض ، وذلك يمنعني من كثير مما اريد ان ابلغه من كرامتك وملاطفتك .

قال القرد : ان الذي اعرف من حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلف .

قال الغيلم : أجل[3] . ومضى بالقرد ساعة ثم توقف به ثانية . فساء ظن القرد وقال في نفسه : ما احتباس الغيلم وابطاؤه الا لأمر ، ولست آمناً ان يكون قلبه قد تغير لي وحال[4] عن مودتي فأراد

---

(١) فضول : زيادة بلا فائدة . (٢) آكد : تفضيل من اكده بمعنى اوثقه اي اشد تأكيداً . (٣) اجل : نعم . (٤) حال : بمعنى تغير.

بي سوءاً . فانه لا شيء اخف واسرع تقلباً من القلب . وقد يقال : ينبغي للعاقل الا يغفل عن التماس مـــا في نفس اهله وولده واخوانه وصديقه عند كل امر وفي كل لحظة وكلمة ، وعند القيام والقعود وعلى كل حال ، فان ذلك كله يشهد على ما في القلوب .

وقد قالت العلماء : اذا دخل قلب الصديق من صديقه ريبة فليأخذ بالحزم في التحفظ منه ، وليتفقد ذلك في لحظاته وحالاته ، فان كان مـــا يظن حقاً ظفر بالسلامة ، وان كان باطلاً ظفر بالحزم ولم يضره ذلك .

ثم قال للغيلم : ما يحبسك ؟ وما لي اراك مهتماً كأنك تحدث نفسك مرة اخرى ؟ قال : يهمني انك تأتي منزلي فلا تجـد امري كما احب لأن زوجتي مريضة .

قال القرد : لا تغتم ، فان الغم لا يغني عنك شيئاً ، ولكن التمس ما يصلح زوجتك من الأدوية والأغذية . فانه يقال : ليبذل ذوو المال مـــالهم في اربعة مواضع : في الصدقة ، وفي وقت الحـــاجة ، وعلى البنين ، وعلى الأزواج ، ولا سيما اذا كن صالحات .

قال الغيلم : صدقت . وقـد قالت الأطباء : انه لا دواء لهـــا الا قلب قرد .

فقال القرد في نفسه : واسوأتا[1] ! لقـد ادركني الحرص والشره على كبر سني حتى وقعت في شر ورطة .

ولقد صدق الذي قال : يعيش القانع الراضي مستريحاً مطمئناً وذو الحرص والشره يعيش مـــا عاش في تعب ونصب[2] واني قد احتجت

---

(١) واسوأتا : السوءة الامر القبيح . (٢) نصب : بمعنى التعب .

الآن إلى عقلي في التماس المخرج مما وقعت فيه .

ثم قال للغيلم : وما منعك ، أصلحك الله ، ان تعلمني عند منزلي حتى كنت أحمل قلبي معي ؟ فإن هذه سنة [١] فينا معاشر القردة [٢] إذا خرج احدنا لزيارة صديق له خلف قلبه عند أهله أو في موضعه لننظر إذا نظرنا إلى حرم [٣] المزور وليس قلوبنا معنا .

قال الغيلم : وأين قلبك الآن ؟ قال خلفته في الشجرة ، فإن شئت فارجع بي إلى الشجرة حتى آتيك به . ففرح الغيلم بذلك وقال : لقد وافقني صاحبي بدون ان اغدر به ، ثم رجع بالقرد إلى مكانه . فلما قارب الساحل وثب عن ظهره فارتقى الشجرة . فلما أبطأ على الغيلم ناداه : ياخليلي احمل قلبك وانزل فقد حبستني . فقال القرد : هيهات اتظن اني كالحمار الذي زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب ولا اذنان ؟ قال الغيلم : وكيف كان ذلك ؟

مثل الأسد وابن آوى والحمار

قال القرد : زعموا انه كان اسد في أجة [٤] وكان معه ابن آوى يأكل من فضلات طعامه . فأصاب الأسد جرب وضعف ضعفاً شديداً وجهد فلم يستطع الصيد . فقال له ابن آوى : ما بالك يا سيد السباع قد تغيرت أحوالك ؟ قال : هذا الجرب الذي قد جهدني وليس له دواء الا قلب حمار وأذناه . قال ابن آوى : ما أيسر هذا ، وقد عرفت بمكان كذا حماراً مع قصار [٥] يحمل عليه ثيابه وأنا آتيك به . ثم دلف [٦] الى

---

(١) سنة : طريقة . (٢) القردة : جمع قرد . (٣) حرم : نساء . (٤) اجة : شجر كثير ملتف . (٥) قصار : مبيض الثياب . (٦) دلف : تقدم .

الحمار فأتاه وسلم عليه وقال له : ما لي اراك مهزولاً ؟ قال : لسوء تدبير صاحبي ، فإنه لا يزال يجيع بطني ويثقل ظهري ، ومـا تجتمع هاتان الحالتان على جسم إلا أنحلتاه [١] وأسقمتاه . فقال له : كيف ترضى المقام معه على هذا ؟ قال : ما لي حيلة للهرب منه فلست اتوجه الى جهة الا اضرّ بي إنسان فكدني وأجاعني .

قال ابن آوى : فأنا أدلك على مكان معزول عن النـــاس لا يمر بـــه إنسان ، خصيب المرعى فيه عانة [٢] من الحمر [٣] ترعى آمنة مطمئنة .

قال الحمار : ومـا يحبسنا عنها فانطلق بنا اليها . فانطلق به نحو الأسد وتقدم ابن آوى ودخل الغابة على الأسد فأخبره بمكان الحمار . فخرج اليه واراد ان يثب عليه فلم يستطع لضعفه وتخلص الحمــار منه فأفلت هلعاً [٤] على وجهه . فلما رأى ابن آوى ان الأسد لم يقدر على الحمار قال له : ياسيد السباع أعجزت إلى هذه الغاية [٥] ؟ فقال له : إن جئتني بـــه مرة اخرى فلن ينجو مني أبداً [٦] .فمضى ابن آوى إلى الحمار فقال له : مـــا الذي جرى عليك ؟ إن احد الحمر رآك غريباً فخرج يتلقاك مرحبـــاً بك ، ولو ثبت لآنسك ومضى بك إلى أصحابه .

فلما سمع الحمار ذلك ، ولم يكن رأى أسداً قط صدق مـــا قاله ابن آوى وأخـذ طريقه إلى الأسد . فسبقه ابن آوى إلى الأسد وأعلمه بمكانه وقال له : استعد له فقد خدعته لك فـلا يدركنك

---

(١) انحلتاه : هزلتاه . (٢) عانة : جماعة من الحمير . (٣) الحمر : جمع حمير .
(٤) هلعاً : خائفاً جداً . (٥) الغاية : بمعنى الحد وهنا بمعنى المقصد . (٦) ابداً : ظرف للفعل المصروف للاستقبال ، وقط للماضي .

الضعف [١] في هـذه النوبة [٢] ، فإنه إن أفلت لن يعود معي أبداً ، والفرص لا تصاب في كل وقت .

فجاش جأش [٣] الأسد لتحريض ابن آوى له وخرج إلى موضع الحمار ، فلما بصر به عاجله بوثبة افترسه بها ، ثم قال : لقد ذكرت الأطباء انه لا يؤكل إلا بعد الاغتسال والطهور ، فاحتفظ به حتى اعود فآكل قلبه واذنيه واترك ما سوى ذلك قوتاً لك .

فلما ذهب الأسد ليغتسل عمد ابن آوى الى الحمار فأكل قلبه واذنيه رجاء ان يتطير [٤] منه الأسد فلا يأكل منه شيئاً . ثم ان الأسد رجع إلى مكانه فقال لابن آوى اين قلب الحمار وأذناه ؟ قال ابن آوى : ألم تعلم انه لو كان له قلب يعقل بـه وأذنان يسمع بهما لم يرجع اليك بعد ما أفلت ونجا من الهلكة ؟

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أني لست كذلك الحمار الذي زعم ابن آوى أنـه لم يكن له قلب ولا أذنان . ولكنك احتلت علي وخدعتني فخدعتك بمثل خديعتك واستدركت [٥] فـارط أمري [٦] . وقد قيل إن الذي يفسده الحلم لا يصلحه إلا العلم .

قال الغيلم : صدقت إلا ان الرجل الصالح يعترف بزلته ، وإذا اذنب ذنباً لم يَسْتَحْيِ ان يؤدب لصدقه في قوله وفعله ، وإن وقـع في ورطة أمكنه التخلص منها بحيلته وعقله كالرجل الذي يعثر على الأرض وعليها يعتمد في نهوضه .

فهذا مثل الرجل الذي يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضاعها ..

---

(١) الضعف : بالضم للبدن وبالفتح للعقل . (٢) النوبة : المرة .
(٣) جاش جأشه : هاج . (٤) يتطير : يتشاءم ويعتقد الشر . (٥) استدركت : تلافيت . (٦) فارط امري : ما زلت به .

الفصل السادس

الناسك وابن عرس

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الرجل العجلان [1] في امره من غير روية [2] ولا نظر في العواقب .

قال الفيلسوف : إنه من لم يكن متثبتاً لم يزل نادماً ويصير أمره إلى ما صار اليه الناسك من قتل ابن عرس وقد كان له ودوداً . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

قال الفيلسوف : زعموا ان ناسكاً من النسّاك كان بأرض جرجان وكانت له امرأة صالحة لها معه صحبة . فمكثا زماناً لم يرزقا ولداً ثم حملت بعد الإياس [3] فسرت المرأة وسر الناسك بذلك وحمد الله تعالى وسأله ان يكون الحمل ذكراً . وقال لزوجته أبشري فإني ارجو ان يكون غلاماً فيه لنا منافع وقرة عين ، اختار له احسن الأسماء وأحضر له جميع المؤدبين . فقالت المرأة : ما يحملك ايها الرجل ، على ان تتكلم بما لا تدري ايكون ام لا ؟ ومن فعل ذلك أصابه ما

(١) العجلان : العجول . (٢) روية : اعمال الفكرة . (٣) الاياس : قطع الامل .

أصاب الناسك الذي أهرق على رأسه السمن والعسل . قال لها : وكيف كان ذلك ؟

مثل الناسك وجرة السمن والعسل

قالت : زعموا ان ناسكاً كان يجري عليه من بيت رجل تاجر في كل يوم رزق من السمن والعسل ، وكان يأكل منه قوته وحاجته ويرفع الباقي ويجعله في جرة فيعلقها في وتد في ناحية البيت حتى امتلأت فبينما الناسك ، ذات يوم ، مستلق على ظهره والعكازة في يده والجرة معلقة فوق رأسه تفكر في غلاء السمن والعسل ، فقال : سأبيع ما في هذه الجرة بدينار واشتري به عشر اعنز [1] فيحبلن ويلدن في كل خمسة أشهر مرة ، ولا تلبث إلا قليلاً حتى تصير معزاً كثيراً إذا ولدت أولادها . ثم حرر [2] على هذا النحو بسنين فوجد ذلك اكثر من اربعمئة عنز ، فقال : انا اشتري بها مئة من البقر ، بكل اربعة أعنز ثوراً أو بقرة ، واشتري أرضاً وبذراً [3] وأستاجر أكرة [4] وأزرع على الثيران وانتفع بألبان الإناث ونتائجها فلا تأتي علي خمس سنين إلا وقد أصبت من الزرع مالاً كثيراً فأبني بيتاً فاخراً واشتري إماء [5] وعبيداً وأتزوج امرأة صالحة جميلة فتحمل ثم تأتي بغلام سري [6] نجيب [7] فأختار له احسن الأسماء ، فإذا ترعرع [8] أدبته وأحسنت تأديبه واشدد عليه في ذلك ، فإن قبل مني وإلا ضربته بهذه العكازة . وأشار بيده الى الجرة فكسرها فسال ما فيها على وجهه .

---

(١) اعنز : جمع عنز وهي الانثى من الماعز . (٢) حرر : دقق ؛ وضبط . حرر الكتاب دقق فيه النظر وضبطه وليس كتبه . (٣) بذراً : حباً يبذر . (٤) اكرة : حراثين . (٥) اماء : جمع أمة وهي الجارية السوداء . (٦) سري : شريف . (٧) نجيب : كريم . (٨) ترعرع : نشأ وكبر .

وإنما ضربت لك هذا المثل لكي لا تعجل بذكر ما لا ينبغي ذكره وما لا تدري أيصح ام لا يصح . ولكن ادع ربك وتوسل اليه وتوكل عليه ، فإن التصاوير في الحائط إنما هي ما دام بناؤه قائماً فإذا وقع وتهدم لم يقدر عليها . فاتعظ الناسك بما حكت زوجته . ثم ان المرأة ولدت غلاماً جميلاً ففرح به أبوه ، وبعد ايام حان لها ان تغتسل ، فقالت المرأة للناسك : اقعد عند ابنك حتى أذهب إلى الحمام فاغتسل وأعود . ثم إنها انطلقت الى الحمام وخلفت زوجها والغلام . فلم يلبث ان جاء رسول الملك يستدعيه ولم يجد من يخلفه عند ابنه غير ابن عرس داجن [١] عنده كان قد رباه صغيراً فهو عنده عديل ولده . فتركه الناسك عند الصبي وأغلق عليهما البيت وذهب مع الرسول . فخرج من بعض اجحار البيت حية سوداء فدنت من الغلام فضربها ابن عرس فوثبت عليه فقتلها ثم قطعها وامتلأ فمه من دمها . ثم جاء الناسك وفتح الباب فالتقاه ابن عرس كالمشير له بما صنع من قتل الحية . فلما رآه ملوثاً بالدم وهو مذعور طار عقله وظن انه قد خنق ولده ولم يتثبت [٢] في امره ولم يترو فيه حتى يعلم حقيقة الحال ويعمل بغير ما ظن من ذلك ، ولكن عجل على ابن عرس وضربه بعكازة كانت في يده على ام رأسه [٣] فمات .

ودخل الناسك فرأى الغلام سليماً حياً وعنده اسود [٤] مقطع . فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله في العجلة لطم على رأسه وقال : ليتني

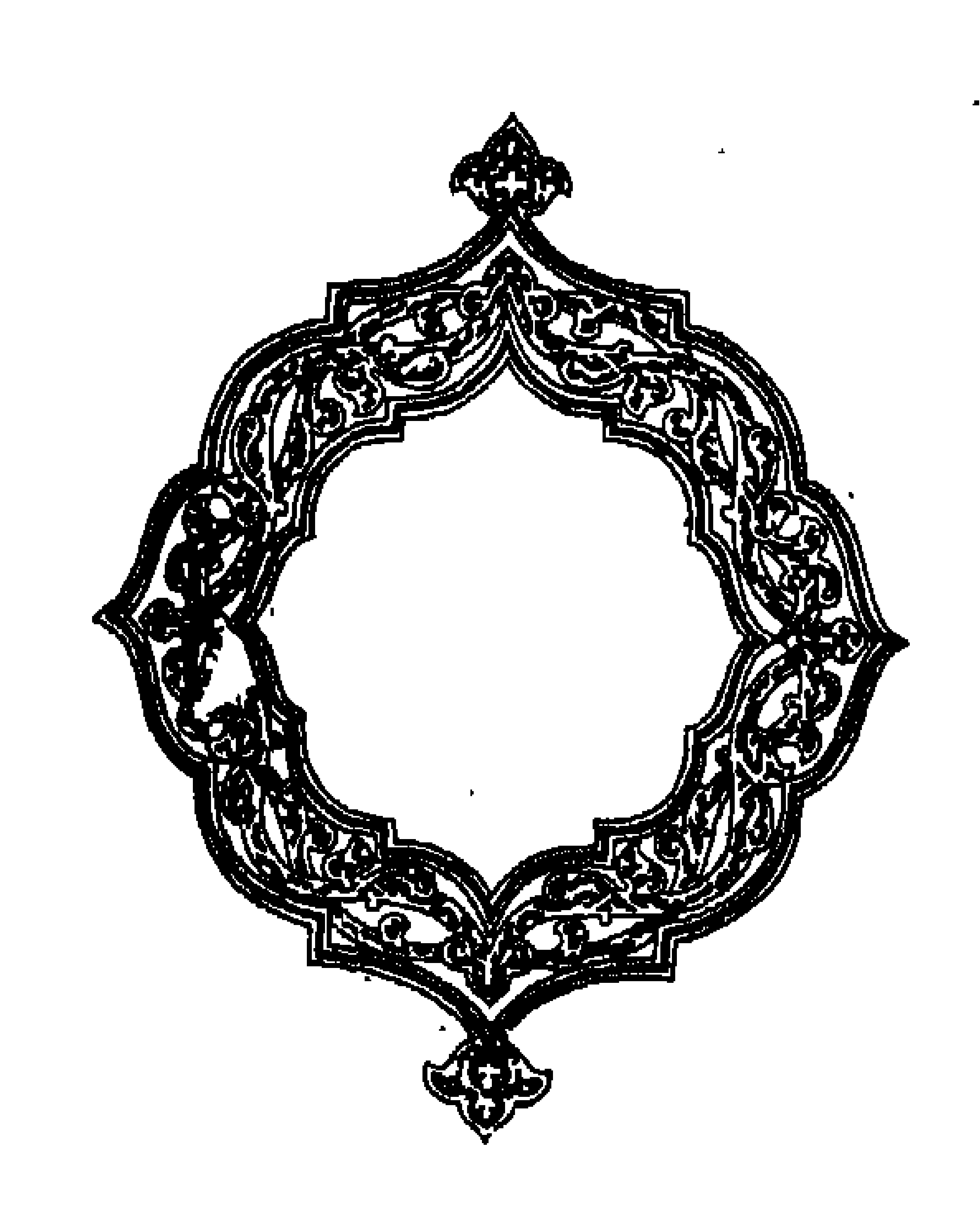
---

(١) داجن : اليف . (٢) يتثبت : يتأكد . (٣) ام رأسه : دماغه .

(٤) اسود : حية كبيرة

لم أرزق هذا الولد ولم اغدر هذا الغدر . ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحال فقالت له : ما شأنك ؟ فأخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له ، فقالت : هـذه ثمرة العجلة لأن الأمر إذا فرط [1] مثل الكلام إذا خرج والسهم إذا مرق [2] ، لا مرد له .

فهذا مثل من لا يتثبت في أمره ، بل يفعل أغراضه بالسرعة .



(١) فرط : جرى . (٢) مرق: نفذ في الرمية .

الفصل السابع

الجرذ والسنور [1]

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل رجل كثر أعداؤه وأحدقوا [2] به من كل جانب فأشرف معهم على الهلاك فالتمس النجاة والمخرج بموالاة [3] بعض أعدائه ومصالحته فسلم من الخوف وأمن ، ثم وفى لمن صالحه منهم . وأخبرني عن موضع الصلح وكيف ينبغي ان يكون ؟

قال الفيلسوف : إن المودة والعداوة لا تثبتان على حالة أبداً وربما حالت [4] المودة الى العداوة وصارت العداوة ولاية [5] وصداقة . ولهذا حوادث وعلل وتجارب ، وذو الرأي يحدث لكل مـا يحدث من ذلك رأياً جديداً امـا من قبل العدو فبالبأس [6] وأمـا من قبل الصديق فبالاستئناس . ولا تمنع ذا العقل عـداوة كانت في نفسه لعدوه من مقاربته والاستنجاد به على دفع مرهوب او جر مرغوب ومن عمل في ذلك بالحزم ظفر بحاجته . ومثل ذلك مثل الجرذ والسنور حين وقعا

---

(١) السنور : الهر .   (٢) احدقوا : احاطوا .   (٣) موالاة : مصادقة .
(٤) حالت : تغيرت .   (٥) ولاية : نصرة ومحبة .   (٦) البأس : الشدة .

في الورطة فنجوا باصطلاحهما جميعاً من الورطة والشدة . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

قال بيدبا : زعموا ان شجرة عظيمة كان في أصلها جحر سنور يقال له : رومي . وكان قريباً منه جحر جرذ يقال له : فريدون . وكان الصيادون كثيراً ما يتداولون [1] ذلك المكان يصيدون فيه الوحش والطير . فأتى ، ذات يوم ، صياد فنصب حبالته [2] قريباً من موضع رومي ، فلم يلبث ان وقع فيها ، فخرج الجرذ يدب ويطلب ما يأكل وهو حذر من رومي . فبينما هو يسعى إذ بصر به في الشرك فسر واستبشر ، ثم التفت فرأى خلفه ابن عرس يريد اخذه ، وفي الشجرة بوم يريد اختطافه ، فتحير في امره وخاف إن رجع وراءه اخذه ابن عرس ، وإن ذهب يميناً او شمالاً اختطفه البوم ، وإن تقدم امامه افترسه السنور . فقال في نفسه : هذا بلاء قد اكتنفني ، وشرور تظاهرت [3] علي ، ومحن قد أحاطت بي ؛ وبعد ذلك فمعي عقلي فلا يفزعني أمري ، ولا يهولني [4] شأني ، ولا يلحقني الدهش [5] ، ولا يذهب قلبي شعاعاً [6] . فالعاقل لا يفرق [7] عند سداد [8] رأيه ولا يعزب [9] عنه ذهنه على حال . وإنما العقل شبيه بالبحر الذي لا يدرك غوره [10] ؛ ولا يبلغ البلاء من ذي الرأي مجهوده [11] فيهلكه ؛ وتحقق الرجاء لا ينبغي ان يبلغ منه مبلغاً يبطره ويسكره فيعمى [12] عليه أمره . لست أرى لي من هذا البلاء مخلصاً إلا مصالحة السنور فإنه قد نزل به من البلاء مثل ما قد نزل بي او بعضه . ولعلنا ان

---

(١) يتداولون ذلك المكان : يأتونه مراراً . (٢) حبالته : شركه .
(٣) تظاهرت : تعاونت . (٤) يهولني : يفزعني . (٥) الدهش : الحيرة .
(٦) شعاعاً : متفرقاً . (٧) يفرق : يخاف . (٨) سداد : اصابة . (٩) يعزب : يبعد . (١٠) غوره : قعره . (١١) مجهوده : غايته . (١٢) يعمى : يلتبس .

سمع كلامي الذي أكلمه به ووعى[1] عني صحيح خطابي ومحض[2] صدقي الذي لا خلاف فيه ولا خداع معه ففهمه وطمع في معونتي إياه ، نخلص جميعاً .

ثم ان الجرذ دنا من السنور فقال له : كيف حـــالك ؟ قال له السنور : كما تحب ، في ضنك[3] وضيق . قال : وأنا اليوم شريكك في البلاء . ولست ارجو لنفسي خلاصاً إلا بالذي أرجو لك فيه الخلاص . وكلامي هذا ليس فيه كذب ولا خديعة . وابن عرس هـا هو كامن لي والبوم يرصدني وكلاهما لي ولك عدو .. وإني وإياك وإن كنا مختلفي الطباع لكننا متفقا الحـــالة ، والذين حالتهم واحدة وطباعهم مختلفة تجمعهم الحالة وإن فرقتهم الطباع . فإن أنت جعلت لي الأمان قطعت حبائلك وخلصتك من هـذه الورطة ، فإن كان ذلك تخلص كل واحد منا بسبب صاحبه ، كالسفينة والركاب في البحر فبالسفينة ينجون وبهم تنجو السفينة .

فلما سمع السنور كلام الجرذ وعرف أنه صادق قال له : إن قولك هذا لشبيه بالحق ، وانا ايضاً راغبٌ فيما ارجو لك ولنفسي به الخلاص ، ثم إني ان فعلت ذلك سأشكرك ما بقيت .

قال الجرذ : فاني سأدنو منك فأقطع الحبائل كلهـا إلا حبلاً واحد أبقيه لأستوثق لنفسي منك . واخذ في تقريض حبائله . ثم ان البوم وابن عرس لما رأيا دنو الجرذ من السنور ايسا[4] منه وانصرفا . ثم ان الجرذ ابطأ على رومي في قطع الحبائله ، فقال له : مالي لا اراك جاداً في قطع حبائلي ، فان كنت قد ظفرت بحاجتك فتغيرت عما كنت عليه

(١) وعى : حفظ اي فهم . (٢) محض : خالص . (٣) الضنك : الضيق .
(٤) ايسا : قطعا الامل .

وتوانيت[1] في حاجتي فما ذلك من فعل الصالحين ، فإن الكريم لا يتوانى في حق صاحبه . وقد كان لك في سابق مودتي من الفائدة والنفع ما قد رأيت وأنت حقيق (١) ان تكافئني بذلك ولا تذكر العداوة التي بيني وبينك فالذي بيني وبينك من الصلح حقيق ان ينسيك ذلك مع ما في الوفاء من الفضل والاجر ، وما في الغدر من سوء العاقبة ، فان الكريم لا يكون الا شكوراً غير حقود تنسيه الخلة (٢) الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة . وقد يقال : ان اعجل العقوبة عقوبة الغدر ، ومن إذا تضرع اليه وسئل العفو فلم يرحم ولم يعف فقد غدر .

قال الجرذ : ان الصديق صديقان : طائع ومضطر ، وكلاهما يلتمسان المنفعة ويحترسان من المضرة ، فأما الطائع فيسترسل[3] إليه ويؤمن في جميع الأحوال ، وأما المضطر ففي بعض الأحوال يسترسل إليه وفي بعضها يتحذر منه . ولا يزال العاقل يرتهن منه بعض حاجاته لبعض ما يتقي ويخاف ، وليس غاية التواصل من كل من المتواصلين إلا طلب عاجل النفع وبلوغ مأموله . وأنا واف لك بما وعدت ومحترس منك مع ذلك من حيث اخافك تخوف ان يصيبني منك ما الجأني خوفه الى مصالحتك والجأك الى قبول ذلك مني ، فإن لكل عمل حيناً ، فما لم يكن منه في حينه فلا حسن لعاقبته . وأنا قاطع حبائلك كلها غير اني تارك عقدة ارتهنك بها ، ولا اقطعها الا في الساعة التي اعلم انك فيها عني مشغول وذلك عند معاينتي الصياد . ثم ان الجرذ اخذ في قطع حبائل السنور . فبينا هو كذلك اذ وافى الصياد ، فقال له السنور : الآن جاء وقت الجد في قطع حبائلي . فجهد الجرذ نفسه في القرض حتى اذا فرغ وثب السنور الى الشجرة على دهش (٤) من الصياد ودخل وكره .

---

(١) حقيق : اهل . (٢) الخلة : الخصلة . (٣) يسترسل : يطمأن .
(٤) دهش : حيرة .

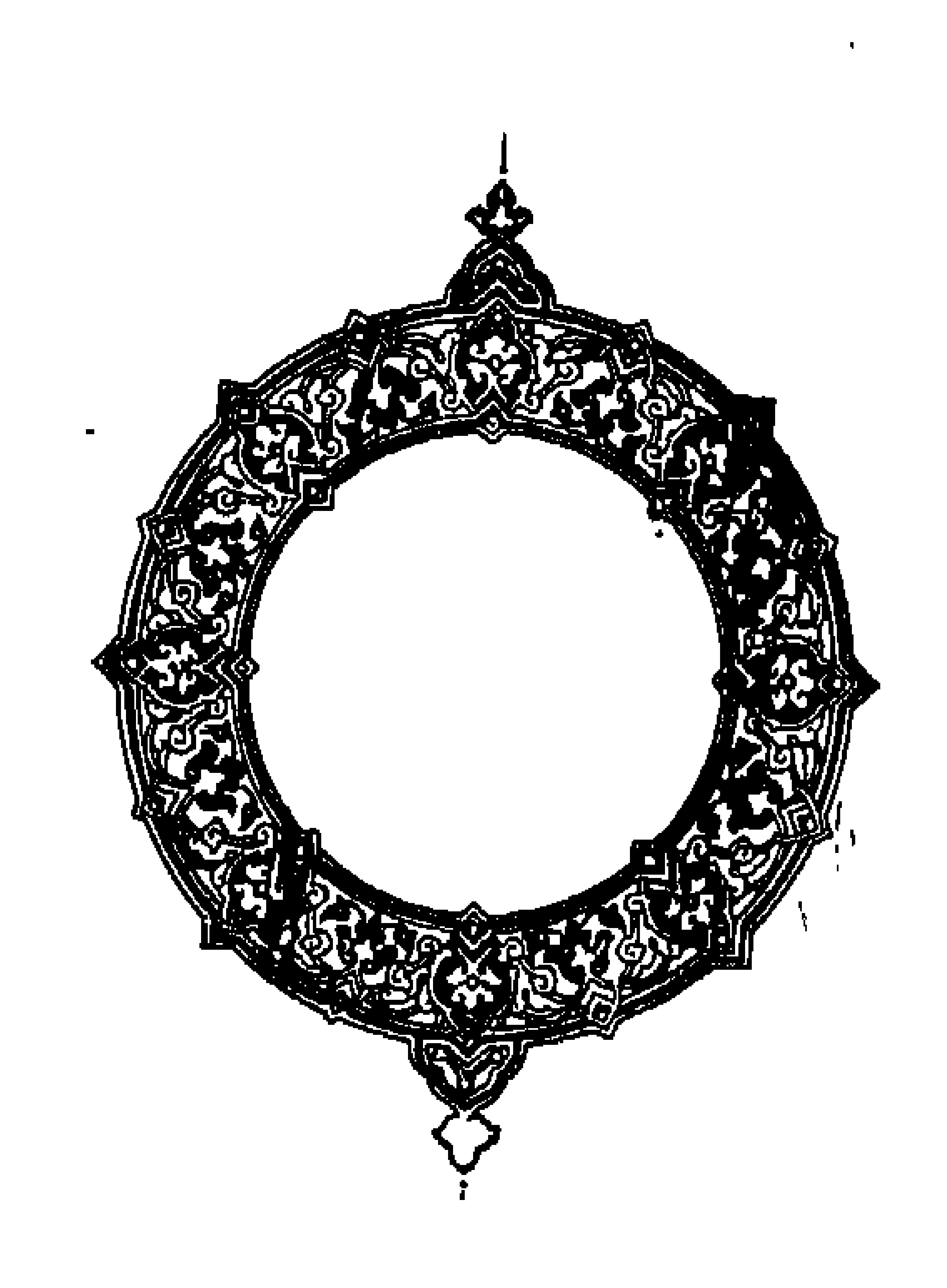
ثم إن الجرذ خرج بعد ذلك من وكره خائفاً أن يدنو من السنور ، فناداه : أيها الصديق الناصح ذو البلاء [1] الحسن عندي، ما منعك من الدنو إلي لأجازيك بأحسن ما أسديت [2] إلي . هلم إلي ولا تقطع إخائي ، فإنه من اتخذ صديقاً وقطع إخاءه وأضاع صداقته حرم ثمرة إخائه وأيس من نفعه الإخوان والأصدقاء. وإن يدك [3] عندي لا تنسى وأنت حقيق أن تلتمس مكافأة ذلك مني ومن إخواني واصدقائي ولا تخاف مني شيئاً . واعلم ان ما قبلي [4] لك مبذول . ثم حلف واجتهد على صديقه فيما قال . فناداه الجرذ : رب صداقة ظاهرة باطنها عداوة كامنة وهي أشد من العداوة الظاهرة ! ومن لم يحترس منها وقع موقع الرجل الذي يركب ناب الفيل الهائج ثم يغلبه النعاس فيستيقظ تحت فراسن [5] الفيل فيدوسه ويقتله . وإنما سمي الصديق صديقاً لما يرجى من صدقه ونفعه ، وسمّي العدو عدواً لما يخاف من اعتدائه وضرره. والعاقل إذا رجا نفع العدو أظهر له الصداقة ، وإذا خاف ضر الصديق أظهر له العداوة . ألا ترى تتبع البهائم أماتها [6] رجاء ألبانها ، فإذا انقطع ذلك انصرفت عنها . وربما قطع الصديق من صديقه بعض ما كان يصله [7] منه فلم يخف شره لأن اصل امره لم يكن عداوة . فأما من كان اصل امره عداوة جوهرية ثم احدث صداقة لحاجة حملته على ذلك، زالت صداقته فتحولت وصارت إلى أصل امره، كالماء الذي يسخن بالنار ، فإذا رفع عنها عاد بارداً . وليس من اعدائي عدو اضرّ لي منك ، وقد اضطرني وإياك حاجة إلى ما احدثنا من المصالحة ، وقد ذهب الأمر الذي احتجت إلي واحتجت إليك فيه ، وأخاف أن يكون مع ذهابه عود العداوة . ولا خير للضعيف في قرب العدو القوي ، ولا للذليل في قرب العدو العزيز . ولا أعلم لك

---

(١) البلاء : الاختبار والامتحان . (٢) اسديت : قدمت واحسنت .
(٣) يدك : هنا بمعنى نعمتك . (٤) قبلي : عندي .
(٥) فراسن : جمع فرسن وهو الجمل والفيل كالقدم للانسان .
(٦) يقال امات للبهائم ولغيرها مما لا يعقل ، وامهات للعاقل .
(٧) وصله : اعطاه ، ووصل اليه : بلغه .

قبلي حاجة إلا ان تكون تريد أكلي ، ولا اعلم لي قبلك حاجة وليس عندي بك ثقة . فإني قد علمت ان الضعيف المحترس [١] من العدو القوي اقرب إلى السلامة من القوي إذا اغتر بالضعيف واسترسل إليه . والعاقل يصالح عدوه إذا اضطر إليه ويصانعه [٢] ويظهر له وده ويريه من نفسه الاسترسال [٣] اليه إذا لم يجد من ذلك بدأ ، ثم يعجل الانصراف عنه حين يجد إلى ذلك سبيلاً .

واعلم ان سريع الاسترسال لا تقال عثرته [٤] ، والعاقل يفي لمن صالحه من اعدائه بما جعل له من نفسه ولا يثق به كل الثقة ولا يأمنه على نفسه مع القرب منه وينبغي ان يبعد عنه ما استطاع . وأنا اودك من بعيد وأحب لك من البقاء والسلامة ما لم أكن أحبه لك من قبل ، وليس عليك ان تجازيني من صنيعي إلا بمثل ذلك إذ لا سبيل الى اجتماعنا والسلام.



---

(١) المحترس : المتحفظ المتوقي .
(٢) يصانعه : يحاسنه ويداريه .
(٣) الاسترسال : الثقة والتسليم .
(٤) لا تقال عثرته : لا ينهض من سقطته .

الفصل الثامن

الملك والطائر فنزة

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل أهل الترات [1] الذين لا بد لبعضهم من اتقاء بعض .

قال بيدبا : زعموا أن ملكاً من ملوك الهند كان يقال له بريدون ، وكان له طائر يقال له فنزة وكان له فرخ . وكان هذا الطائر وفرخه ينطلقان بأحسن منطلق ، وكان الملك بهما معجباً فأمر بهما أن يجعلا عند امرأته وأمرها بالمحافظة عليهما . واتفق ان امرأة الملك كانت حاملاً فولدت غلاماً فألف الفرخ الغلام وكلاهما طفلان يلعبان جميعاً . وكان فنزة يذهب كل يوم إلى الجبل فيأتي بفاكهة لا تعرف فيطعم ابن الملك شطرها [2] ويطعم فرخه شطرها . فأسرع ذلك في نشأتهما وشبابهما وبان عليهما أثره عند الملك فازداد لفنزة إكراماً وتعظيماً ومحبة حتى إذا كان يوم من الايام وفنزة غائب في اجتناء الثمرة وفرخه في حجر [3] الغلام حدث من الفرخ ما أغضب الغلام فأخذه فضرب به الأرض فمات .

---

(١) الترات : جمع ترة مصدر وتر ، الثارات والعداوات .

(٢) شطرها : نصفها . (٣) حجر : حضن .

ثم إن فنزة أقبل فوجد فرخه مقتولاً فصاح وحزن وقال : قبحاً للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء . ويل لمن ابتلي بصحبة الملوك الذين لا ذمة لهم ولا حرمة [١] ، ولا يحبون أحداً ولا يكرم عليهم إلا إذا طمعوا فيما عنده من عناء [٢] واحتاجوا إلى ما عنده من علم فيكرمونه لذلك ، فإذا ظفروا بحاجتهم منه فلا ود ولا إخاء ولا إحسان ولا غفران ذنب ولا معرفة حق . هم الذين أمرهم مبني على الرياء والفجور وهم يستصغرون ما يرتكبونه من عظيم الذنوب ويستعظمون اليسر إذا خولفت فيه أهواؤهم ، ومنهم هذا الكفور [٣] الذي لا رحمة له الغادر بإلفه وأخيه . ثم وثب في شدة حنقه على وجه الغلام ففقأ عينيه ، ثم طار فوقف على شرفة المنزل .

وبلغ الملك ذلك فجزع [٤] أشد الجزع ثم طمع ان يحتال له فيهلكه . فركب من ساعته وتوجه إلى ناحية الطائر حتى وقف قريباً منه وناداه وقال له : إنك آمن فانزل يا فنزة . فقال له : ايها الملك ، إن الغادر مأخوذ بغدره ، وإنه إن اخطأه عاجل العقوبة لم يخطئه الآجل [٥] حتى إنه يدرك الأعقاب [٦] واعقاب الاعقاب . وإن ابنك غدر بابني فعجلت له العقوبة . قال الملك : قد لعمري [٧] غدر ابني بابنك وقد تناصفنا [٨] جميعاً فليس لك قبلنا [٩] وليس لنا قبلك وتر [١٠] مطلوب فارجع إلينا آمناً ولا تخف . قال فنزة : لست براجع إليك أبداً فإن ذوي

---

(١) حرمة : عهد . (٢) غناء : منفعة . (٣) الكفور : الجاحد النعمة .
(٤) جزع : قلق . (٥) الآجل : خلاف العاجل . (٦) الاعقاب : الخلفاء .
(٧) لعمري : قسماً بعمري . (٨) تناصفنا : انصف كل منا الآخر من نفسه .
(٩) قبلنا : أي عندنا (١٠) وتر : ثأر .

الرأي قد نهوا عن قرب الموتور[1] ، فإنه لا يزيدك لطف الحقود ولينه وتكرمته إياك إلا وحشة منه وسوء ظن به . فانك لا تجد للحقود الموتور أماناً هو أوثق لك من الذعر منه ولا أجود من البعد عنه ، والاتقاء له اولى . وقد كان يقال : إن العاقل يعد أبويه اصدقاء والاخوة رفقاء ، والأزواج ألفاء[2] ، والبنين ذكراً ، والبنات خصماء ، والأقارب غرماء ، ويعد نفسه فريداً وحيداً . وأنا الفريد الوحيد ، الغريب الطريد قد تزودت من عندكم عبئاً ثقيلاً لا يحمله معي احد ، وأنا ذاهب فعليك مني السلام .

قال له الملك : إنك لو لم تكن قد اجتزيت[3] منا فيما صنعناه بك أو كان صنيعك بنا من غير ابتداء منا بالغدر كان الأمر كما ذكرت ؛ وأما إذ كنا نحن قد بدأناك فما ذنبك وما الذي يمنعك من الثقة بنا ، هلم فارجع ، فإنك آمن .

قال فنزة : أعلم أن الاحقاد لها في القلوب مواضع ممكنة موجعة ، فالألسن لا تصدق في خبرها عن القلوب ، والقلب أعدل شهادة على اللسان من اللسان على القلب ، وقد علمت أن قلبي لا يشهد للسانك بصدقه ولا قلبك للساني .

قال الملك : ألا تعلم أن الضغائن[4] والأحقاد تكون بين كثير من الناس ؟ فمن كان ذا عقل كان على إماتة الحقد أحرص منه على تربيته .

قال فنزة : إن ذلك لكما ذكرت ، ولكن لا ينبغي لذي الرأي مع ذلك أن يظن أن الموتور الحقود ناس ما وتر به أو مصروف عنه ، وذو الرأي يتخوف المكر والخديعة والحيل ويعلم أن كثيراً من العدو

---

(١) الموتور : من قتل له قتيل ولم يؤخذ بثأره .
(٢) الالفاء : جمع اليف أي خليط وعشير . (٣) اجتزيت : اخذت الجزاء .
(٤) الضغائن : الاحقاد .

لا يستطاع بالشدة والمكابرة [1] حتى يصاد بالرفق والملاينة كما يصاد الفيل الوحشي بالفيل الداجن .

قال الملك : إن العاقل الكريم لا يترك إلفه ولا يقطع إخوانه ولا يضيع الحفاظ [2] ، وإن هو خاف على نفسه، حتى إن هذا الخلق يكون في أوضع الدواب منزلة . فقد علمت أن اللعابين يلعبون بالكلاب ثم يذبحونها ويأكلونها ، ويرى الكلب الذي قد ألفهم ذلك فيمنعه من مفارقتهم ألفته إياهم .

قال فنزة : إن الأحقاد مخوفة حيث كانت وأخوفها وأشدها ما كان في انفس الملوك، فإن الملوك يدينون [3] بالانتقام ويرون الدرك [4] والطلب بالوتر مكرمة وفخراً . وأن العاقل لا يغتر بسكون الحقد إذا سكن ، فإنما مثل الحقد في القلب إذا لم يجد محركاً مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطباً ، فليس ينفك الحقد مطلعاً [5] إلى العلل [6] كما تبتغي النار الحطب ، فإذا وجد علة استعر [7] استعار النار فلا يطفئه حسن كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تضرع ولا مصانعة [8] ولا شيء دون تلف الأنفس وذهاب الأرواح ، مع أنه رب واتر يطمع في مراجعة الموتور لما يرجو أن يقدر عليه من النفع له والدفع عنه . ولكني أنا أضعف من أن أقدر على شيء يذهب به ما في نفسك . وبعد فلو كانت نفسك لي على ما تقول ما كان ذلك عني مغنياً [9] أيضاً ، ولا أزال في خوف ووحشة وسوء ظن ما اصطحبنا . فليس الرأي بيني وبينك إلا الفراق وأنا أقرأ عليك السلام [10] .

---

(١) المكابرة : المعاندة والمغالبة . (٢) الحفاظ : المحافظة . (٣) يدينون : من الدين اي يجعلون دينهم الانتقام . (٤) الدرك : الادراك . (٥) مطلعاً : متجهاً .
(٦) العلل جمع علة : الاسباب . (٧) استعر : اضطرم . (٨) مصانعة : مداراة ومداهنة . (٩) مغنياً : مانعاً . (١٠) اقرأ عليك السلام : ابلغك اياه .

قال الملك : لقد علمت أنه لا يستطيع أحد لأحد ضراً ولا نفعاً ، وأنه لا شيء من الأشياء صغيراً ولا كبيراً يصيب أحداً إلا بقضاء وقدر معلوم ؛ وكما أن خلق ما يخلق وولادة ما يولد وبقاء ما يبقى ليس للخلائق منه شيء ، كذلك فناء ما يفنى وهلاك ما يهلك . وليس لك في الذي فعلت بابني ذنب ولا لابني فيما صنع بابنك ذنب ، إنما كان ذلك كله قدراً مقدوراً وكلانا له علة وسبب ، فلا تؤاخذ بما أتانا به القدر .

قال فنزة : إن القدر لكما ذكرت ، لكن لا يمنع ذلك الحازم من توقي المخاوف والاحتراس من المكاره ، وإلا كان المريض غير مصيب في طلبه الطبيب وكان أهل المصائب يتركون النظر فيما فيه الفرج لهم . ولا ينفع الحذر والاحتراس مع القضاء ، لكن العاقل يجمع مع التصديق بالقدر الاخذ بالحزم والقوة لعل ما يستسلم[1] إليه لا يكون مقدوراً عليه . وأنا أعلم انك تكلمني بغير ما في نفسك ، والامر بيني وبينك غير صغير لأن ابنك قتل ابني وأنا فقأت عين ابنك ، وأنت تريد ان تشتفي بقتلي وتختلني[2] عن نفسي والنفس تأبى الموت .

وقد كان يقال : الفاقة[3] بلاء والحزن بلاء وقرب العدو بلاء وفراق الأحبة بلاء والسقم بلاء والهرم بلاء[4] ورأس البلايا كلها الموت . وليس احد بأعلم بما في نفس الموجع الحزين ممن ذاق مثل ما به ، فأنا مما في نفسي عالم بما في نفسك للمثل الذي عندي من ذلك ولا خير لي في صحبتك ، فإنك لن تتذكر صنيعي بابنك ولن أتذكر صنيع ابنك بابني إلا أحدث ذلك لقلوبنا تغييراً .

قال الملك : لا خير في من لا يستطيع الإعراض عما في نفسه ولا ينساه ويهمله بحيث لا يذكر منه شيئاً ولا يكون له في نفسه موقع .

---

(١) يستسلم : ينقاد . (٢) تختلني : تخدعني . (٣) الفاقة : الفقر .
(٤) الهرم: الشيخوخة .

قال فنزة : إن الرجل الذي في باطن قدمه قرحه إن هو حرص على المشي لا بد أن تنكأ[1] قرحته ، والرجل الأرمد العين إذا استقبل بها الريح تعرض لأن تزداد رمداً ، وكذلك الواتر إذا دنا من الموتور فقد عرض نفسه للهلاك . ولا ينبغي لصاحب الدنيا إلا توقي المهالك والمتالف[2] وتقدير الأمور وقلة الاتكال على الحول[3] والقوة وقلة الاغترار بمن لا يأمن . فإنه من اتكل على قوته فحمله ذلك على أن يسلك الطريق المخوف فقد سعى في حتف[4] نفسه ، ومن لا يقدر لطاقته طعامه وشرابه وحمل نفسه ما لا تطيق ولا تحمل فقد قتل نفسه ، ومن لم يقدر لقمته وعظمها فوق ما يسع فوه فربما غصّ بها فمات . ومن اغتر بكلام عدوه وانخدع له وضيع الحزم فهو اعدى[5] لنفسه من عدوه . وليس لأحد النظر في القدر الذي لا يدري ما يأتيه منه ولا ما يصرف عنه ، ولكن عليه العمل بالحزم والأخذ بالقوة ومحاسبة نفسه في ذلك . والعاقل لا يثق بأحد ما استطاع ولا يقيم على خوف يجد عنه مذهباً . وأنا كثير المذاهب وأرجو ألا أذهب وجهاً إلا أصبت فيه ما يغنيني ، فإن خلالاً[6] خمساً من تزودهن كفينه في كل وجه وآنسنه في كل غربة وقربن له البعيد واكسبنه المعاش والاخوان : أولاهن كف الأذى ، والثانية حسن الادب ، والثالثة مجانبة الريب ، والرابعة كرم الخلق ، والخامسة النبل في العمل . وإذا خاف الإنسان على نفسه شيئاً طابت نفسه عن المال[7] والأهل والولد والوطن فإنه يرجو الخلف من ذلك كله ولا يرجو عن النفس خلفاً . وشر المال ما لا إنفاق منه ، وشر الأزواج التي لا تؤاتي[8] بعلها ، وشر الولد العاصي العاق لوالديه[9] ، وشر الإخوان[10]

---

(١) تنكأ : تقشر . (٢) المتالف : بمعنى المهالك . (٣) الحول : القدرة .
(٤) حتف : هلاك . (٥) اعدى : تفضيل من العداوة . (٦) خلال : صفات .
(٧) طابت نفسه عنه : تخلى عنه غير آسف . (٨) تؤاتي : تطاوع وتلاين .
(٩) عاق والديه : الذي لا يفيهما حق التربية . (١٠) الاخوان : الاصدقاء .

الخاذل[1] لأخيه عند النكبات والشدائد والذي يحصي[2] السيئات ويترك الحسنات وشر الملوك الذي يخافه البريء ولا يواظب على حفظ أهل مملكته، وشر البلاد بلاد لا خصب فيها ولا أمن . لا أمن لي عندك، ايها الملك ، ولا طمأنينة لي في جوارك . ثم ودع الملك وطار .

فهذا مثل ذوي الأوتار الذي لا ينبغي لبعضهم أن يثق ببعض .



(١) الخاذل : الغير الناصر .　　(٢) يحصي : يعد .

الفصل التاسع

الأسد وابن آوى الناسك

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الملك الذي يراجع من أصابته منه عقوبة من غير جرم أو جفوة[1] من غير ذنب .

قال الفيلسوف : إن الملك لو لم يراجع من أصابته منه جفوة عن ذنب أو غير ذنب ظلم أو لم يظلم لأضرّ ذلك بالأمور ، ولكن الملك حقيق أن ينظر في حال من ابتلي بذلك ويخبر[2] ما عنده من المنافع ، فإن كان ممن يوثق به في رأيه وأمانته فإن الملك حقيق بالحرص على مراجعته . فإن الملك لا يستطاع ضبطه إلا مع ذوي الرأي وهم الوزراء والأعوان ، ولا ينتفع بالوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة ، ولا مودة ولا نصيحة إلا لذوي الرأي والعفاف . وأعمال السلطان كثيرة والذين يحتاج إليهم من العمال والأعوان كثيرون . ومن يجمع منهم ما ذكرت من النصيحة والعفاف قليل . فيجب عليه أن يخبر وزراءه وذوي رأيه ويرى ما عند كل واحد منهم من الرأي والتدبير وما ينطوي عليه ، فإذا استقر ذلك عنده جعل لكل واحد منهم ما يصلح

(١) جفوة : نفور وابتعاد .   (٢) يخبر : يختبر .

أن يفكر فيه ويدبره ، وأن لا يوجه إلى الأعمـــال إلا من يثق بدينه وامــانته وعفته . ثم عليه بعد ذلك إنفاذ[١] من يثق به للكشف عن اعمالهم وتفقد أمورهم بالسر الخفي حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء ، فإن لم يفعل ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفي عرض[٢] ذلك تهلك الرعية ويفســد الملك والمثل في ذلك مثل الأسد وابن آوى الناسك . قال الملك وكيف كان ذلك ؟

قال الفيلسوف : زعموا أن ابن آوى كان يسكن في بعض الدحال[٣] وكان متزهداً متعففاً مــع بنات آوى وذئاب وثعـــالب ، ولم يكن يصنع ما يصنعن ولا يغير[٤] كما يغرن ولا يهريق[٥] دماً ولا يأكل لحماً ولا يظلم طرفة عـــين . فخاصمه تلك السباع[٦] وقلن : نحن لا نرضى سيرتك[٧] ولا رأيك الذي أنت عليه على تزهدك مع ان تزهدك لا يغني[٨] عنك شيئاً . وأنت لا تستطيع أن تكون إلا كأحــدنا ، تسعى معنا وتفعل فعلنـــا . وأي شيء يشبه كفك عن الدماء وعن أكل اللحم ؟

قال ابن آوى : إن صحبتي إياكن لا تؤثمني[٩] إذا لم أؤثم بنفسي ، لأن الآثام ليست من قبل الأمـاكن والأصحاب ولكنها من قبل القلوب والأعمـــال . ولو كان صاحب المكان الصالح يكون عمله فيه صالحاً وصــاحب المكان السيء يكون عمله فيه سيئاً ، كان حينئذ من قتل الناسك في محرابه[١٠] لم يأثم ، ومن استحياه[١١] في معركة القتال أثم .

---

(١) انفاذ : ارسال . (٢) عرض الامر : جانبه . (٣) الدحال : جمع دحل وهو ثقب فمه ضيق واسفله متسع . (٤) يغير : يغزوا . (٥) يهريق : يهرق يسكب . (٦) السباع : الحيوانات المفترسة . (٧) سيرتك : تصرفك . (٨) لا يغني : لا يمنع . (٩) تؤثمني : تجعلني ذا اثم اي ذنب . (١٠) المحارم : مقـام الامام في المسجد ، هيكل الصلاة . (١١) استحياه : ابقاه حياً .

وإني إنمـــا صحبتكن بنفسي ولم أصحبكن بقلبي وأعمالي لأني أعرف ثمرة الأعمال فلزمت حالي ، وإنما صحبتكن مودة مني لكن ، فإن كانت صحبتي تضركن فالأماكن والمواضع كثيرة .

وثبت ابن آوى على حاله تلك واشتهر بالنسك والتزهد حتى بلغ ذلك أسداً كان ملك تلك الناحية . فرغب فيه لما بلغه عنه من العفاف والنزاهة والأمـــانة ، فأرسل إليه يستدعيه . فلما حضر كلمه وآنسه فوجده في جميع أموره على غرضه . ثم دعاه بعد أيام إلى صحبته وقال له : تعلم أن عمـــالي كثير وأعواني جم[١] غفير[٢] وأنا مع ذلك إلى الأعوان محتاج ، وقد بلغني عنك عفاف وأدب وعقل ودين ، وقـــد اختبرتك فوجدتك كذلك فـــازددت فيك رغبة وأنا موليك من عملي ورافعك إلى منزلة شريفة وجاعلك من خاصتي .

قال ابن آوى : إن الملوك أحقاء[٣] باختيار الأعوان فيما يهتمون به من أعمالهم وأمورهم ممن لهم الخبرة بذلك ، وهم أحرى ألا يكرهوا[٤] على ذلك أحداً ، فإن المكره لا يستطيع المبالغة في العمل ، وإني لعمل السلطان كاره وليس لي به تجربة ولا بالسلطان رفق[٥] وأنت ملك السباع وعندك من أجناس الوحوش عـــدد كثير فيهم أهل نبل وقوة ولهم على العمل حرص وعنـــدهم به وبالسلطان رفق . فإن استعملتهم أغنوا عنك[٦] واغتبطوا[٧] لأنفسهم بما أصابهم من ذلك .

قال الأسد : دع عنك هذا فإني غير معفيك من العمل .

قال ابن آوى : إنمـــا يقدم على خدمة السلطان غير هائب رجلان

---

(١) جم : جمع . (٢) غفير : كثير . (٣) احقاء : جمع حقيق بمعنى اهل .
(٤) يكرهوا : يجبروا . (٥) رفق : حسن تصرف . (٦) اغنوا عنك : نفعوك .
(٧) اغتبطوا : عدوا أنفسهم سعداء

لست بواحد منها : إما مصانع[1] ينال حاجته بفجوره ويسلم بمصانعته وإما هين[2] لا يحسده أحد . وأما من أراد ان يخدم السلطان بالصدق والعفاف غير خالط ذلك بمصانعته فقل أن يسلم على ذلك ، لأنه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد . أما الصديق فينافسه[3] في منزلته ويبغي عليه[4] فيها ويعاديه لأجلها ويشي[5] عليه كذباً . فإذا لقيت الوشاية أذناً واعية[6] من الملك كان في ذلك هلاكه . وأما عدو السلطان فيضطغن عليه[7] لنصيحته لسلطانه وإغنائه عنه فيعمل على هلاكه ويتربص به ريب المنون[8] فإذا اجتمع عليه هذان الصنفان فقد تعرض للهلاك .

قال الأسد : لا يكونن بغي أصحابي عليك وحسدهم إياك وعداوة أعدائي لك مما يعرض في نفسك[9] ، فأنت معي وأنا أكفيك ذلك[10] وأبلغ بك من درجات الكرامة والإحسان على قدر همتك .

قال ابن آوى : إن كان الملك يريد الإحسان إليّ فليدعني في هذه البرية أعيش آمناً قليل الهم راضياً بعيشي من المـــاء والعشب فإني قد علمت أن صاحب السلطان يصل إليه من الأذى والخوف في ساعة واحدة مـــا لا يصل إلى غيره في طول عمره ، وأنه يتصل اليه النفع ساعة واحدة ثم هو في الخوف سرمـــداً[11] وإن قليلاً من العيش في أمن وطمأنينة خير من كثير من العيش في خوف ونصب[12] .

---

(١) مصانع : مداهن مدلس . (٢) هين : من الهوان اي ذليل . (٣) ينافسه : يغالبه في ان يكون آنس منه . (٤) يبغي عليه : يظلمه . (٥) يشي : من الوشاية وهي الافساد . (٦) واعية : قابلة لما تسمع . (٧) يضطغن : من الضغينة اي يحقد (٨) يتربص به الريب : ينتظر به حوادث الدهر ليتمكن منه . (٩) يعرض في نفسك : يخطر في بالك . (١٠) اكفيك ذلك : ادفعه عنك . (١١) سرمداً : ابداً . (١٢) نصب : تعب .

قال الأسد : قد سمعت مقالتك فلا تخف شيئاً مما أراك تخاف منه ، ولست أجد بداً من الاستعانة بك في أمري .

قال ابن آوى : أمـــا إذا أبى إلا ذلك فليجعل الملك لي عهد إن بغى علي أحد من أصحابه ممن هو فوقي مخافة على منزلته أو ممن هو دوني لينازعني على منزلتي ، فذكر عند الملك منهم ذاكر بلسانه أو على لسان غيره مـــا يريد به تحريش[1] الملك عليّ ، ألا يعجل في أمري وأن يتثبت فـــيما يرفع إليه ويذكر عنده من ذلك ويفحص عنه ثم ليصنع ما بدا له . فإذا وثقت منه بذلك أعنته بنفسي فيما يجب إطاعة له وعملت له فيما أولاني[2] بنصيحـــة واجتهاد وحرصت على ألا أجعل له على نفسي سبيلا[3] .

قال الأسد : لك عليّ ذلك وزيادة ، ثم ولاه خزائنه[4] واختص به دون أصحابه وزاد في كرامته .

فلما رأى أصحاب الأسد ذلك غـــاظهم وساءهم فأجمعوا كيدهم[5] واتفقوا كلهم على ان يحرشوا عليه الأسد . وكان الأسد قد استطاب لحماً فعزل[6] منه مقداراً وأمر ابن آوى بالاحتفاظ بـــه ، وأن يرفعه في أحضن موضع طعامه وأحرزه ليعاد عليه . فأخذوه من موضعه وحملوه إلى بيت ابن آوى فخبـأوه فيه ولا علم له به ، ثم حضروا يكذبونه إذا جرت في ذلك حال .

فلما كان من الغد ، دعا الاسد بغدائه ففقد ذلك اللحم والتمسه فلم يجده ، وابن آوى لم يشعر بما صنع في حقه من المكيدة وهو غائب

---

(١) تحريش : تهييج . (٢) اولاني : خولني واعطاني . (٣) سبيلا : وجهاً للوم .
(٤) ولاه خزائنه : جعل له عليها الولاية والسلطة . (٥) اجمعوا كيـــدهم : اجتمعوا عليه . (٦) عزل منه مقداراً : نحى .

في خدمة الاسد وأشغاله . فحضر الذين عملوا المكيدة وقعدوا في المجلس، ثم إن الملك سأل عن اللحم وشدد فيه السؤال عنه فنظر بعضهم إلى بعض .

فقال أحدهم قول المخبر الناصح : إنه لا بد لنا ان نخبر الملك بما يضره وينفعه ، وإن شق ذلك على من يشق عليه . وإنه بلغني ان ابن آوى هو الذي ذهب باللحم إلى منزله ليأكله دون الملك .

قال الآخر : ما أراه يفعل هذا ، ولكن انظروا وافحصوا ، فإن معرفة الخلائق شديدة .

فقال الآخر : لعمري ما تلبث السرائر أن تعرف وأظنكم إن فحصتم عن هذا وجدتم اللحم في بيت ابن آوى ، وكل شيء يذكر من عيوبه وخيانته نحن أحق ان نصدقه [1] .

قال الآخر : لئن وجدنا هذا حقاً لم تكن [2] بالخيانة فقط ، ولكن مع الخيانة كفر [3] النعمة والجرأة على الملك .

قال الآخر أنتم أهل الفضل لا أستطيع ان أكذبكم ، ولكن سيبين هذا لو أرسل الملك إلى بيته من يفتشه .

قال الآخر : إن كان الملك مفتشاً منزله فليعجل فإن عيونه [4] وجواسيسه مبثوثة [5] بكل مكان . ولم يزالوا في هذا الكلام وأشباهه حتى وقع [6] في نفس الاسد ذلك ، فأمر بابن آوى فحضر .

فقال له : أين اللحم الذي أمرتك بالاحتفاظ به ؟ قال :

---

(١) نصدقه : نأتي بما يكون مصداقاً له اي شاهداً على صدقه . (٢) لم تكن : الضمير في الفعل يرجع الى مقدر من المعنى اي لم تكن هذه الفعلة . (٣) كفر : انكار وجحد (٤) العيون هنا : بمعنى الجواسيس . (٥) مبثوثة : منتشرة . (٦) وقع في نفسه : أثر .

دفعته [١] إلى صاحب الطعـــام ليقربه إلى الملك ، فدعا الاسد بصاحب الطعام ، وكان ممن شايع وبايع [٢] مع القوم على ابن آوى ، فقال : مـــا دفع إلي شيئاً . فأرسل الاسد أميناً إلى بيت ابن آوى ليفتشه فوجد فيه ذلك اللحم فأتى بـــه الاسد فدنا من الاسد ذئب لم يكن يتكلم في شيء من ذلك وكان يظهر أنــــه من العدول [٣] الذين لا يتكلمون فيما لا يعلمون حتى يتبين لهم الحق . فقال : بعد [٤] أن اطلع الملك على خيانة ابن آوى لا يعفون عنه ، فإنه إن عفا عنه ، لم يطلع الملك بعدها على خيانة خائن ولا ذنب مذنب . فأمر الاسد ابن آوى أن يخرج ويحتفظ به [٥] .

فقال بعض جلساء الملك إني لأعجب من رأي الملك ومعرفته بالأمور كيف يخفى عليه أمر هذا ولم يعرف خبه ومخادعتة ، وأعجب من هذا أني أراه اسيصفح عنه بعد الذي ظهر منه . فأرسل الاسد بعضهم رسولاً إلى ابن آوى يلتمس منه العذر عن أمره ، فرجع اليه الرسول برسالة كاذبة اختلقهـــا ، فغضب الاسد من ذلك وأمر بابن آوى ان يقتل . فعلمت أم الاسد انه قد عجل في أمره فأرسلت الى الذين أمروا بقتله ان يرجئوه . ودخلت على ابنها فقالت : يا بني ، بأي ذنب أمرت بقتل ابن آوى ؟ فأخبرها بالأمر . فقالت يا بني عجلت ، وإنما يسلم العاقل من الندامة بترك العجلة وبالتثبت ؛ والعجلة لا يزال صاحبهـــا يجتني ثمرة النـــدامة بسبب ضعف الرأي . ومن لم ينظر في أموره نظر مفكر ، كان نظره كنظر الذي يكون بعينه سبل [٦] فيخيل له ان امامهـــا كهيئة شعرة ، وكان كالرجل الجاهل الذي يسمع صوت

---

(١) دفعته : اعطيته . (٢) شايع وبايع : تعصب . (٣) عدول : جمع عدل بمعنى عادل . (٤) بعد : هي وما بعدها مفعول قال . (٥) يحتفظ به : يجعله تحت الحفظ .
(٦) سبل : شبه غشاوة تعرض للعين .

البعوضة في الليل فيظنها لشدة صوتها شيئاً فاذا وصلت اليه علم أنهـا ليست بشيء ، وليس أحـد أحوج الى التؤدة والتثبت من الملوك . فإن المرأة بزوجها ، والولد بوالديه ، والمتعلم بالمعلم ، والجند بالقائد ، والناسك بالدين ، والعامة بالملوك ، والتقوى بالعقل ، والعقل بالتثبت والأناة . ورأس الحزم للملك معرفة أصحابه وإنزالهم منازلهم على طبقاتهم واتهامه بعضهم على بعض ، فإنه لو وجد بعضهم إلى بعض سبيلاً لفعل .

وقد جربت ابن آوى وبلوت رأيه وأمانته ومروءته ، ثم لم تزل مادحاً له راضيـاً عنه . وقد اتهمته بشيء لا صحة له ولا تعلم صدقه من كذبه ، ولعل ذلك عمل الكذب والحسد والخيانة من وزرائك ، لأن الملك إذا تهاون في أمر وزرائه وتغافل عنهم دخل عليه في ذلك مـا تكره عـاقبته . والملك أخبر من طريق العقل ان الاشرار يحسدون الأخيار ويرقبونهم ليوقعوا بهم . وليس ينبغي للملك ان يستخفنه بعد ارتضائه إياه وائتمانه له . ومنذ مجيئه إلى الآن لم يطلع له على خيانة إلا على العفة والنصيحة ، ومـا كان من رأي الملك ان يعجل عليه لأجل طابق لحم . وأنت ، أيها الملك ، حقيق ان تنظر في حـال ابن آوى ، ولتعلم أنه لم يكن يتعرض للحم ولا يأكله فكيف للحم استودعته إياه ؟ ولعل الملك إن فحص عن ذلك ظهر له ان ابن آوى له خصماؤه الذين ائتمروا بهـذا الأمر ، وهم الذين ذهبوا باللحم إلى بيته فوضعوه فيه . فإن الحدأة إذا كان في رجلهـا قطعة لحم اجتمع عليه سائر الطير ؛ والكلب اذا كان معـه عظم اجتمعت عليه الكلاب . وابن آوى ، منذ كان إلى اليوم ، نـافع وكان محتملاً لكل ضرر في جنب منفعة تصل اليك ، ولكل عناء يكون لك فيه راحة ولم يكن يطوي دونك سراً .

فبينما ام الأسد تقص عليه هذه المقالة ، إذ دخل عليه بعض ثقاته

فأخبره ببراءة ابن آوى ، فقالت أم الأسد : إن الملك ، بعد ان اطلع على براءة ابن آوى ، حقيق ألا يتساهل مع من سعى بـــه لئلا يتجرأوا على مـــا هو أعظم من ذلك ، ولكن يعاقبهم عليه لكي لا يعودوا الى مثله ولا تحتقر ما فعلوا معك ، فان العشب وإن كان لا قوة له يصنع منه الحبل الذي يوثق به الفيل . فإنه لا ينبغي للعاقل ان يراجع في أمر الكفور للحسنى والجريء على الغدر والزاهد في الخير والذي لا يوقن بالآخرة وينبغي أنــه يجزى بعمله . وقد عرفت سرعة الغضب وفرط الهفوة ، ومن سخط باليسير لم يبلغ رضاه بالكثير . والأولى لك ان تراجع ابن آوى وتعطف عليه ولا يؤنسنك من مناصحته مـــا فرط منك إليه من الإساءة . فان من الناس من لا ينبغي تركه على حال من الأحوال ، وهو من عرف بالصلاح والكرم وحسن العهد والشكر والوفـــاء والمحبة للناس والسلامة من الحسد والبعد من الأذى والاحتمال للاخوان والأصحاب ، وإن ثقلت عليه منهم المؤونة . وأما من ينبغي تركه ، فهو من عرف بالشراسة ولؤم العهـــد وقلة الشكر والوفـــاء والبعد عن الرحمة والورع ، واتصف بالجحود لثواب الآخرة وعقابها . وقد عرفت ابن آوى وجربته وأنت حقيق بمواصلته .

فدعا الأسد بابن آوى واعتذر اليه مما كان منه ووعده خيراً وقال: إني معتذر اليك ورادك الى منزلتك .

فقال ابن آوى : أو ليس هـــذا الذي خفت منه في أول اتصالي بك ، والذي لأجله امتنعت مما عرضته علي من صحبتك وتولي خدمتك ؟ وإن شر الأخلاء من التمس منفعة نفسه بضر أخيـه ، ومن كان غير ناظر له كنظره لنفسه ، أو كان يريد ان يرضيه بغير الحق لأجل اتباع هواه ، وكثيراً ما يقع ذلك بين الأخلاء .

وقـد كان من الملك إلي ما علم ، ولا ينبغي للملك ان يطمئن الى

من عـاقبه أشد العقوبة من نزعه عن عمله أو أخذ ماله بغير ذنب ، أو من كان للكرامة أهلا فلم يعرف له ذلك ولم يعطه ما هو أهله ، أو كان مظلوماً ولم ينظر في أمره ، أو كان من أهل الطمع فلم يصب مـــا يرجوه ، أو كان بين قوم قد اجترموا جريمة هو منها بريء ، فأخذ هو بهـا من بينهم وخلي سبيلهم . فأمثال هؤلاء لا ينبغي للملك ان يصحبهم . وأنا أيها الملك أحد هؤلاء ، فلعل الملك يقول : إن ابن آوى لا ينسى الذي لقيه من الهوان فيقتص مني ، وأنا ، يعلم الله .. ليس في قلبي شيء من قبل هـذا ، وانما خوفي ان يفعلوا بي ذلك مرة أخرى . فلا يغلظن على نفس الملك مـا أخبره أني به غير واثق ، وأنه لا ينبغي لي ان اصحبه ، وأن الملك لا ينبغي له ان يصحب من كان مثلي ، ولا ينبغي له ان يرفضه أصلاً ، فإن ذا السلطان إذا عزل كان مستحقاً للكرامة في حالة إبعاده والإقصاء له .

فلم يلتفت الأسد إلى كلامه ثم قال له : إني قـــد بلوت طباعك وأخلاقك وجربت أمانتك ووفاءك وعرفت كذب من محل بك وإني منزلك من نفسي منزلة الأخيار الكرماء ، والكريم تنسيه الخلة الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة . وقد عدنا إلى الثقة بك ، فعد الى الثقة بنا ، فإنه كائن لنا ولك بذلك غبطة وسرور . فعـــاد ابن آوى الى ولاية ما كان يلي ، وضاعف له الأسد الكرامة ولم تزده الأيام إلا تقرباً منه .

الفصل العاشر

اللبوءة والأسوار والشعهر

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثلاً في شأن من يدع ضر غيره ، إذا قدر عليه ، بما يصيبه من الضرر، ويكون له مما ينزل به واعظ وزاجر عن ارتكاب الظلم والعداوة لغيره .

قال الفيلسوف : إنه لا يقدم على طلب ما يضر بالناس وما يسوؤهم إلا أهل الجهالة والسفه وسوء النظر في العواقب من أمور الدنيا والآخرة ، وقلة العلم بما يدخل عليهم في ذلك من حلول النقمة ، وبما يلزمهم من ضرر تبعة ما اكتسبوا مما لا تحيط به العقول . وإن سلم بعضهم من بعض ، باتفاق عرض له قبل أن ينزل به وبال ما صنع ، لم يسلم في كل مرة . فإن من لم يفكر في العواقب لم يأمن المصائب ، وكان حقيقاً الا يسلم من المعاطب . وربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المضرة من الغير فارتدع عن أن يغشى احداً بمثل ذلك من الظلم والعدوان ، وحصل له نفـــع ما كف عنه من ضرره في العاقبة . ومثل ذلك حديث اللبؤة والإسوار والشعهر . قال الملك : وكيف كان ذلك .

قال الفيلسوف : زعموا أن لبؤة كانت في غيضة ولها شبلان ، وإنها خرجت في طلب الصيد وخلفتها في كهفها ، فمر بها إسوار فحمل عليها

ورماها فقتلها وسلخ جلديها فاحتقبها[1] وانصرف بها إلى منزله . ثم إنها رجعت ، فلما رأت ما حل بها من الأمر الفظيع اضطربت ظهراً لبطن وصاحت وضجت ، وكان إلى جنبها شعهر ، فلما سمع ذلك من صياحها قال لها : ما هذا الذي تصنعين وما نزل بك ؟ أخبريني به .

قالت اللبؤة : شبلاي مرّ بهما إسوار فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما ونبذهما[2] في العراء[3] .

قال لها الشعهر : لا تضجي وأنصفي من نفسك[4] ، واعلمي أن الدنيا دار مكافأة ، ففاعل الخير يحمده ، وفاعل الشر يجني ثمره ، وإن هذا الاسوار لم يأت إليك[5] شيئاً إلا وقد كنت تفعلين بغيرك مثله ، وتأتين مثل ذلك إلى غير واحد ممن كان يجد بحميمه[6] ، ومن يعز عليه مثل ما تجدين بشبليك ، فاصبري من غيرك على ما صبر غيرك عليه منك . فإنه قد قيل : كما تدين تدان ، ولكل عمل ثمرة من الثواب والعقاب ، وهما على قدره في الكثرة والقلة كالزرع إذا حضر الحصاد أعطى على حسب بذره .

قالت اللبؤة : بين لي ما تقول وأفصح لي عن إشارته . قال الشعهر : كم أتى لك من العمر ؟ قالت اللبؤة : كذا وكذا سنة . قال الشعهر : ما كان قوتك فيه ؟ قالت اللبؤة : لحم الوحش . قال الشعهر : ومن كان يطعمك إياه : قالت اللبؤة : كنت أصيد الوحش وآكله . قال الشعهر : أرأيت الوحوش التي كنت تأكلين ، أما كان لها آباء وأمات؟ قالت بلى . قال الشعهر : فما بالي لا أرى ولا أسمع لأولئك الآباء والأمات من الجزع

---

(١) احتقبها : وبطها خلفه على ركوبته . (٢) نبذهما : طرحها .
(٣) العراء : الفضاء . (٤) انصفي من نفسك : خذي حقك منها .
(٥) لم يأت اليك شيئاً : لم يفعل بك . (٦) الحميم : القريب الذي تهتم لامره والصديق الحرة صداقته .

ما أرى وأسمع لك ، أما إنه لم ينزل بك ما تزل إلا لسوء نظرك في العواقب وقلة تفكرك فيها ، وجهالتك بما يرجع عليك من ضرها .

فلما سمعت اللبؤة ذلك من كلام الشعهر عرفت أن ذلك مما جنت على نفسها ، وأن عملها كان جوراً وظلماً . فتركت الصيد وانصرفت عن أكل اللحم إلى أكل الثمار والنسك والعبادة .

فلما رأى ذلك ورشان [1] ، كان صاحب تلك الغيضة ، وكان عيشه من الثمار ، قال لها : قد كنت أظن أن الشجر عامنا هذا لم تحمل لقلة الماء ، فلما أبصرتك تأكلينها وأنت آكلة اللحم فتركت رزقك وطعامك وما قسم الله لك وتحولت إلى رزق غيرك فانتقصته ودخلت عليه فيه ، علمت أن الشجر العام اثمرت كما كانت تثمر قبل اليوم ، وإنما أتت قلة الثمر من جهتك ، فويل للشجر ، وويل للثمار ، وويل لمن عيشهم منها ، ما أسرع هلاكهم إذا دخل عليهم في أرزاقهم وغلبهم عليها من ليس له فيها حظ ، ولم يكن معتاداً لأكلها . فلما سمعت اللبؤة ذلك من كلام الورشان تركت أكل الثمار وأقبلت على أكل العشب والعبادة .

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الجاهل ربما انصرف بضر يصيبه عن ضر الناس، كاللبؤة التي انصرفت لما لقيت في شبليها عن اكل اللحم، ثم عن أكل الثمار بقول الورشان ، وأقبلت على النسك والعبادة .

والناس أحق بحسن النظر في ذلك فانه قد قيل : ما لا ترضاه لنفسك لا تصنعه لغيرك ، فان في ذلك العدل ، وفي العدل رضى الله تعالى ورضى الناس .

---

(١) ورشان : طائر .

الفصل الحادى عشر

إيلاذ وبلاذ وإيراخت

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل ، فاضرب لي مثلاً في الأشياء التي يجب على الملك أن يلزم بها نفسه ويحفظ ملكه ويثبت بها سلطانه، ويكون ذلك رأس أمره وملاكه: الحلم ، أم المروءة، أم الشجاعة ، أم الجود ؟

قال بيدبا : إن أحق ما يحفظ به الملك ملكه الحلم ، وبه تثبت السلطنة . والحلم رأس الامور وملاكها وأجود ما كان في الملوك .

كالذي زعموا أنه كان ملك يدعى بلاذ ، وكان له وزير يدعى إيلاذ ، وكان متعبداً ناسكاً . وإن الملك نام ذات ليلة فرأى في منامه ثمانية أحلام أفزعته، فاستيقظ مرعوباً ، فدعا بالبراهمة ، وهم النساك ، ليعبروا رؤياه ، فلما حضروا بين يديه قص عليهم ما رأى ، فقالوا بأجمعهم : لقد رأى الملك عجباً ، فان أمهلنا سبعة أيام جئناه بتأويله .

قال الملك : قد امهلتكم . فخرجوا من عنده ، ثم اجتمعوا في منزل أحدهم وائتمروا بينهم ، وقالوا : قد وجدتم علماً واسعاً تدركون به ثأركم وتنتقمون من عدوكم ، وقد علمتم أنه قتل منا بالامس اثني عشر ألفاً ، وها هو قد أطلعنا على سره ، وسألنا تفسير رؤياه ، فهلم نغلظ له القول فيخيفه ، حتى يحمله الفرق والجزع على أن يفعل الذي نريد .

نأمره فنقول : إدفع إلينا أحباءك ومن يكرم عليك ، حتى نقتلهم ، فانا قد نظرنا في كتبنا فلم نر أن يدفع عنك ما رأيت لنفسك ، وما وقعت فيه من هذا الشر الا بقتل من نسمي لك ، فان . قال الملك : ومن تريدون أن تقتلوا ؟ سموهم لي . قلنـــا : نريد الملكة ايراخت أم جوير المحمودة اكرم نسائك عليك ، ونريـد جوير احب بنيك اليك ، ونريد كال الكاتب صاحب سرك ، وسيفك الذي لا يوجد مثله ، والفيل الابيض الذي لا تلحقه الخيل ، والفرس الذي هو مركبك في القتال ، ونريد الفيلين العظيمين اللذين يكونان مع الفيل الذكر ، ونريد البختي السريع القوي ، ونريد كباريون الحكيم الفاضل العالم بالأمور لننتقم منه بما فعل بنا . ثم نقول له : انما ينبغي لك ، ايها الملك ، ان تقتل هؤلاء الذين سميناهم لك ، ثم تجعل دماءهم في حوض تملأه ثم تقعد فيه ، فاذا خرجت من الحوض اجتمعنا نحن معاشر البراهمة ، من الآفاق الأربعة ، نجول حولك فنرقيك ، ونتفل عليك ونمسح عنك الدم ونغسلك بالمـــاء والدهن الطيب ، ثم تقوم الى منزلك البهي فيدفع الله بذلك البلاء الذي نتخوفه عليك ، فان صبرت ايها الملك وطابت نفسك عن احبائك الذين ذكرنا لك وجعلتهم فداك ، تخلصت من البـــلاء واستقام لك ملكك وسلطانك ، واستخلفت من بعدهم من احببت وان انت لم تفعل تخوفنا عليك ان يغصب ملكك او تهلك ، فان هو اطاعنا فيما نأمره قتلناه شر قتلة .

فلما اجمعوا امرهم على ما ائتمروا فيه ، رجعوا اليه في اليوم الثامن وقالوا له : ايها الملك ، انا نظرنا في كتبنا تفسير ما رأيت وفحصنا عن الرأي فيما بيننا ، فليكن لك ، ايها الملك الطاهر الصالح الكرامة . ولسنا نقدر أن نعلمك بما رأينا إلا أن تخلو بنـــا وتؤمننا . فأخرج الملك من كان عنده وخلا بهم فحدثوه بالذي ائتمروا فيه . فقال لهم : الموت خير لي من الحياة إن قتلت هؤلاء الذين هم عديل نفسي . وأنا ميت لا محالة ،

والحيـــاة قصيرة ، ولست كل الدهر ملكاً . وإن الموت عندي وفراق الاحباب سواء ، فضلاً عما أرتكبه من الإثم في قتلهم .

قال له البرهميون : إن أنت لم تغضب أخبرناك ، فأذن لهم فقالوا : أيها الملك إنك لم تقل صوابـــاً حين تجعل نفس غيرك أعز عندك من نفسك ، فاحتفظ بنفسك وملكك هذا الذي فيه لك الرجاء العظيم على ثقة ويقين ، وقر عينـــاً بملكك في وجوه أهل مملكتك الذين شرفت وكرمت بهم ولا تدع الأمر العظيم وتأخذ بالضعيف فتهلك نفسك إيثاراً لمن تحب . واعلم ، أيها الملك ، أن الإنسان إنما يحب الحياة محبة لنفسه ، وأنه لا يحب من أحب من الاحباب إلا ليتمتع به في حياته ، وإنمـــا قوام نفسك بعد الله بملكك . وإنك لم تنل ملكك إلا بالمشقة والعنـــاء الكثير في الشهور والسنين، وليس ينبغي أن ترفضه ويهون عليك . فاستمع كلامنا وانظر لنفسك مناها ودع ما سواها فانه لا خطر له .

فلما رأى الملك أن البرهميين قد أغلظوا له في القول واستجرأوا عليه في الكلام، اشتد غمه وحزنه وقام من بين ظهرانيهم ودخل إلى حجرته، فخر على وجهه يبكي ويتقلب كما تتقلب السمكة إذا خرجت من الماء، وجعل يقول في نفسه : ما أدري أي الامرين أعظم في نفسي الهلكة أم قتل أحبائي ؟ ولن أنال الفرح ما عشت وليس ملكي بيـــاق علي إلى الابد ، ولست بالمصيب سؤالي في ملكي . وإني لزاهد في الحياة إذا لم أر إيراخت وجوير ، وكيف أقـدر على القيام بملكي إذا هلك وزيري إيـــلاذ ، وكيف أضبط أمري اذا هلك فيلي الابيض وفرسي الجواد ، وكيف أدعى ملكاً وقد قتلت من أشار البراهمـــة بقتله وما أصنع بالدنيا بعدهم .

ثم ان الحديث فشا في الأرض بحزن الملك وهمـه . فلما رأى ايلاذ ما نال الملك من الهم والحزن فكر في حكمته ونظر ، وقال : ما ينبغي

لي أن أستقبل الملك فأسأله عن هذا الامر الذي قد ناله من غير أن يدعوني . ثم انطلق إلى ايراخت فقال : اني منذ خدمت الملك الى الآن لم يعمل عملاً الا بمشورتي ورأيي ، وأراه يكتم عني أمراً لا أعلم ما هو ولا أراه يظهر منه شيئاً ، واني رأيته خالياً مع جماعة البرهميين منذ ليال وقد احتجب عنا فيها ، وأنا خائف من أن يكون قد أطلعهم على شيء من اسراره ، فلست آمنهم أن يشيروا عليه بما يضره ويدخل عليه منه السوء . فقومي وادخلي عليه فاسأليه عن أمره وشأنه ، وأخبريني بما هو عليه وأعلميني ، فإني أقدر على الدخول عليه ، فلعل البرهميين قد زينوا له أمراً وحملوه على خطة قبيحة . وقد علمت أن من خلق الملك أنه إذا غضب لا يسألّ أحداً ، وسواء عنده صغير الأمور وكبيرها .

فقالت إيراخت : إنه كان بيني وبين الملك بعض العتاب فلست بداخلة عليه في هذه الحال .

فقال لها إيلاذ : لا تحملي عليه الحقد في مثل هذا ولا يخطرن ذلك على بالك ، فليس يقدر على الدخول عليه أحد سواك . وقد سمعته كثيراً يقول : ما اشتد غمي ودخلت علي إيراخت إلا سري ذلك عني، فقومي إليه واصفحي عنه ، وكلميه بما تعلمين أنه تطيب به نفسه ويذهب الذي يجده ، وأعلميني بما يكون جوابه ، فان بذلك لنا ولأهل المملكة أعظم الراحة .

فانطلقت إيراخت فدخلت على الملك فجلست عند رأسه فقالت : ما الذي بك ، أيها الملك المحمود ، وما الذي سمعت من البراهمة ؟ فاني أراك محزوناً فأعلمني ما بك ، فقد ينبغي لنا أن نحزن معك ونؤاسيك بأنفسنا .

فقال الملك : أيتها المرأة ، لا تسأليني عن أمري فتزيديني غماً وحزناً فانه لا ينبغي أن تسأليني عنه . قالت : أوقد نزلت عندك منزلة

يستحق هذا ؟ إنما أحمد الناس عقلاً من إذا نزلت بـــه النازلات ، كان لنفسه أشد ضبطاً وأكثرهم استماعاً من أهل النصح حتى ينجو من تلك النازلة بالحيـــلة والعقل والبحث والمشاورة ، فعظيم الذنب لا يقنط من الرحمة . ولا تدخلن عليك شيئاً من الهم والحزن فانهما لا يردان شيئاً مقضياً ، إلا أنهما ينحلان الجسم ويشفيان العدو ، والصبر عند نزول المصيبة عبادة وسوف تحمد أمرك إن أخبرتني .

قال لهـــا الملك : لا تسأليني عن شيء فقد شققت علي ، والذي تسألينني عنه لا خير فيه لأن عاقبته هلاكي وهلاكك وهلاك كثير من أهل مملكتي ومن هو عديل نفسي ، وذاك أن البراهمة زعموا أنه لا بد من قتلك وقتل جوير وكثير من أهل مودتي ولا خير في العيش بعدكم ، وهل أحد يسمع بهذا إلا اعتراه الحزن .

فلما سمعت ذلك إيراخت جزعت ، ومنعها عقلهـــا أن تظهر للملك جزعاً فقالت : أيها الملك ، لا تجزع ، فنحن لك الفداء ، ولك في سواي ومثلي ما تقر به عينك ؛ ولكنني أطلب منك ، أيهـــا الملك ، حاجة يحملني على طلبتها حبي لـــك وإيثاري إياك ، وهي نصيحتي لك . قال الملك : وما هي ؟ قالت : أطلب منك ألا تثق بعدها بأحد من البراهمة ، ولا تشاورهم في أمر حتى تتثبت في أمرك ثم تشاور ثقاتـــك مراراً ، فإن القتل أمر عظيم ولست تقدر على أن تحيي من قتلت . وقد قيل في الحديث : إذا لقيت جوهراً لا خير فيه فلا تلقه من يدك حتى تريه من يعرفه . وأنت ، أيها الملك ، لا تعرف أعداءك ، واعـــلم أن البراهمة لا يحبونك وقد قتلت منهم بالأمس اثني عشر ألفاً ، ولا تظن أن هؤلاء ليسوا من أولئك . ولعمري ما كنت جديراً أن تخبرهم برؤياك ولا أن تطلعهم عليها ، وإنما قالوا لك ما قالوا لأجل الحقد الذي بينك وبينهم ، لعلهم يهلكون أحباءك ووزيرك فيبلغوا قصدهم منك ، وأظنك لو قبلت

منهم فقتلت من أشاروا بقتله ظفروا بـــك وغلبوك على ملكك فيعود الملك إليهم كما كان . فان الشجرة إذا أريد قلعها عمد أولاً إلى أصولها وما تتثبت به في الأرض ، فقطعت ثم قلعت، فهان قلعها . فانطلق إلى كباريون الحكيم فهو فطن عالم ، فاخبره عمـا رأيت في رؤياك ، واسأله عن وجهها وتأويلها .

فلما سمع الملك ذلك سري عنه ما كان يجده من الغم ، فأمر بفرسه فأسرج ، فركبه ثم انطلق إلى كباريون الحكيم ، فلمـا انتهى إليه نزل عن فرسه وسجد له وقام مطأطئاً الرأس بين يديه .

فقال له الحكيم : ما بالك أيها الملك ، وما لي أراك متغير اللون ؟

فقال له الملك : إني رأيت في المنام ثمانية أحلام قصصتها على البراهمة ، وأنا خائف أن يصيبني من ذلك عظيم أمر مما سمعت من تعبيرهم لرؤياي ، وأخشى أن يغصب مني ملكي أو أن أغلب عليه .

فقال له الحكيم : إن شئت قصصت علي أحلامك وإن شئت قصصتها عليك وأخبرتك بما رأيت جميعه .

قال الملك : بل من فيك أحسن .

قال الحكيم : لا يحزنك ، أيها الملك ، هذا الامر ولا تخف منه ، أما السمكتان الحمراوان اللتان رأيتهما قائمتين على ذنبيهما ، فإنه يأتيك رسول من ملك هيمون بعقدين مكللين بالدر والياقوت الأحمر ، قيمتهما أربعـة آلاف رطل من ذهب فيقوم بين يديك وأما الوزتان اللتان رأيتهما طارتا من وراء ظهرك فوقعتا بين يديك فانه يأتيك من ملك بلخ فرسان ليس على الأرض مثلهما فيقومان بين يديك ، وأما الحية التي رأيتها تدب على رجلك اليسرى فإنه يأتيك من ملك صنجين من يقوم بين يديك بسيف خالص الحديد لا يوجد مثله . وأما الدم الذي رأيت كأنه خضب بـــه

جسدك فإنه يأتيك من ملك كازرون من يقوم بين يديك بلباس معجب يسمى حلة أرجوان يضيء في الظلمة . وأما ما رأيت من غسلك بالماء فإنه يأتيك من ملك رهزين من يقوم بين يديك بثياب كتان من لباس الملوك. وأما ما رأيت من أنك على جبل أبيض فإنه يأتيك من ملك كيدور من يقوم بين يديك بفيل أبيض لا تلحقه الخيل . وأما ما رأيت على رأسك شبيهاً بالنار فإنه يأتيك من ملك الأرزن من يقوم بين يديك باكليل من ذهب مكلل بالدر والياقوت . وأما الطائر الذي رأيتـــه ضرب برأسك بمنقاره فلست مفسراً ذلك اليوم وليس بضارك ، فلا توجلن منه ، ولكن فيه بعض السخط والإعراض عما تحبه . فهذا تفسير رؤياك ، أيها الملك . وأما هذه البرد والرسل فإنهـا تأتيك بعد سبعة أيام جميعاً ، فتقوم بين يديك . فلما سمع الملك ذلك سجد لكباريون ورجع إلى منزله .

فلما كان بعد سبعـــة أيام جاءت البشائر بقدوم الرسل فخرج الملك فجلس على السرير وأذن للأشراف ، وجاءته الهدايا كما أخبره كباريون الحكيم . فلما رأى الملك ذلك أشتد عجبه وفرحه من علم كباريون وقال : ما وفقت حين قصصت رؤياي على البراهمة فأمروني بما أمروني به ، ولولا أن الله تداركني لهلكت وأهلكت . وكذلك لا ينبغي لأحد أن يسمع إلا من الأخلاء ذوي العقول . وإن إيراخت أشارت بالخير فقبلته ورأيت به النجاح ، فضعوا الهدية بين يديها لتأخذ منها مـا اختارت . ثم قال لإيلاذ . خذ الإكليل والثياب واحملها واتبعني بها ، ودعا الملك إيراخت وحورقناه بين يديه ، فقال لإيلاذ : دع الكسوة والإكليل بين يدي إيراخت لتأخذ أيها شاءت ، فوضعت الهدايا بين يدي إيراخت فأخذت منها الإكليل وأخذت حورقنـاه كسوة من أفخر الثياب وأحسنها . وإن إيراخت صنعت للملك بعد ذلك أرزاً بحلاوة ، فدخلت عليه بالصحفة والأكليل على رأسها ، واتفق أن حورقناه لبست تلك الكسوة ومرت بين يدي الملك ، فالتفت الملك إلى إيراخت فقال : إنك جاهـــلة حين

خذت الإكليل وتركت الكسوة التي ليس في خزائننا مثلها . فلما سمعت إيراخت مدح الملك لحورقنـــاه وثناءه عليها وتجهيلها هي وذم رأيها ، أخذها من ذلك الغيرة والغيظ فضربت بالصحفة رأس الملك فسال الأرز على وجهه ، وكان ذلك تمام تعبير الرؤيا التي عبرها كباريون . فقام الملك من مكانه ودعا بإيلاذ وقال : ألا ترى ، وأنا ملك العالم ، كيف حقرتني هذه الجاهلة وفعلت بي ما ترى ، فانطلق بها واقتلها ولا ترحمها .

فخرج إيلاذ من عند الملك وقال : لا أقتلها حتى يسكن عنه الغضب ، فالمرأة عاقلة سديدة الرأي من الملكات التي ليس لهـا عديل في النساء . وليس الملك بصابر عنها وقد خلصته من الموت وعملت أعمالاً صالحـة ورجاؤنا فيها عظيم ، ولست آمنـــه أن يقول : لِمَ لَمْ تؤخر قتلها حتى تراجعني ؟ فلست قاتلها حتى أنظر رأي الملك فيها ثانية ، فإن رأيته نادماً حزيناً على ما فعل جئت بها حية ، وكنت قد عملت عملاً عظيماً وانجيت إيراخت من القتل وحفظت قلب الملك واتخذت عند عامة الناس بذلك يداً ، وإن رأيته فرحاً مستريحاً مصوباً رأيه في الذي فعله فقتلها لا يفوت .

ثم انطلق بها إلى منزله ووكل بها خادماً من أمنائه وأمره بخدمتها وحراستها حتى ينظر ما يكون من أمر الملك . ثم خضب سيفه بالدم ودخل على الملك كالكئيب الحزين فقال : أيها الملك ، إني قد أمضيت أمرك في إيراخت ، فلم يلبث الملك أن سكن عنه الغضب وذكر جمال إيراخت وفضلها واشتد أسفه عليها وجعل يعزي نفسه عنها ويتجلد . وهو مـع ذلك يستحي أن يسأل إيلاذ أحقاً أمضى أمره فيها أم لا . ورجا لمـا عرف من عقل إيلاذ ألا يكون قد فعل ذلك . ونظر إليه إيلاذ بفضل عقله فعلم الذي به ، فقال له : لا تهتم ولا تحزن أيها الملك ، فإنه ليس في الهم والحزن منفعة ، ولكنهما ينحلان الجسم ويفسدانه ، فاصبر ، أيها

الملك ، على ما لست بقادر عليه أبداً ، وإن أحب الملك أن أحدثه بحديث يسليه . قال : حدثني .

مثل الحمامتين

قال إيلاذ : زعموا أن حمامتين ذكراً وأنثى ملآ عشهما من الحنطة والشعير . فقال الذكر للأنثى : إنا إذا وجدنا في الصحاري ما نعيش به فلسنا نأكل مما ههنا شيئاً . فإذا جاء الشتاء ولم يكن في الصحاري شيء رجعنا إلى ما في عشنا فأكلناه . فرضيت الأنثى بذلك وقالت له : نعماً رأيت . وكان ذلك الحب ندياً حين وضعناه في عشها . فانطلق الذكر فغاب ، فلما جاء الصيف يبس الحب وتضمر ، فلما رجع الذكر رأى الحب ناقصاً فقال لها : أليس كنا جمعنا رأينا على ألا نأكل منه شيئاً فلم أكلته ؟ فجعلت تحلف أنها ما أكلت منه شيئاً ، وجعلت تتنصل إليه فلم يصدقها وجعل ينقرها حتى ماتت .

فلما جاءت الأمطار ودخل الشتاء تندى الحب وامتلأ العش كما كان ، فلما رأى الذكر ذلك ندم ، ثم اضطجع إلى جانب حمامته وقال : ما ينفعني الحب والعيش بعدك إذا طلبتك فلم أجدك ولم أقدر عليك ، وإذا فكرت في أمرك وعلمت أني قد ظلمتك ولا أقدر على تدارك ما فات . ثم استمر على حزنه فلم يطعم طعاماً ولا شراباً حتى مات إلى جانبها .

مثل القرد وطبق العدس

والعاقل لا يعجل في العذاب والعقوبة ، ولا سيا من يخاف الندامة كما ندم الحمام الذكر . وقد سمعت أيضاً أن رجلاً دخل الجبل وعلى رأسه

طبق من العـــدس فوضع الطبق على الأرض ليستريح ، فنزل قرد من شجرة فأخذ ملء كفه من العدس وصعد الشجرة ، فسقطت من يده حبة فنزل في طلبها فلم يجدها وانتثر ما كان في يده من العدس أجمع . وأنت أيضاً أيها الملك ، عندك كثير ممن تحب تدعهم وتطلب ما لا تجد .

فلما سمع الملك ذلك خشي أن تكون إيراخت قد هلكت قال : إيها إيلاذ من كلمة واحدة فعلت ما أمرتك بــــه من ساعتك وتعلقت بحرف واحد كان مني ولم تتثبت في الأمر .

قال إيلاذ : إن الذي قوله واحد لا يختلف هو الله الذي لا تبديل لكلماته ولا اختلاف لقوله .

قال الملك : لقد أفسدت أمري وشددت حزني بقتل إيراخت .

قال إيلاذ : اثنان ينبغي لهما أن يحزنا : الذي يعمل الإثم في كل يوم والذي لا يعمل الخير أبداً ، لأن فرحهما في الدنيا ونعيمهما قليل وندامتهما إذ يعاينان الجزاء طويلة لا يستطاع إحصاؤها .

قال الملك : لئن رأيت إيراخت حية لا أحزن على شيء ابداً .

قال إيلاذ : اثنان لا ينبغي لهما أن يحزنا : المجتهد في البر كل يوم ، والذي لم يأثم أبداً .

قال الملك : ما أنا بناظر إلى إيراخت أكثر مما نظرت .

قال إيلاذ : اثنان لا ينظران : الأعمى والذي لا عقل له ، وكما أن الأعمى لا ينظر السماء ونجومها ، ولا ينظر البعـد والقرب ، كذلك الذي لا عقل له لا يعرف الحسن من القبيح ولا المحسن من المسيء .

قال الملك : لو رأيت إيراخت لاشتد فرحي .

قال إيلاذ : اثنان همـــا الفرحان : البصير والعالم فكما ان البصير

يبصر أمور العالم وما فيه من الزيادة والنقصان والبعيد والقريب ، فكذلك العالم يبصر البر والإثم ويعرف أعمال الآخرة ويتبين له نجاته ويهدى إلى صراط مستقيم .

قال الملك : إني لم أشتف من النظر إلى إيراخت بعد .

قال إيلاذ : اثنان لا يشتفيان أبداً ، من يكون همه جمع المال وادخاره ، ومن يأمل ما لا يقدر عليه ويسأل ما لا يجد .

قال الملك : ينبغي لنا ان نتباعد منك يا إيلاذ ، ونأخذ الحذر ونلازم الاتقاء .

قال إيلاذ : اثنان ينبغي ان يتباعد منهما : الذي يقول لا برّ ولا إثم ولا عقاب ولا ثواب ولا شيء علي مما أنا فيه ، والذي لا يكاد يصرف بصره عما ليس له بمحلل ، ولا أذنه عن استماع السوء ، ولا نفسه عن خاصة غيره ، ولا قلبه عما تهم به نفسه من الإثم والحرص .

قال الملك : صارت يدي من إيراخت صفراً .

قال إيلاذ : أربعة أشياء أصفار : النهر الذي ليس فيه ماء ، والأرض التي ليس فيها ملك ، والمرأة التي ليس لها بعل ، والجاهل الذي لا يعرف الخير من الشر .

قال الملك : إنك يا إيلاذ لتلقى الجواب .

قال إيلاذ : ثلاثة يلقون الجواب : الملك الذي يعطي ويقسم من خزائنه ، والمرأة المهداة إلى من تود من ذوي الحسب ، والرجل العالم الموفق للخير .

قال الملك : أهلكت إيراخت يا إيلاذ بغير حق .

قال إيلاذ : ثلاثة هم الزائغون عن الحق : الذي يلبس الثياب البيض ثم ينفخ بالكير فيسودها بالدخان ، والقصار الذي يلبس الجوربين الجديدين ورجلاه أبداً في الماء ، والذي يقتني الفرس الكريم للركوب ثم يلتهي عنه فلا يركبه فيبطر .

قال الملك : ليتني أنظر الى إيراخت قبل فراق الدنيا .

قال إيلاذ : الذين يطلبون ما لا يقدرون عليه ثلاثة : من لا ورع له وهو يرتجي ثواب الابرار ، والبخيل الذي يلتمس ببخله ان ينال منزلة السخي ، والفاجر الذي يسفك الدماء ويأمل ان روحه من أرواح الشهداء .

قال الملك : أنا الذي جنيت على نفسي وجررت البلاء اليها .

قال إيلاذ : أولئك في الناس خمسة : الذي يتعرض للقتال وهو أعزل ، والبخيل يجمع ماله في منزله ولا أحد معه فيقصده اللصوص فيقتلونه ويأخذون ماله ، والكبير يخطب الصغيرة ، والقبيح يخطب الجميلة ، والمرأة التي تحب ولدها وهو شاطر عارم فهي تستر أموره وتخفيها ثم هو يكون تعباً لها ووبالاً عليها .

قال الملك : قد وضعت الأمر غير موضعه في قتلي إيراخت .

قال إيلاذ : من يفعل ذلك ثلاثة : وهم الطائر الذي يرفع رجليه نحو السماء خوفاً من سقوطها عليه ، والكركي الذي يقوم على رجل واحدة ، ولا يضع الثانية على الأرض خوف ان يخسفها ، والغني البخيل إذا أكل لا يشبع يخاف على ماله من النفاد ، كالخراطين التي طعامها التراب تقصد الإقلال من الأكل منه لئلا ينفد وينفى ، وكالكلب الذي يلغ من النهر بلسانه ولا يعب منه حذار ان يجف . والخفاش الذي يطير بالليل لا يفعل ذلك بالنهار مخافة ان يصطاده

الناس لحسنه وهو أقبح الطير .

قال الملك : لم أحزن قط حزني على إيراخت .

قال إيلاذ : خمسة أشياء اذا كن في المرأة كانت أهلاً أن يحزن عليها : اذا كانت عفيفة ، كريمة الحسب والنسب عاقلة ، جميلة ، موافقة لزوجها ، محبة له .

قال الملك : ليس تأخذني سنة ولا نوم من حزني على إيراخت .

قال إيلاذ : اثنان لا يهجعان ولا يستريحان : الكثير المال وليس له خازن ولا أمين ، والشديد المرض ولا طبيب له .

ثم إن إيلاذ ، لما رأى الملك قد اشتد به الأمر سكت . فقال له الملك : ما بالك يا إيلاذ سكت . قال : أيها الملك ، إني قد تجاسرت عليك فيما امتحنتك به إرادة أن أعلم ما آل اليه أمرك في إيراخت ، وأراني قد تجاوزت طوري في ذلك وبان لي من حلمك وعقلك ما أذهلني إذ لم يبد منك مع ما اجترأت به عليك شيء من الغضب ، ولا تغيرت عن حالك ، وها أنا شاكر لعفوك وصفحك وتجاوزك عني ، وإن لم يكن ذلك مني إلا نصحاً للملك واستطلاعاً لأمره فاعف عني إن شئت أو فعاقبني بما تراه ، فإن إيراخت بالحياة .

فلما سمع الملك ذلك اشتد فرحه وقال : يا إيلاذ ، إنما منعني من الغضب ما عرف من نصيحتك وصدق حديثك وكنت أرجو لمعرفتي بعلمك ألا تكون قد قتلت إيراخت ، فإنها ، وإن تكن أتت عظيماً وأغلظت في القول ، لم تأته عداوة ولا طلب مضرة ، ولكنها فعلت ذلك للغيرة . وقد كان ينبغي لي أن أعرض عن ذلك وأحتمله ولكنك يا إيلاذ ، أردت ان تختبرني وتتركني في شك من أمرها ،

وقد اتخذت عندي أفضل الأيادي ، وأنا لك شاكر فانطلق فأتني بها .
فخرج من عند الملك فأتى إيراخت وأمرها ان تتزين ففعلت ذلك ،
وانطلق بها . فلما دخلت سجدت للملك ثم قامت بين يديه وقالت :
أحمد الله تعالى ثم أحمد الملك الذي أحسن إليّ ، قـــد أذنبت الذنب
العظيم الذي لم أكن للبقاء أهلاً بعده فوسعه حلمه وكرم طبعه ورأفته ،
ثم أحمد إيلاذ الذي أخرّ أمري وأنجاني من الهلكة لعلمه برأفة الملك
وسعة حلمه وجوده وكرم جوهره ووفاء عهده . وقال الملك لإيلاذ :
ما أعظم يدك عندي وعند إيراخت وعند العامة ، إذ قد أحييتها بعد
مـــا أمرت بقتلهـــا ، فأنت الذي وهبهـــا لي اليوم فإني لم أزل واثقاً
بنصيحتك وتدبيرك ، وقـــد ازددت اليوم عندي كرامـــة وتعظيماً ،
وأنت محكم في ملكي تعمل فيه بمـــا ترى وتحكم عليه بمـــا تريد .. فقد
جعلت ذلك اليك ووثقت بك .

قال إيلاذ : أدام الله لك ، أيها الملك ، الملك والسرور ، فلست
بمحمود على ذلك فإنمـــا أنا عبدك ، لكن حاجتي ألا يعجل في الأمر
الجسيم الذي يندم على فعله وتكون عاقبته الغم والحزن ، ولا سيما في
مثل هذه المرأة الناصحة المشفقة التي لا يوجد في الأرض مثلها .

فقال الملك : بحق قلت يا إيلاذ ، وقـــد قبلت قولك ولست عاملاً
بعدهـــا عملاً كبيراً ولا صغيراً ، فضلا عن مثل هذا الأمر العظيم الذي
سلمت منه إلا بعد المؤامرة والنظر والتردد ومشاورة أهل المودة والرأي .
ثم أحسن الملك جائزة ايلاذ ومكنه من أولئك البراهمة الذين أشاروا
بقتل أحبابه فأطلق فيهم السيف وقرت عين الملك وعيون عظماء أهل
مملكته وحمدوا الله واثنوا على كباريون لسعة علمه وفضل حكمته لأن بعلمه
خلص الملك ووزيره الصالح وامرأته الصالحة .

الفصل الثاني عشر

النّاسك والضّيف

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الذي يدع صنعه الذي يليق به ويشاكله ، ويطلب غيره فلا يدركه ، ويرجع إلى الذي كان عليه فلا يقدر عليه ، فيبقى حيران متردداً . قال الفيلسوف : زعموا أنه كان بأرض الكرخ ناسك عابد مجتهد ، فنزل به ضيف ، ذات يوم ، فدعا الناسك لضيفه بتمر ليطرفه به فأكلا منه جميعاً ثم قال الضيف : ما أحلى هذا التمر وأطيبه فليس هو في بلادي التي أسكنها وليته كان فيها ، ثم قال : أرى ان تساعدني على أن آخذ منه ما أغرسه في أرضنا ، فإني لست عارفاً بثمار أرضكم هذه ولا بمواضعها .

قال له الناسك : ليس لك في ذلك راحة ، فإنه يثقل عليك ولعل ذلك لا يوافق أرضكم مع ان بلادكم كثيرة الأثمار فما حاجة مع كثرة ثمارها الى التمر مع وخامته وقلة مناسبته للجسد ، ثم قال له الناسك : إنه لا يعد سعيداً من طلب ما لا يجده ، وإنك سعيد الجد إذا قنعت بالذي تجد وتزهد في ما لا تجد . وكان هذا الناسك يحسن العبرانية فسمعه الضيف يتكلم بها مرة فاستحسن كلامه وأعجبه ، فتكلف ان يتعلمه ، وعالج في ذلك نفسه أياماً .

فقال الناسك له : مـــا أخلقك ان تقع ممـــا تركت من كلامك وتكلفت من كلام العبرانية في مثل ما وقع فيه الغراب . قال الضيف : وكيف كان ذلك ؟

مثل الغراب والحجلة

قال الناسك : زعموا ان غرابـاً رأى حجلة تدرج وتمشي فأعجبته مشيتها وطمع ان يتعلمهـــا ، فراض على ذلك نفسه فلم يقدر على إحكامهـا وأيس منها وأراد ان يعود الى مشيته التي كان عليهـا ، فإذا هو قد اختلط مشيه وتخلع فيه وصار أقبح الطير مشياً .

إنمـا ضربت لك هذا المثل لما رأيت من أنك تركت لسانك الذي طبعت عليه ، وأقبلت على لسان العبرانية وهو لا يشاكلك وأخاف ألا تدركه وتنسى لسانك وترجع إلى أهلك وأنت شرهم لساناً ، فإنه قد قيل : إنـه يعد جاهلاً من تكلف من الامور ما لا يشاكله وليس من عمله ، ولم يؤدبه عليه آباؤه وأجـداده من قبل ، ولم يعرف بـه احـد من اهله وذوي قرابته ، فإن العاقل لا يتعدى طوره . والولاة ، ايهـا الملك وأرباب الأمر أولى بالانتباه إلى هـذا الشأن ومنع حدوثه بين الناس ، لأن فيه مصرة لهم بما يجرىء الأنفس على منازعتهم في منازلهم ، ويغريها بمقاومتهم في احكامهم لما فيه من إطماع السفلة في مراتب أهل الطبقة العالية ومزاحمة اللئيم للكريم ، والجاهل للعالم والخامل للنسيب ، والدنيء للشريف ، إلى غير ذلك ممـا يفضي إلى تشوش العالم وفساد الأمور واختلاط الطبقات وضياع المراتب والأقدار . والأمور في ذلك كله تجري على مثال واحـد ينتهي إلى الأمر الخطير الجسـيم من مزاحمة الملك على ملكه ومضادته فيه .

الفصل الثالث عشر

السّائح والصّائغ

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل ، فاضرب لي مثل الذي يضع المعروف في غير موضعه ويرجو الشكر عليه . قال الفيلسوف : أيها الملك ، ليس أضيع من جميل يصنع مع غير شاكر ولا أخسر من صانعه ، كما أنه لا بذر أنمى من بذر الجميل في قلوب الشاكرين ، ولا تجارة أربح من تجارته ، ومع ذلك فإن المرء جدير أن يصنع المعروف إلى كل أحد ، فإنه إن ضاع المعروف عند الناس لا يضيع عند الله ، ولا سيما إلى ذوي الشكر والوفاء كيف كانت منزلتهم فلعله احتاج إليهم يوماً من الدهر فيكافئوه عليه ، غير أن الملوك وغيرهم من ذوي العقول إذا تعمدوا بمعروفهم أحداً يختصونه بــه ينبغي لهم أن يضعوه موضعه ولا يضيعوه عند من لا يحتمله ولا يقوم بشكره . فينبغي للملوك ألا يصطفوا أحداً إلا بعد الخبرة بطرائقه والمعرفة بوفائه ومودته وشكره . فإن من أقدم على المشهور بالاستقامة والعفة ، واسترسل إليه من غير اختبار ولا تجربة كان مخاطراً في ذلك مشرفاً منه على هلاك وفساد .

ألا ترى أن الطبيب الرفيق العاقل لا يكتفي في مداواة المريض بالمعاينة فقط ، لكنه لا يقدم على علاجه إلا بعد تعرف أحواله والجس لعروقه ومعرفة طبيعته وسبب علته ، فإذا عرف ذلك كله أقــدم على

معالجته، ولا ينبغي أن يختصوا بذلك قريباً لقرابته، ولا أحداً من خاصتهم لشرفه إذا كان غير محتمل للصنيعة ، فإنه إنما شرف بتشريفهم إياه ؛ ولا أن يمنعوا معروفهم وجميلهم عن بعيد لبعده ، أو خامل لخموله إذا كان عارفاً بحق ما يصطنع إليه مؤدياً لشكر ما أنعم عليه . وقد قيل : لا ينبغي لذي العقل أن يحتقر أحداً من الناس حتى البهائم ، ولكنه خليق أن يبلوهم ويختبرهم ويكون ما يصنع إليهم على قدر ما يرى منهم ؛ فقد يكون الخير عند من يظن به الشر، والشر عند من يظن به الخير .

وإن طبائع الخلق ، أيها الملك ، مختلفة ، وليس مما خلقه الله مما يمشي على أربع ، أو على رجلين ، أو يطير بجناحين ، أو يسبح في الماء شيء هو أفضل من الإنسان . ومع ذلك فربما تحذر العاقل من الناس فلم يأمن أحداً منهم وأخذ ابن عرس فأدخله في كمه وأخرجه من الآخر وأخذ الطائر الجارح فوضعه على يده فإذا صاد شيئاً أبقى له منه نصيباً . ومن الناس البر والفاجر ، ومن هؤلاء كل كفور كنود حتى لقد يكون في بعض البهائم والسباع والطير ما هو أوفى منه ذمة وأشد محاماة عن حرمة وأشكر للمعروف وأقوم به وقد مضى في ذلك مثل ضربه بعض الحكماء . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

مثل الحية والقرد والببر

قال الفيلسوف : زعموا أن جماعة احتفروا ركية فوقع فيها رجل صائغ وحية وقرد وببر . ومر بهم رجل سائح فأشرف على الركية فبصر بالرجل والحية والقرد والببر . ففكر في نفسه وقال : لست أعمل لآخرتي عملاً أفضل من أن أخلص هذا الرجل من بين هؤلاء الأعداء . فقد قيل : لم يؤجر مأجور بأعظم من أجر من استحيا نفساً هالكة ، ولا

عوقب معاقب بأشد من عقاب من كف عن ذلك وهو قادر عليه ولو بمشقة مما خلا ذهاب نفسه. فأخذ حبلاً وأدلاه إلى البئر فتعلق به القرد لخفته فخرج، ثم أدلاه ثانية فالتفت به الحية فخرجت، ثم أدلاه ثالثة فتعلق به الببر فأخرجه. فشكرن له صنيعه وقلن له لا تخرج هذا الرجل من الركية فإنه ليس شيء أقل من شكر الإنسان. ثم قال له القرد: إن منزلي في جبل قريب من مدينة يقال لها نوادرخت. فقال له الببر: أنا أيضاً في أجمة إلى جانب تلك المدينة. قالت الحية: وأنا في سور تلك المدينة فإن أنت مررت بنا يوماً من الدهر واحتجت إلينا فصوت علينا حتى نأتيك فنجزيك بما أسديت إلينا من المعروف. فلم يلتفت السائح إلى ما ذكروا له من قلة شكر الإنسان وأدلى الحبل فأخرج الصائغ فسجد له وقال: لقد أوليتني معروفاً، فإن مررت يوماً من الدهر بمدينة نوادرخت، فاسأل عن منزلي فأنا رجل صائغ واسمي فلان لعلي أكافئك بما صنعت إلي من المعروف. فانطلق الصائغ إلى مدينته وانطلق السائح إلى وجهته. فعرض بعد ذلك أن السائح اتفقت له حاجة إلى تلك المدينة فانطلق، فاستقبله القرد فسجد له وقبل رجليه واعتذر إليه وقال: إن القرود لا يملكون شيئاً، ولكن اقعد حتى آتيك، وانطلق القرد وأتاه بفاكهة طيبة فوضعها بين يديه، فأكل منها حاجته.

ثم إن السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة فاستقبله الببر فخر له ساجداً وقال له: إنك قد أوليتني معروفاً فاطمئن ساعة حتى آتيك. فانطلق الببر فدخل في بعض الحيطان إلى بنت الملك فقتلها وأخذ حليها، فأتاه به من غير أن يعلم السائح من أين هو. فقال في نفسه: هذه البهائم قد أولتني هذا الجزاء فكيف لو أتيت إلى الصائغ؟ فإنه إن كان معسراً لا يملك شيئاً فسيبيع هذا الحلي فيستوفي ثمنه فيعطيني بعضه ويأخذ بعضه وهو أعرف بثمنه. فانطلق السائح فأتى إلى الصائغ، فلما رآه

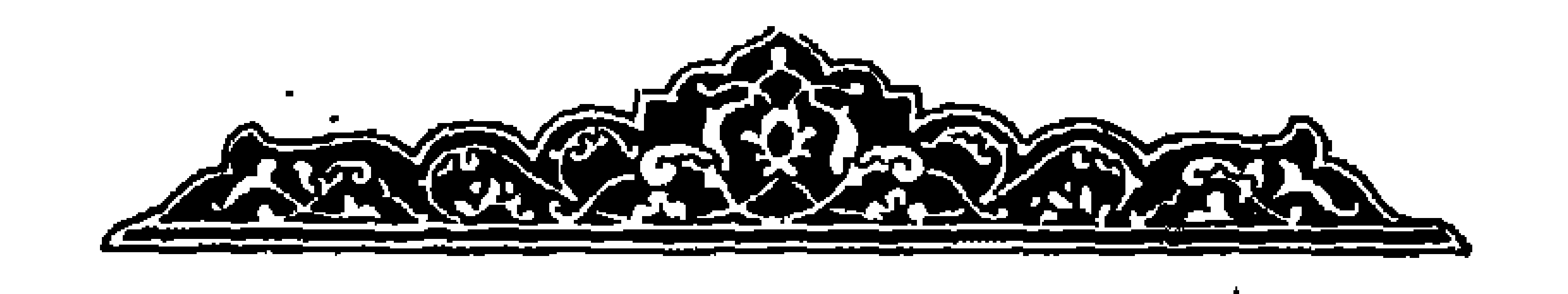
رحب به وأدخله إلى بيته . فلما بصر بالحلي معه عرفـه وكان هو الذي صاغه لابنة الملك .

فقال الصائغ : اطمئن حتى آتيك بطعام فلست أرضى لك ما في البيت ، ثم خرج وهو يقول : قد أصبت فرصتي ، أريد أن أنطلق إلى الملك وأدله على ذلك فتحسن منزلتي عنده . فانطلق إلى باب الملك فأرسل إليه أن الذي قتل ابنتك وأخـذ حليها عندي ، فأرسل الملك وأتى بالسائح . فلما نظر الحلي معه لم يمهله ، وأمر به ان يعذب ويطاف به في المدينة ويصلب . فلما فعلوا به ذلك جعل السائح يبكي ويقول بأعلى صوته : لو أني أطعت القرد والحية والببر فيما أمرنني به وأخبرنني من قلة شكر الإنسان لم يصر أمري إلى هذا البلاء ، وجعل يكرر هذا القول . فسمعت مقالته تلك الحية فخرجت من جحرها فعرفته فاشتد عليها أمره فجعلت تحتال في خلاصه ، فانطلقت حتى لدغت ابن الملك ، فدعا الملك اهل العلم فرقوه ليشفوه فلم يغنوا عنه شيئاً .

ثم مضت الحية الى أخت لها من الجن فاخبرتها بما صنع السائح اليها من المعروف وما وقع فيه ، فرقت له وانطلقت الى ابن الملك وتراءت له وقالت : أنك لا تبرأ حتى يرقيك هذا الرجل الذي قـد عاقبتموه ظلماً . وانطلقت الحية إلى السائح فدخلت اليه السجن وقالت له : هذا الذي كنت نهيتك عنه من اصطناع المعروف الى هذا الإنسان ولم تطعني ، وأتته بورق ينفع من سمها وقالت له : اذا جاؤوا بك لترقي ابن الملك فاسقه من ماء هذا الورق فإنـه يبرأ ، وأذا سألك الملك عن حالك فاصدقه فإنك تنجو ان شاء الله تعالى . وان ابن الملك أخبر أباه أنـه سمع قائلاً يقول انك لن تبرأ حتى يرقيك السائح الذي حبس ظلمـاً . فدعا الملك بالسائح وأمره أن يرقي ولده فقال : لا أحسن الرقي ، ولكن أسقيه من ماء هذه الشجرة فيبرأ بإذن الله تعالى ، فسقاه فبرىء الغلام .

ففرح الملك بذلك وسأله عن قصته فاخبره فشكره الملك وأعطاه عطية حسنة ، وأمر بالصائغ أن يصلب ، فصلبوه لكذبه وانحرافه عن الشكر ومجازاته الفعل الجميل بالقبيح .

ثم قال الفيلسوف للملك : ففي صنيع الصائغ وكفره له بعد استنقاذه اياه وشكر البهائم له ، وتخليص بعضها اياه عبرة لمن افتكر ، وأدب في وضع المعروف والإحسان عند أهل الوفاء والكرم قربوا او بعدوا ، لما في ذلك من صواب الرأي وجلب الخير وصرف المكروه .



الفصل الرابع عشر

ابن الملك وأصحابه

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل ، فإن كان الرجل لا يصيب الخير إلا بعقله ورأيه وتثبته في الأمور كما يزعمون ، فما بال الرجل الجاهل يصيب الرفعة والخير ، والرجل الحكيم العاقل قد يصيب البلاء والضر .

قال بيدبا : كما ان الأعمى لا يبصر إلا بقلبه ، ولا يمشي الا بحسه مع المهلة والتأني ، كذلك ينبغي للانسان ان يسلك في الأمور بعين العقل والبصيرة والعلم وبالتثبت والأناة ، فقلّ ان يعثر على هذا غير ان القضاء والقدر قد يغلبان على ذلك كما قد يعثر البصير ويسلم الضرير . ومثل ذلك مثل ابن الملك وأصحابه . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟ . قال الفيلسوف : زعموا ان اربعة نفر اصطحبوا في طريق واحدة : أحدهم ابن الملك ، والثاني ابن تاجر ، والثالث ابن شريف ذو جمال ، والرابع ابن أكار وكانوا جميعاً محتاجين ، وقد أصابهم ضرر وجهد شديد في موضع غربة لا يملكون إلا ما عليهم من الثياب . فبينما هم يمشون ، اذ فكروا في أمرهم ، وكان كل إنسان منهم راجعاً الى طباعه وما كان يأتيه منه الخير .

فقال ابن الملك : إن أمر الدنيا كله بالقضاء والقدر ، والذي قدر على الإنسان يأتيه على كل حال ، والصبر للقضاء والقدر وانتظارهما أفضل الأمور . وقال ابن التاجر : العقل أفضل شيء ؛ وقال ابن الشريف . الجمال افضل مما ذكر ؛ ثم قال الأكار : ليس في الدنيا افضل من الاجتهاد في العمل . فلما قربوا من مدينة يقال لها (مطرون) جلسوا في ناحية منها يتشاورون ، فقالوا لابن الأكار : انطلق فاكتسب لنا باجتهادك طعاماً ليومنا هذا ، فانطلق ابن الأكار وسأل عن عمل إذا عمله الإنسان يكتسب فيه طعام أربعة نفر ، فعرفوه ان ليس في تلك المدينة شيء أعز من الحطب ، وكان الحطب منها على فرسخ ، فانطلق ابن الأكار فاحتطب طناً[1] من الحطب وأتى به المدينة فباعه بدرهم واشترى به طعاماً وكتب على باب المدينة : عمل يوم واحد اذا أجهد فيه الرجل بدنه قيمته درهم . ثم انطلق إلى أصحابه بالطعام فأكلوا .

فلما كان من الغد قالوا : ينبغي للذي قال إنه ليس شيء أعز من الجمال ان تكون نوبته . فانطلق ابن الشريف ليأتي المدينة ، ففكر في نفسه وقال : أنا لست أحسن عملاً فما يدخلني المدينة ، ثم استحى ان يرجع الى اصحابه بغير طعام وهمّ بمفارقتهم ، فانطلق حتى أسند ظهره الى شجرة عظيمة فغلبه النوم فنام . فمر به رجل مصور وبصر به فأعجبه حسنه وقرر ان يصوره ويكتسب من صورته إذا عمل منها صوراً وباعها ، فأيقظه وذهب به إلى منزله ليصوره . فلما كان المساء أجازه بمئة درهم ، فخرج وكتب على باب المدينة . جمال يوم واحد يساوي مئة درهم ، وأتى بالدراهم الى اصحابه .

فلما أصبحوا في اليوم الثالث قالوا لابن التاجر : إنطلق أنت فاطلب لنا بعقلك وتجارتك ليومنا هذا شيئا . فانطلق ابن التاجر

(١) الطن : الحزمة.

فلم يزل حتى بصر بسفينة من سفن البحر كثيرة المتاع قد قدمت إلى الساحل ، فخرج اليها جماعة من التجار يريدون أن يبتاعوا مما فيها من المتاع فجلسوا يتشاورون في ناحية من المركب ، وقال بعضهم لبعض : ارجعوا يومنا هذا لا نشتري منهم شيئاً حتى يكسد المتـــاع عليهم فيرخصوه علينـــا ، مع أننا محتاجون اليه وسيرخص . فخالف ابن التاجر الطريق وجاء الى اصحاب المركب فابتاع منهم ما فيه بمئة الف درهم نسيئة ، وأظهر أنه يريد ان ينقل متاعه الى مدينة اخرى فلمـا سمع التجار ذلك خافوا ان يذهب ذلك المتاع من أيديهم فأربحوه على مـا اشتراه ألف درهم وأحال عليهم اصحاب المركب بالباقي وحمل ربحه الى أصحابه وكتب على باب المدينة : عقل يوم واحد ثمنه الف درهم . فلما كان اليوم الرابع قـالوا لابن الملك : انطلق انت واكتسب لنـا بقضائك وقدرك . فانطلق ابن الملك حتى أتى إلى باب المـدينة فجلس على دكة في باب المدينة . واتفق بالقدر أن مات ملك تلك الناحية ولم يخلف ولداً ولا احداً ذا قرابة . فمروا عليـه بجنازة الملك ولم يحزنـه وكلهم يحزنون ، ولم يلتفت اليهم ولم يكترث لما هم فيه ، فأنكروا حاله وشتمه البواب وقال له : من أنت يا لئيم ، ومـــا يجلسك على باب المدينة ولا نراك تحزن لموت الملك ولا تهتم ؟ وطرده البواب عن الباب ، فلما ذهبوا عاد الغلام فجلس مكانه .

فلما دفنوا الملك ورجعوا بصر بـه البواب فغضب وقال له : ألم أنهك عن الجلوس في هـذا الموضع ؟ وأخـذه فحبسه . فلما كان من الغد وقـد اجتمع أهل تلك المدينة يتشاورون في من يملكونـه عليهم ويختلفون بينهم ، إذ دخل البواب فقال لهم : إني رأيت امس غلاماً جـالساً على الباب ولم أره يحزن حزننا كأن الأمر ليس عنـده بعظيم ، وتلوح عليـه لوائح العزة والشرف ، فكلمته فلم يجبني فطردته عن الباب ، فلما عدت رأيته جالساً فأدخلته السجن مخافة ان يكون

عيناً . فبعثت أشراف المدينة الى الغلام فجاؤوا به وسألوه عن حاله وما أقدمه الى مدينتهم . فقال : انا ابن ملك فويران ، وإنه لما مات والدي غلبني اخي على الملك ، وقد كان أبي عهد اليّ به ، فغصبني إياه فهربت من يده حذراً على نفسي حتى انتهيت الى هذه الغابة . فلما ذكر الغلام من امره ما ذكر عرفه بعض من كان يغشى بلاد أبيه منهم وأثنوا على أبيه خيراً . ثم إن الاشراف اختاروا الغلام ان يملكوه عليهم ورضوا به. وكان لأهل تلك المدينة سنة اذا ملكوا عليهم ملكاً حملوه على فيل ابيض وطافوا به حول المدينة . فلما فعلوا به ذلك مرّ بباب المدينة فرأى الكتابة على الباب فأمر ان يكتب : ان الاجتهاد والجمال والعقل وما اصاب الإنسان في هذه الدنيا من خير او شر إنما هو بقضاء وقدر من الله عز وجل ، وقد اعتبر ذلك بما ساق الله إليه من الكرامة والخير . ثم انطلق الى مجلسه فجلس على سرير ملكه وأرسل الى اصحابه الذين كان معهم فأحضرهم فأشرك صاحب العقل مع الوزراء ، وضمّ صاحب الاجتهاد الى اصحاب الزرع ، وولى صاحب الجمال إحدى مصالحه .

ثم جمع علماء ارضه وذوي الرأي منهم وقال لهم : اما اصحابي فقد تيقنوا ان الذي رزقهم الله سبحانه وتعالى من الخير انما هو بقضاء الله وقدره . وانما احب ان تعلموا ذلك وتستيقنوه ، فإن الذي منحني الله وهيأه لي انما كان بقدر ، ولم يكن بجمال ولا عقل ولا اجتهاد . وما كنت ارجو اذ طردني اخي ان يصيبني ما يعيشني من القوت فضلاً عن ان أصيب هذه المنزلة ، وما كنت اؤمل ان اكون بها لأني قد رأيت في هذه الأرض من هو افضل مني حسناً وجمالاً ، وأشد اجتهاداً وأحزم رأياً ، فساقني القضاء الى أن اعتززت بقدر من الله .

وكان في ذلك الجمع شيخ فنهض حتى استوى قائماً وقال : إنك قد

تكلمت بكلام عقل وحكمة ، ولكن الذي بلغ بك ذلك وفور عقلك وحسن ظنك ، وقد حققت ظننا فيك ورجاءنا لك ، وقد عرفنا ما ذكرت وصدقناك فيما وصفت ، والذي ساق الله اليك من الملك والكرامة كنت اهلاً له لما قسم الله تعالى لك من العقل والرأي ، وان اسعد الناس في الدنيا والآخرة من رزقه الله رأياً وعقلاً ، وانما احسن الله الينا بقضائه اذ وفقك لنا عند موت ملكنا وكرّمنا بك . ثم قام شيخ آخر فحمد الله عز وجل واثنى عليه وقال : ان شأن القضاء والقدر لكما ذكرت .

مثل السائح

واني كنت اخدم وانا غلام ، قبل ان اكون سائحاً ، رجلاً من اشراف الناس ، فلما بدا لي رفض الدنيا فارقت ذلك الرجل وقد كان اعطاني من اجرتي دينارين ، فأردت ان اتصدق بأحدهما واستبقي الآخر ، فأتيت السوق فوجدت مع رجل من الصيادين زوجي هدهد فساومته فيهما لاطلقهما ، فأبى الصياد ان يبيعهما الا بدينارين فاجتهدت ان يبيعنيهما بدينار واحد فأبى . فقلت في نفسي : اشتري احدهما واترك الآخر ثم قلت : لعلهما يكونان زوجين ذكراً وانثى فأفرق بينهما . فأدركتني لهما رحمة فتوكلت على الله وابتعتهما بدينارين ، واشفقت إن ارسلتهما في ارض عامرة ان يصادا ولا يستطيعا ان يطيرا مما لقيا من الجوع والهزال ، ولم آمن عليهما الآفات ، فانطلقت بهما الى مكان كثير المرعى والأشجار ، بعيد عن الناس والعمران ، فارسلتهما فطارا ووقعا على شجرة مثمرة . فلما صارا في اعلاها شكرا الي ، وسمعت احدهما يقول للآخر : لقد خلصنا هذا السائح من البلاء الذي كنا فيه ، واستنقذنا من الهلكة ، وانا لخليقان ان نكافئه بفعله . وان في اصل هذه

الشجرة جرة مملوءة دنانير ، أفلا نذله عليها فيأخذها ؟ فقلت لهما : كيف تدلاني على كنز لم تره العيون وأنتما لم تبصرا الشبكة ؟ فقالا ، إن القضــــاء والقدر الذي يتسلط على القمر والشمس فيكسفهما ، وعلى الحوت في قعر البحر فيصطاد إذا نزل صرف العيون عن موضع الشيء وغشى على البصر . وإنما صرف القضاء أعيننا عن الشرك ولم يصرفهـا عن هـذا الكنز لتنتفع أنت به . فاحتفرت واستخرجت البرنية وهي مملوءة دنانير ، فدعوت لهما بالعـافية وقلت لهما : الحمد لله الذي علمكما ممـا رأى وأنتما تطيران في السماء وأخبرتماني بما تحت الأرض . فقالا لي : أيها العاقل ، أما تعلم أن القدر غالب على كل شيء لا يستطيع أحد ان يتجاوزه ؟

فليعرف أهل النظر في الأمور ان جميع الأشياء بقدر الله وقضائه وان الإنسان لا يجلب الى نفسه محبوباً ولا يدفع عنها مكروهـــاً الا بإذن الله تعالى . فلتثق نفوس أهل الفكر بذلك وتطمئن اليه فإن في ذلك راحة للمبتلى وداعياً لمن تؤاتيه المقادير الى شكر رب العالمين .



الفصل الخامس عشر

الحمامة والثعلب ومالك الحزين

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل فاضرب مثلاً في شأن الرجل الذي يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه . قال فيلسوف : إن مثل ذلك مثل الحمامة والثعلب ومالك الحزين . قال الملك : وما مثلهن ؟

قال الفيلسوف : زعموا ان حمامة كانت تفرخ في رأس نخلة طويلة ذاهبة في السماء . فكانت الحمامة تشرع في نقل العش الى رأس تلك النخلة ، فلا يمكنها ان تنقل ما تنقل من العش وتجعله تحت البيض الا بعد شدة وتعب ومشقة لطول النخلة وسحقها . وكانت اذا فرغت من النقل باضت ثم حضنت بيضها ، فإذا فقّست وأدرك فراخها جاءها ثعلب قد تعهد ذلك منها لوقت قد علمه ريثما ينهض فراخها ، فيقف بأصل النخلة فيصيح فيه بها ويتوعدها ان يرقى اليها او تلقي اليه فراخها. فتلقيها اليه . فبينما هي ذات يوم ، وقد أدرك لها فرخان ، إذ أقبل مالك الحزين ، فوقع على النخلة . فلما رأى الحمامة كئيبة حزينة شديدة الهم قال لها : يا حمامة ! مالي أراك كاسفة البال سيئة الحال : فقالت له : يا مالك الحزين ، إن ثعلباً دهيت به كلما كان لي فرخان ، جاءني يتهددني ويصيح في أصل النخلة فأفرق منه ، فاطرح اليه فرخي .

قال لها مالكِ الحزين : إذا أتاك ليفعل ما تقولين فقولي له : لا ألقي اليك فرخي فارق إليّ وغرّر بنفسك ، فإذا فعلت ذلك وأكلت فرخيّ طرت عنك ونجوت بنفسي .

فلما علمها مالك الحزين هذه الحيلة طار فوقع على شاطيء نهر ، وأقبل الثعلب في الوقت الذي عرف فوقف تحت النخلة ، ثم صاح كما كان يفعل . فأجابته الحمامة بما علمها مالك الحزين . فقال لها : أخبريني من علمك هذا ؟.. قالت : علمني مالك الحزين .

فتوجه الثعلب حتى أتى مالكاً الحزين على مشاطيء النهر فوجده واقفاً ، فقال له الثعلب : يا مالك الحزين ، إذا أتتك الريح عن يمينك فأين تجعل رأسك : قال : عن شمالي . قال : فإذا أتتك عن شمالك فأين تجعل رأسك ؟ قال أجعله عن يميني او خلفي . قال : فإذا أتتك الريح من كل مكان وكل ناحية ، أين تجعله ؟ قال : أجعله تحت جناحي .. قال : وكيف تستطيع ان تجعله تحت جناحيك ؟ ما أراه يتهيأ لك . قال : بلى . قال : فأرني كيف تصنع ، فلعمري ، يا معشر الطير ، لقد فضلكن الله علينا إنكن تدرين في ساعة واحدة مثل ما ندري في سنة، وتبلغن ما لا نبلغ وتدخلن رؤوسكن تحت أجنحتكن من البرد والريح ، فهنيئاً لكن ، فأرني كيف تصنع ؟ فأدخل الطائر رأسه تحت جناحيه فوثب عليه الثعلب مكانه فأخذه فهمزه همزة دق عنقه ، ثم قال : يا عدو نفسه ، ترى الرأي للحمامة وتعلمها الحيلة لنفسها ، وتعجز عن ذلك لنفسك حتى يتمكن منك عدوك ، ثم قتلهَ وأكله . ألهمنا الله ان نكون من المؤتمرين لما يأمرون والمنتصحين بما ينتصحون ..

فلما انتهى المنطق بالفيلسوف الى هذا الموضع سكت الملك . فقال الفيلسوف : أيها الملك ، عشت الف سنة وملكت الأقاليم السبعة ،

وأعطيت من كل شيء حظاً ، وبلغت ما أملته من خير الدنيا والآخرة في سرور منك ، وقرة عين من رعيتك بك ، ومساعدة للقضاء والقدر لك . فإنه قد كمل فيك الحلم والعلم ، وحسن منك العقل والنية ، وتم فيك البأس والجود واتفق منك القول والعمل . فلا يوجـــد في رأيك نقص ، ولا في قولك سقط ولا عيب . وقـد جمعت النجدة واللين ، فلا توجد جباناً عند اللقاء ، ولا ضيّق الصدر عندما ينوبك من الاشياء .

وقد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان الأمور ، وشرحت لك جواب ما سألتني عنه تزلفاً الى رضاك ، وابتغاء لطاعتك فأبلغتك في ذلك غاية نصحي واجتهدت فيه برأيي ونظري ومبلغ فطنتي والله تعالى يقضي حقي بحسن النية منك في إعمال فكرك وعقلك فيما وضعت لك من النصيحة والموعظة . مع أنه ليس المنصوح بأولى بالنصيحة من الناصح ، ولا الآمر بالخير بأسعد من المطيع له فيه . فافهم ذلك ، أيها الملك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الفهرس

تصدير ٩

المقدمة الأولى

عرض الكتاب لعبدالله بن المقفع ١٣

المقدمة الثانية

برزويه (لبزرجمهر) ٢٦

الفصل الأول

الأسد والثور ٤١

الفصل الثانى

الفحص عن أمر دمنة ٩١

الفصل الثالث

الحمامة المطوقة ١١٣

الفصل الرابع

البوم والغربيان ١٣١

■ **ابن المقفع**

ولد ابن المقفع حوالى سنة ١٠٦ هجرية فى البصرة، التى كانت تعد أعظم مدن العلم والأدب فى الإسلام فى هذا العهد، وقد بدأ حياته الكتابية وهو فتى لايزيد كثيراً عن عشرين عاماً، ولعل أهم مايميزه أنه جمع بين ثقافتى العرب والفرس، وقد قام بترجمة العديد من الكتب عن الفارسية وغلب عليها الطابع الأدبى والفلسفى.

وهو أول من اعتنى فى الملة الإسلامية بترجمة الكتب المنطقية. وقد ترك ابن المقفع ثروة عظيمة للأدب العربى، وأمثلة رفيعة يطبع على غرارها بلغاء هذه الأمة، ومن أهم أعماله كتاب الأدب الصغير وكتاب الأدب الكبير، كتاب الدرة اليتيمة، المدخل إلى كتب المنطق.... إلخ.

إلا أن هذا الكتاب (كـ...

يعتبر من أهم الكتب الخـ...

جودتها والذى استساغته ...

إلى لغاتها.

توفى ابن المقفع فى سن...

يتجاوز عامه السادس والثلا...

المنية.

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى جنيه وربع
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٧

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب